من آيات العرب — ٥

حكمة الكلام

قال زُبَيد اليامىّ : أسكتتنى كلمة ابن سعود عشرين سنة : من كان كلامه لا يوافق فعلهُ فإنما يوبخ نفسه ... فوت الصواب أيسر من خطل القول ... قال يزيد بن المهلَّب : أكرهُ أن يكون عقل الرجل على طرف لسانه ... وقال آخر: ما رأيت أحداً يتكلم فيحسن ، إلا أحببت أن يصمت خوفاً من أن يسيء ... بلغنى عن أسامة عن ابن عون عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلموا وصمت الأحنف ؛ فقال معاوية يا أبا بحر ، مالك لا تتكلم؟ قال : أخافكم إن صدقتكم وأخاف الله إن كذبت ... وقالوا : رُبَّ كلمة تقول دَعْنى .

AL-MUKHTAR min READER'S DIGEST - Vol 9, No. 49, SEP. 1947

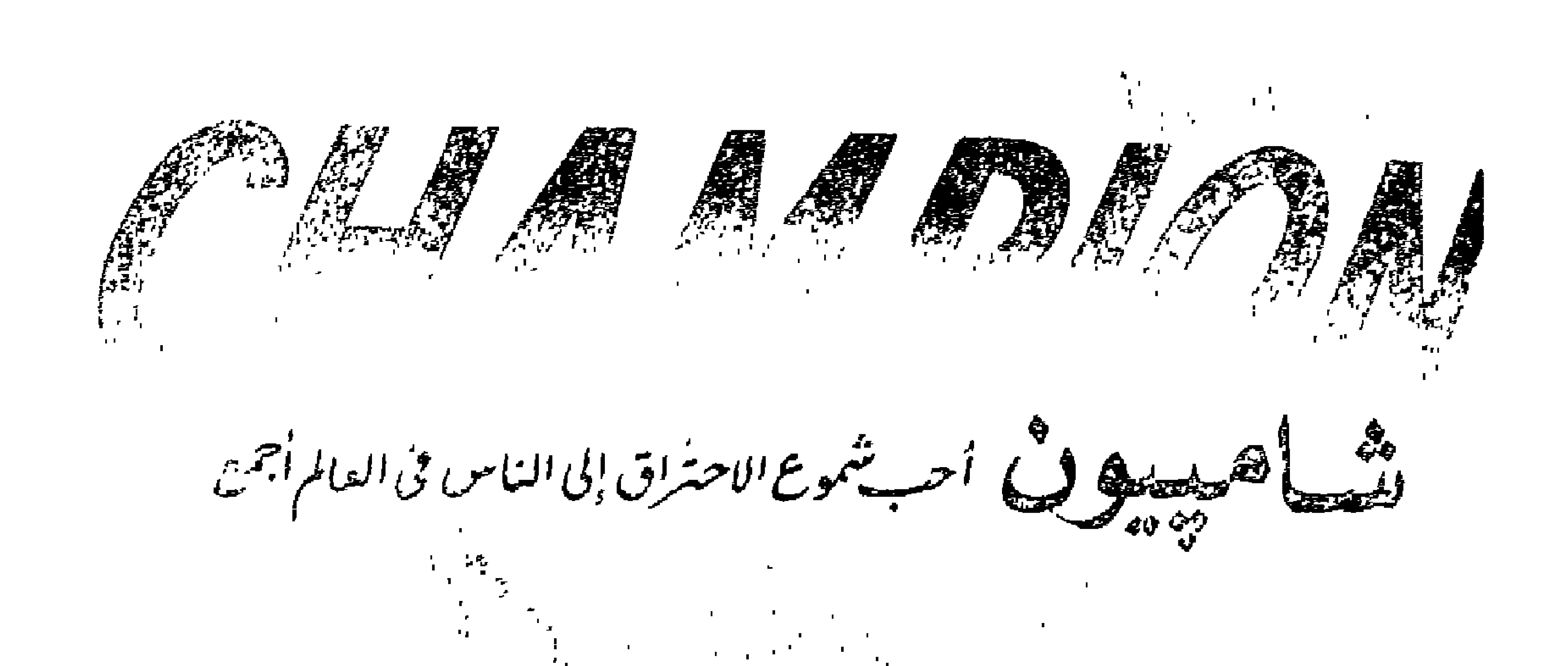
الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة : ولم ف . جبلى .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش . الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ مل
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ،
وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .
العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

الطبعات الدولية

هوبارت لويس ، إدواردو كارديناس ، دجلاس لندن ، ج . ح تزيت (نيويورك ، الولايات المتحدة) .
أونى كيستر (كوبنهاجن ، دنمارك) . روبرتو سانشيز (هفانا ، كوبا) . س . رونسالاين (هلسنكى ، فنلنده)
ترس هارمان (لندن ، إنجلترا) بول و . طمسون ، بيير دونوابيه (باريس ، فرنسا) . برتاهب .
نور آحرين (أستوكهلم ، السويد) . جون كوبر (سدنى ، أستراليا) . دنيس مالك إيفوى ، بونشيرو سوزوكى
(طوكيو ، اليابان) . ه . أوبيرت (أسلو ، النرويج) :

مطبعة مصر ش . م



إذا رأيت أصحاب السيارات في جميع أنحاء العالم،
يؤثرون بحكم العادة التي تعودوها، شيئاً ما في لوازم
السيارات، فتيقن أن ذلك الشيء ممتاز على كل مثيلاته.

وشموع احتراق «شامبيون» المشهورة تقع في
عداد الطائفة من الأشياء.

وعدد أصحاب السيارات الذين يؤثرونها
ويفضلونها يزيد على عدد الذين يؤثرون شموع
الاحتراق الأخرى.

اتبع الأكثرية

واطلب شموع احتراق شامبيون

المخصوصة لسيارتك

Champion Spark Plug Co. • Toledo, U.S.A. • Windsor, Canada • Feltham, Eng



پاركر "٥١"
إن المواد النفيسة الثمينة ، والتصميم الرشيق الممتاز ، والصناعة
الدقيقة التى بلغت أعلى درجات الدقة ، هى التى تنتج هذا القلم
« پاركر ٥١ » ـ أكثر الأقلام طلباً فى العالم. إن اسطوانته
المشيقة تتوازن أحسن توازن فى يدك حين تشرع فى
الكتابة، وسنه الناعمة ـ من دهب ١٤ قيراطا ـ
مغلفة تغليفاً يوقيها الهواء والقذر والأذى.
ثم شىء من السحر! حبر يجف وأنت
تكتب ـ فلن تحتاج إلى ورق نشاف.
THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis U.S.A
الوكلاء العموميون :
الشركة المصرية لعموم التوريدات
١٣ ش قصر النيل بالقاهرة ـ مصر
"يكتب كتابة جافة بمداد سائل!"

السنة الخامسة

المختار من ريدرز دايجست

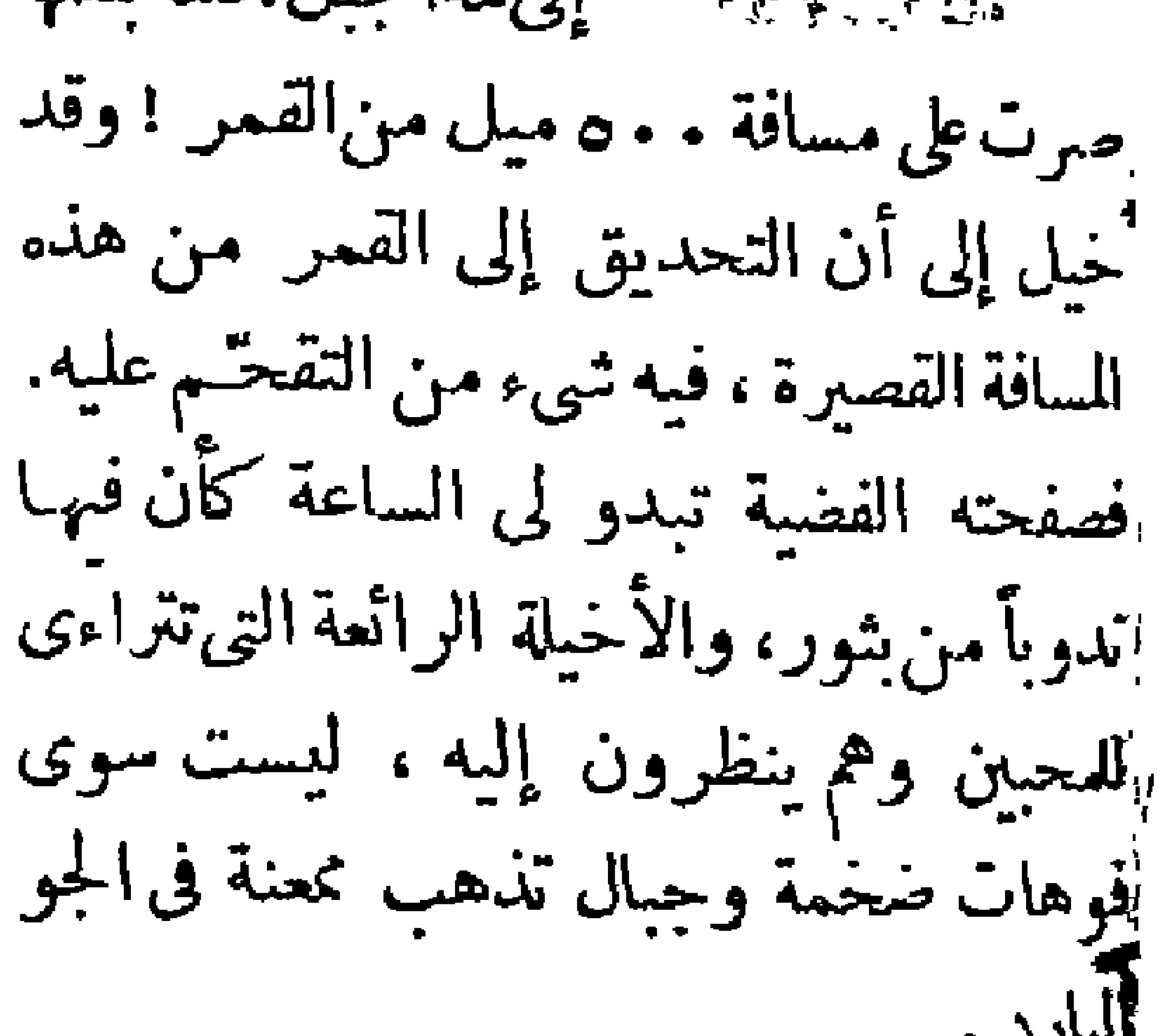
المجلد ٩
العدد ٤٩

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

سبتمبر ١٩٤٧

رحلة في رحاب الفضاء

موريس ماركي
مختصرة من مجلة ((ماك كول))



ركبت سيارتى فى مدينة باسادينا بكاليفورنيا ، ومضيت مصعداً فى طريق وعر إلى قمة الجبل ، فلما بلغتها صرت على مسافة ٥٠٠ ميل من القمر ! وقد خيل إلى أن التحديق إلى القمر من هذه المسافة القصيرة ، فيه شىء من التقحم عليه . فصفحته الفضية تبدو لى الساعة كأن فيها ندوباً من بثور ، والأخيلة الرائعة التى تتراءى للمحبين وهم ينظرون إليه ، ليست سوى فوهات ضخمة وجبال تذهب ممعنة فى الجو البارد .

فرحلة ساعة بالسيارة قد أفضت بى إلى مرصد جبل ولسن ، حيث وجدت أكبر منظار فى العالم ، فلما وضعت عينى على عدسته نفذت ببصرى إلى مسافة بعيدة تجل عن القياس فى رحاب الفضاء التى لاتنتهى .

وكنت قد اطلعت على الحقائق عن هذا المنظار ، فأول شىء استوقفنى أنه منظار ذو مرآة ، لامنظار ذو عدسة ، والمرآة قرص ضخم من الزجاج ، قطره مئة بوصة ، وقد صب زجاجها فى فرنسا ، ثم نقلت إلى أمريكا . فظلت طائفة من الرجال ست سنوات متوالية دائبة على صقلها حتى صار سطحها مقعراً تقعيراً بالغ الدقة . وفى كل يوم يصقل سطح المرآة بالقطن والمادة التى يصنع منها أحمر الشفاه . والمرآة نفسها مركبة فى قعر أنبوب يتجه طرفه الآخر إلى الفضاء ، فإذا التقط سطح المرآة صورة جرم من أجرام السماء ، انعكس عنه بواسطة مرايا أخرى أحكم تنسيق مواقعها ، على لوحة تنظر إليه

من خلال عدسة . والأنبوب مركب على قطعة من الصلب تشبه النير ، والنير طافٍ على زئبق يملأ إناء كالطبل . ومجموع هذه الآلات يزن مئة طن ، ولكن أجزاءها ركبت أحسن تركيب فصارت متوازنة ، فيسهل تحريكها في تتبع النجوم المرصودة وهي سائرة في أفلاكها .

وماذا تستطيع أن ترى بهذا المنظار ؟ أول ذلك أنك تستطيع أن ترى ألف مليون نجم ، والرجل الحديد البصر لايستطيع أن يرى بالعين المجردة أكثر من ستة آلاف نجم إذا كان جو الليل غاية في الصفاء . وإذا بصاحبي ، وهو من علماء المرصد، قد حرك الأنبوب الكبير ، وطلب مني أن أنظر مرة أخرى . فلم أر في أول الأمر سوى وهج مضطرب . فلما تعودت عيني رؤية اللألاء المضطرب الصادر من الصورة المعكوسة عن المرآة ، رأيت رسماً غير واضح يمثل شيئاً يشبه القرص أو العجلة ، وكان مركزه لامعاً مستطيلا ، وتنطلق منه ألسنة طويلة منحنية كأنها من ضباب . وقد اضطربت الصورة قليلا في لمعانها ، ثم استقرت وصارت ثابتة .

وقال صاحبي : « أنت الآن تنظر إلى السديم الحلزوني في صورة المرأة المسلسلة من صور النجوم . وهذا السديم كون كالكون الذي نحن جزء منه ، وهو يدور حول شمس ، والبقعة اللامعة في مركزه هي شمسه ، والألسنة المنحنية هي الكواكب السيارة والنجوم في سحب مستطيلة كدرب التبان أو نهر المجرة ، والضوء الساقط في أنبوب المنظار صدر عن ذلك السديم منذ مليون سنة أو نحوها ، ولم يزل يقطع الفضاء منذ ذلك اليوم بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية . ولعلك لاتجد هذا السديم في مكانه اليوم ، فكل مانعرفه هو أن السديم كان في مكانه ، على هذا الشكل الذي تراه ، منذ مليون سنة ، يوم صدر هذا الضوء منه .

وفي الفضاء سُدُم لا تحصى كمثل هذا السديم ، بل قل ملايين من الأكوان . وأكثرها أضخم من كوننا ، ومنها أكوان تبتعد عن مجموعاتنا الشمسية بسرعة عشرة آلاف ميل في كل ثانية ، والنجوم الواقعة في مركز بعض هـــذه الأكوان ، وهي شموسها ، يبلغ قطرها ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل أو أكثر ، أي أن قطرها يفوق بعد الشمس عن الأرض ضعفين أو يزيد .

وأدار الأنبوب مرة أخرى ، فإذا في زجاجته ضوء لامع متوهج ، هو ضوء طائفة جميلة من الدقائق الصغيرة تتلألأ كأنها مثات من حجارة الماس منثورة على بساط من المخمل الأسود .

فقال صاحبي: «هذا عنقود النجم الكبير
بجوزة هرقل. فأنت ترى الساعة بعينك
١٢٠ نجم وقد اجتمعت معاً، وهى تبعد
.. ٣ ألف سنة ضوئية تقريباً».

ثم مضى فى حديثه وأنا أنظر إلى هذه
ظواهر البديعة: «قلما ننظر من خلال
حاجة المنظار فى أثناء تأديتنا ماعلينا فى
رصد، بل يكاد عملنا يكون منحصراً فى
صور الضوئية، ولا تنس المطياف
(الإسبكترسكوب)، فالمطياف ينبئنا م
بت النجوم، وأى وجوه من التغير تطرأ
ها فى ألوانها المستعرة، وإذا انتفعنا
الآلات الصالحة، كان فى وسعنا أن نقيس
اساً دقيقاً مقدار الحرارة المنبعثة من النجم.
ليس يخفى عليك أن هذه النقط المتلألئة
رحاب الفضاء القصية، تنبعث منها حرارة
ل منها إلى الأرض مقادير قليلة جدا»

والمعامل التى تدرس فيها هذه المقاييس
وتبوب وتعارض وتقارن، قائمة فى مدينة
باسادينا، ولكنك تجد دائماً طائفة من
الرجال على قمة الجبل، وقد خلفوا أسرهم
وراءهم عند السفح. فإذا حل فصل الشتاء
وغصت الطرق بالثلج والصخور المنحدرة،
وصار الطريق مستحيلا على السيارة، ذهب
هؤلاء الرجال إلى المرصد على أقدامهم،
يسيرون تسعة أميال حتى يبلغوا ارتفاع ستة
آلاف قدم، فقد صدر أمر المدير أن يحرص
رجاله على الانتفاع بمعدات المرصد الثمينة
فى كل دقيقة، وأن لا يدعوها وشأنها قط.
وفى المرصد خمسة أو ستة من العلماء
ينفقون حياتهم كلها فى دراسة الشمس، فلا
تطلع الشمس إلا وترى أدواتهم مهيأة
لدراسة أشعتها، فتتبع صورتها خلال منظار
خاص، حتى تستقر وهى تتلألأ على قطعة
مربعة من الورق الأبيض، فإذا هى دائرة
لامعة عليها بقع من ظلال قاتمة تكبر
وتصغر، فهذه هى بقع الشمس. ويلوح
أن هذه البقع هى كتل ضخمة من الغاز
الآخذ فى البرد، وليس غازاً ملتهباً، وهى
تنطلق من جوف الشمس إلى سطحها.
وعساها تكون غازات قد تم احتراقها
أو غازات ميتة بطبيعتها غير قابلة للاشتعال
فى مبدأ أمرها. وهذه البقع فى زيادتها
ونقصانها، تذهب وتعود فى دورة رتيبة من
الزمن، فتحدث فى جو الأرض اضطرابات
كهربائية مغنطيسية عنيفة، فتضطرب أمواج
الراديو وأسلاك البرق. وليس ثمة ريب فى
أنها تؤثر فى حالة الجو. وقد يتمكن العلماء
فى المستقبل من أن يتنبأوا بما تكون عليه
حالة الجو على مدى بعيد، من دراسة نشاط
البقع الشمسية.

وأدار صاحبي فى أثناء الحديث أنبوب

المنظار، فإذا جسم كالخوخة جميل ذهبي اللون قد صار فى نطاق البصر ، وهو يتلألأ قليلا، وكان يبدو قريباً حتى خيل إلى أنني أستطيع أن أمد يدى فألمسه

فقال صاحبى : « هـذه هى الزهرة ، أقرب الكواكب السيارة إلى الأرض ، وحجمها يكاد يكون مماثلا لحجم الأرض ، وبعدها عن الشمس قريب من بعد الأرض عنها ، فأحوال الجوّ على سطحها تقارب أحوال الجو على سطح الأرض ، فهى لذلك أدنى الكواكب السيارة إلى توفّر الأسباب على سطحها لحياة تماثل الحياة على الأرض . ولكننا لا نستطيع أن نتبين حقيقة ذلك كله ، لأن الغيوم تغشى الزهرة تماماً ، ولم يتح لأحد أن ينظر إلى سطحها . وهـذه الغيوم تدلُّ على وجود بخار الماء ، والماءُ ضرورى للحياة كما نعهدها ، فوجود هذه الغيوم قد يؤخذ دليلا من الأدلة على أن أسباب الحياة موفورة على الزهرة .

فقلت : « وما قولك فى المريخ ؟ »

فقال : ليس بيننا أحد استطاع أن يرى شيئاً يقنعه بوجود أحياء عاقلة على المريخ — بل قل بوجود أحياء على الإطلاق ، فالبرد شديد هناك لبعد الكوكب عن الشمس . ويلوح أن جو المريخ فيه بخار الماء ، لأن الغيوم تكثر وتقلّ ، والخطوط البادية على سطحه لها شيء من التنسيق والانتظام .

« ويرى بعض أهل النظريات العلمية أن هذه الخطوط تمثل شبكة من الترع صنعها الناس، ولكن الفصل فى ذلك شيء مستحيل . فالناس ، كما نعرف الناس ، لا يستطيعون أن يعيشوا على سطح المريخ، لأن برده قارس، ولكن قد يوجد على سطح المريخ أحياء عقلاء يصوّبون نظرهم إلينا ويقولون : ليس فى قدرة الناس أن يعيشوا على الأرض، فحرُّها كفيل بأن يقتلهم » .

ثم عدّل صاحبى المنظار تعديلا يسيراً وهو يقول : « سوف أتيح لك الآن أن ترى أروع المشاهد جميعاً » .

فرأيت زُحَل، غريبة الأجرام، زحل ومن حوله حلقاتهُ التى تدور — ثلاث حلقات تحيط بالكرة البرتقالية اللون ، صورة من الضياء الخابى ، وكوكب بعيد متفرد فى رحاب الجوّ الأسود .

قال : « ليست الحلقات مركبة من غازات أو سوائل — بل هى أجسام صغيرة تدور حول الكوكب السيار كما يدور القمر حول الأرض ، والحرف الداخلى لنطاق الحلقات يبعد ٧٠٠٠ ميل عن سطح زحل، ويغلب أن يكون الفرق بين الحلقات الثلاث، إنما هو فرق فى كثافة الأجسام التى تتألف منها كل حلقة . والحلقات رقيقة

كحد السيف، ويجىء يوم فى خمس عشرة سنة فلا نستطيع أن نراها لأنها تكون على مستوى واحد مع خط النظر فلا نُرى حرفها الدقيق » .

فقلت : « هذا شىء كالذى يراه النائم فى نومه ، ومن العجب أن يكون فى وسعى أن أجلس وراء هذا النظار وأراه رأى العين . وما أعجب أن يعلم المرء أنه لن يجد فى السموات كلها شيئاً كمثل هذا ! »

فقال : « إن النجوم مؤلفة من الغبار الكونى الذى لا يزال يدور حتى يجتمع فيما يشبه الكرة ، ثم ربما تفاعلت العناصر الداخلة فى تركيب الغبار من غازات وجوامد فتتقد وتشتعل » .

فقلت : « أتسمح لى أن أرى النجم المعروف باسم يد الجوزاء ؟ »

فوجد النجم وضبط صورته فى المنظار ، فرأيته يتوهج ، فهو مليون شمس فى شمس واحدة . وخيل إلىّ كأننى أسمع هدير الأتون المستعر الذى لا ينقضى له استعار منذ بدء الخليقة إلى أن يحل ذلك اليوم الذى يفقد فيه الزمان ما ينطوى فيه من معان . وتذكرت ذلك التشبيه الذى أورده جيمس جينز فى أحد كتبه : « نجم يد الجوزاء هو أكبر شىء عرفه الإنسان . والإلكترون هو أصغر شىء عرفه . وإذا تدبرنا حجم الإنسان وجدناه وسطاً بين حجم يد الجوزاء وحجم الإلكترون » .

فذكرت لصاحبى ماخطر لى . فقال : « وقد قال جينز أيضاً : إن فى الكون من النجوم كمثل حبات الرمل على جميع شواطىء الأرض. وهذا قول قد يشق تحقيقه ، ولكنه صادق فى مبداه ، لأن عدد نجوم السماء يكاد يكون شيئاً لاحد له .

« ومنذا الذى يستطيع أن يدرك ماتحتويه هذه الرحاب التى لايدركها البصر ولا التصور ؟ »

فقلت : «مستحيل علينا أن نرى النهاية» .

فقال : « لأنه ليس ثمة نهاية » .

فلما هبطت من قمة الجبل ، بدت لى المدنية أصغر شأناً وأقل وقعاً فى النفس ، وأحسست أن مركبات الترام ، ودور السنما ومبانى المكاتب الشاهقة ، ومحطات تعبئة الوقود ، قد فقدت مالها من خطر فى حياة الناس كل ثانية من ثوانى أيامهم . والمرء يحس بالدعة والتواضع ، متى ألقى ببصره إلى هذه الأجرام الهادرة فى رحاب الفضاء ، النافثة ناراً مع أنفاسها ، الحارسة لأبواب اللانهاية . وهو يحس بالدعة والتواضع أيضاً ساعة يعود إلى هذه الكرة الحقيرة من التراب التى تدور دوراناً لانفع فيه ، فى زاوية صغيرة من رحاب الفضاء .

تحليل دقيق لحالة العالم اليوم
تنشره احدى الصحف العالمية العظيمة

بعد مؤتمر موسكو

مختصرة من افتتاحية صحيفة «نيويورك تايمز»

عقد مؤتمر موسكو الخطير ليعدّ معاهدات الصلح مع ألمانيا والنمسا ، فلم يوفّق إلى ما يريد ، بل أخفق أعضاؤه فى الاتفاق على المبادىء التى ينبغى أن تقوم عليها المعاهدات ، مع أن قواعدها وضعت فى ميثاق المحيط الأطلسى ، وفى اتفاقات طهران ويالتا وبوتسدام ودستور هيئة الأمم المتحدة .

أما ما فعله مؤتمر موسكو فهو أنه امتحن أغراض روسيا وأغراض الغرب امتحاناً دقيقاً ، فأثبت الامتحان أن الدول المؤتلفة التى انتصرت فى الحرب لا تزال عاجزة عن تشييد صرح السلام ، وإذن فلابد من أن تظل الريبة والخيبة تقضّان مضاجع الناس.

أما أسباب هذا المأزق فقد صارت قيد التاريخ . فقد نصّت الاتفاقات التى عقدها الحلفاء زمن الحرب على تجريد ألمانيا من سلاحها ، وتطهيرها من النازية ، وجعلها دولة ديمقراطية ، وسلخ بعض أراضيها عنها ، وإقامة نظام الحكم فيها على قاعدة «اللامركزية» السياسية والاقتصادية ، مع الاحتفاظ بها وحدة سياسية اقتصادية تستطيع أن توفى مال التعويض المفروض عليها من فائض رأس مالها الصناعى ، وأن تعول نفسها دون معونة من الخارج . ثم إن الاتفاقات التى عقدت زمن الحرب نصت أيضا على جعل النمسا دولة حرة مستقلة ، وأن تعامل معاملة بلد تم تحريره ، وأن تعفى من كل تعويض

وقد حاولت الولايات المتحدة وبريطانيا أن تحققا هذه الأغراض فى مؤتمر موسكو بجعل ألمانيا دولة ديمقراطية مؤلفة من دول تتمتع بالاستقلال الذاتى ، وتحكمها حكومة اتحادية ذات سلطان محدود ، وأن تكون سعة أرضها بحيث يتيسر لها أن تعول العدد المتضخم من سكانها دون مغالاة فى توسعها الصناعى ، حتى لا تصير خطراً على السلم مرة أخرى . وأرادت الولايات المتحدة أن تثبت حسن نيتها فعرضت أن تعقد محالفة طويلة الأجل بين الدول الأربع الكبرى ، غرضها أن تبقى ألمانيا مجردة من السلاح ، فيكون ذلك ضماناً لسلامة الجميع وأمنهم . أما فرنسا

فقد قبلت من هذا النهج ما يكفى لقيام تآزر يكاد يكون كاملا بين دول الغرب .

أما روسيا فقد أنكرت الاتفاقات المعقودة زمن الحرب فى شأن ألمانيا والنمسا ، وحاولت أن تعرض شروطاً جديدة على الدول المغلوبة وعلى شريكاتها فى النصر ، فقد طعنت فى جعل مقاطعة السار جزءاً من الوحدة الاقتصادية الفرنسية بحجة أن هـذا العمل « تقطيع لأوصال ألمانيا » ، ولكنها أصرت على أن تضم إلى روسيا نفسها وإلى بولندة نحو ربع أرض ألمانيا الصالحة للزراعة ، وأن تطرد من تلك الأرض سكانها الألمانيين ليعيشوا فى الريخ بعد انقطاع نحو ربعه منه . ولو تم عمل كهذا لكان لزاماً على الحلفاء الغربيين أن يختاروا أحـد أمرين : إما أن يعيدوا ألمـانيا دولة صناعية ويروجوا لمصنوعاتها فتنافس مصنوعاتهم ، وإما أن يكفلوا لهـا الطعام على حساب شـعوبهم ، أو يدعوها تتضور حتى تلقى بنفسها فى أحضان الشيوعية .

وقد حرصت روسيا فى الوقت نفسه على مطالبة ألمانيا بأن توفى تعويضاً يزيد على ثلاثين بليون ريال بالسعر الراهن ، وأن يكون معظمـه من إنتاجها السائر ، وأن يكون نصيب روسيا منه خمسين فى المئة . ومؤدى هذا أنه لزام على الدول الغربية أن تنفق من رؤوس أموالها على تعزيز الصناعة الألمانية حتى تصير قادرة أن توفى هذه المقادير ممـا يفيض عن حاجتهـا . فإذا تم ذلك قبضت روسيا بيدها القوية على الصناعة الألمـانية من طريق التعويضات المطلوبة .

وقد أصرت روسيا على قيام دولة ألمانية تقبض على زمام السلطان فيها حكومة مركزية تتجه فى نظامها إلى مثال النظام القائم فى روسيا ، وأن لا يكون الحكم فيها للأحزاب السياسية التى تظفر بالأكثرية وحسب ، بل أيضاً لاتحادات العمال التى أخذت الإدارة الروسـية تخضعها للهيمنة الشيوعية ، وأن يشترك مع الأحزاب واتحادات العمال فى الحكم ، هيئات معروفة توصف بأنها «ديمقراطية» و«مقاومة للفاشية» وهى شيوعية فى لبابها

وسعت روسيا إلى تعزيز سلطانها فى النمسا بالاستيلاء على الأموال النمسوية التى فى متناول يدها بحجة أنها « مقتنيات ألمانية » ، فلما حالت دون عقد المعاهدة مع النمسا ، تمكنت من أن تحتفظ بجيوش روسـية فى ڤينا ، وبخط المواصلات اللازم لها فى قلب البلقان .

لم تكن شروط روسيا هذه سوى خطة للسيطرة على أوربة ، والمأزق الذى بلغـه مؤتمر موسكو فى موضوع معاهدتى الصلح مع ألمانيا والنمسا ، ليس هو الشىء الوحيد الذى يدل على الهوة التى شقتهـا المطامع الروسية بين روسيا والغرب .

وأنت ترى هذه الهوة أيضاً في البلقان حيث تحاول روسـيا أن تحيل دوله جماعة من الجمهوريات السوفيتية ، على الرغم من العهود الخطيرة التي قطعتهـا زمن الحرب بأن تتيـح للبلاد الأوربية التي تم تحريرها ، فرصة لاختيار حكومات حرة قائمة على إرادة الشعب .

وذلك واضح في بولنـدة . فقد نصت وثيقه بوتسدام على انتخابات حرة ، فلما تمت كانت مهزلة ، وطرحت حكومة لوبلين التي تؤيدها روسيا كل زعم بأنها حكومة تمثل إرادة الأكثرية .

وهو واضح في الصـين أيضاً ، حيث تنكرت روسيا لعهودها بأن تسدى العون العسكرى والأدبى لحكومة الصين القومية دون غيرها ، في مقابل الامتيازات التى انتزعتها من الصين بإلحـاح الحكومة الأمريكية .

وهو واضح في كوريا ، التى تقرر أن تعد دولة مستقلة تمَّ تحريرها ، ولكن روسيا حرصت على قسمتها ، وسعت إلى إخضاعها لسلطانها بأساليب أوضح من الأساليب التى اتبعتها في ألمانيا .

وهذه الهوّة واضحة أيضاً في المأزق الذى بلغته المباحثات في شأن القنبلة الذرية ، فقد عرضت الولايات المتحدة أن تنزل عن القنبلة إذا تمّ الاتفاق على ضمانات وافية ، ولكن روسيا دأبت على رفض هذا العرض . وهى واضحة أيضاً في عمل الأمم المتحدة التى كادت روسيا تشله باللجوء إلى حقّ الاعتراض ، وبرفضها أن تشترك في عمل الهيئات النوّعة التابعه لهـا . وهى واضحة في مساعى روسيا لإرجاء إنشاء القوة البوليسية الدولية .

وخلاصة القول أن خطة روسيا بينة فى جميع أرجاء الأرض ، وليس لهذه الخطة أى صلة بضمان الأمن ، بل هى مسيرة بدافعين أصيلين — روح التوسع المأثورة في تاريخ روسيا ، وروح الشيوعية المتعصبة التى ترى العالم غير السوفيتى عدواً لدوداً ، وترمى في آخر الأمر إلى قيـام ثورة عالمية . وإن اللثام ليتكشف يوما بعد يوم عن أن الأغراض التى تسعى روسيا إليها مناقضة للعهود التى قطعتها زمن الحرب ، بل يتكشف عن أن هذه الأغراض تزداد وتتسع وفقاً لما تتوسمه من الضعف في الدول التى يحتمل أن تكون خصوماً لها .

إن ما كسبته روسيا من مكاسب إقليمية وسياسية واقتصادية ، هو أعظم ما كسبته أية دولة بعد أية حرب . ومع ذلك ترى روسيا ماضية في خطة التوسع — عن طريق الضغط السياسى والعسكرى كما ترى في ألمانيا والنمسا ، أو عن طريق الحكومات التى

تمالئها كما ترى فى شرق أوربة ، أو عن طريق التغلغل والطابور الخامس والحرب الأهليــة كما ترى فى اليونان والصين ، أو عن طريق العرقلة المقصودة لكل سعى يبذل من أجل السلام والتعمير . ولن تجد خطة أفضل من هذه الخطة لحفظ العالم متردِّياً فى هوَّة الاضطراب والمصاعب الاقتصادية، وجعله مهيأ بعد حين للشيوعية.

وليس فى الحالة الحاضرة سوى أمل واحد . فمن المعقول أن روسيا لا تستطيع اليوم أن تخوض غمار حرب، وأنها لا تريد قيام حرب ، وتدل التجربة على أنها لا تلبث أن تتراجع إذا وجدت نفسها أمام مقاومة حازمة ،كما فعلت فى إيران وتريستة . فمرونة الروس وقدرتهم على مطابقة سياستهم لما تقتضيه الحال ، هى التى ينبغى أن تكون قاعدة لسياسة الغرب ، إذا ماقدِّر للعالم أن يخرج من هذا المأزق الذى ارتطم فيه .

وينبغى أن تقوم سياسة الغرب على ثلاثة أصول : ينبغى أن تتفق دولهُ على أن تملأ كل فراغ يغرى الروس بالتوسع ، فقد بلغ توازن القوى مبلغاً عظيما من الدقة ، حتى إذا خضعت دولة أخرى للسيطرة الروسية كان ذلك خليقاً أن يجرّ فى أثره انحراف قارة بأسرها إليها . ثم ينبغى لدول العالم الغربى والدول التى ترضى أن تنضم إليها ، أن تنظم حالها وتدبر أمرها حتى تحقق أغراض السلام والرخاء ، دون أن تنفض يدها من الدول الواقعة الآن وراء الستار الحديدى ، فهـذه هى الطريقة الوحيدة لإنقاذ العالم الغربى من الإفلاس ، ولإقامة الدليل لروسيا نفسها ، على عظم المنافع التى تجنيها إن هى انضمت إليه . وأخيراً ينبغى لسياسة الغرب أن تعنى أدق عناية بمصالح روسيا المشروعة ، حتى يتجنب الغرب عداء طاغيًا خليقاً بأن يصير خطراً على السلام .

فإذا سار الغرب على سياسة كهذه السياسة، كان ثمة أمل فى الخروج من المأزق ، وفى أن تجد روسيا ودول الغرب أسباباً للتفاهم بينهما تغرى بالتعاون والتآزر من أجل المصلحة المشتركة . وهذه السياسة تنطوى أيضاً على أقوى رجاء يعقده الناس على أن تظل فكرة « الأمم المتحــدة » وفكرة « عالم واحد » بمنجاة من الضياع والبوار .

صورة لاذعة : المرأة كالعقرب تشقُّ طريقهــا فى الحياة بمدع من يقف فى سبيلها . [ديل كولنز]



مختصرة من كتاب
« أسكار وايلد ، حياته وفكاهته »
تأليف هسكيث بيرسون

سمع جراهم روبرتسون صديقه اسكار وايلد يقص هذه القصة مرارا ، وكانت ذاكرة روبرتسون قوية قوة خارقة ، فالرواية التالية تكاد تكون مفرغة فى كلمات وايلد نفسه .

كانت عمتى جين قد بلغت من الكبر عتيًا ، وكانت شديدة الكبرياء ، تسكن وحدها فى بيت قديم فخم منعزل فى مقاطعة تبرارى . وما كان أحد من جيرانها يزورها ، ولو فعلوا لما سرّها أن تراهم ، فقد كانت تخشى أن يروا الطرق فى أرضها وقد علتها الحشائش والأعشاب ، أو الغرف المغلقة وقد حال لون أثاثها ورياشها. ثم إن السيدة نفسها قد ذوى جمالها وانفضّ عنها أصحابها ، وفقدت ما كان لها من سلطان فى ريفها ، فما هى إلا عجوزٌ لا أنيس لها ، وقد أبلى الدهر أيامها .

وكانت السنون تمرُّ بها وهى جالسة وحدها فى غسق حياتها ، لا تعرف شيئاً عما يحدث فى سائر الدنيا . ولكن جاء شتاء فإذا العمة جين قد أخذت تحسّ بموجة من الروعة والاهتمام تكتسح جيرتها . فقد نزل قوم طارئون على المنطقة فى البيت الجديد الذى شيِّد على الأكمة ، وهم يتأهبون لإقامة حفلة راقصة لم يسمع أحد بمثلها من قبل . هذه أسرة ريان الواسعة الثراء . فقالت العمة جين : « من تكون أسرة ريان ؟ إنى لم أسمع بها من قبل . ومن أين أتوا ؟ » فلما علمت أن هذه الأسرة ليست عريقة ، ولا نبتت فى مكان معروف ، وأنها تشتغل بالتجارة ، وقع ذلك عليها وقع الصاعقة .

وقالت العمة جين : « ترى ماذا يظنُّ هؤلاء المساكين ؟ ومن ذا الذى يهمه أن يلبي الدعوة إلى حفلتهم ؟ » فقيل لها إن كلّ مدعوٍ سوف يلبيها ، بل لقد لبّاها كلُّ مدعوّ ، وسوف تكون حفلة رائعة .

فلما عرفت العمة جين ذلك سخطت سخطاً عظيما . بئس ما انتهى إليه أمر هذه البقعة ! والذنب ذنبها ، فقد كان ينبغى عليها

أن تكون فى الطليعة ، ولكنها اكتفت أن تقبع فى دارها وهى سابحة فى بحار التأمل ، بدلا من أن ترفع راية النضال بيدها . ويومئذ حزمت العمة جين أمرها على أمر خطير : سوف تقيم حفلة راقصة فخمة ، وسوف تعود سيرتها الأولى فى المجتمع ، فتبين للناس كيف تفتح السيدة الكبيرة بيتها للضيوف والزوّار والحفلات والمآدب . وإذا كانت القاطعة قد نسيتها وأغفلت أمرها ، فلتنقذنّ القاطعة من أهل الوقاحة الذين طرأوا عليها .

وهبّت من فورها تعمل ، فأعادت طلاء بيتها القديم ، وجددت أثاثه ورياشه ، واهتمت باستئصال الأعشاب وزرع الشجر والزهر ، وأمرت بإعداد العشاء فى لندن ، وبإحضار فرقة الموسيقى منها ، وتعاقدت مع طائفة كبيرة من الندل لخدمة ضيوفها . فكل شىء تعده لهذه الحفلة ينبغى أن يكون أحسن شىء وأفضله — ولن تعبأ بالنفقة ، فهى سوف توفيها مهما كانت ، ولو وقفت ما بقى من حياتها على هذه التوفية .

وأخيراً جاءت الليلة العظيمة فأضيئت أرضها على مسافة ميلين بمصابيح ملوّنة ، وازدهى البهو والدرج بالأزهار والرياحين ، وكانت أرض حجرة الرقص ناعمة لامعة كأنها صفحة المرآة . ونزلت العمة جين من غرفتها لابسة ثوباً فاخراً والماس يتألق عليها ، فهبّ رجال فرقة الموسيقى ثم انحنوا ، ومضت هى فوقفت عند باب المرقص .

وظلت هناك تنتظر ، ومرّ الوقت ، وصار الخدم يتبادلون النظر متسائلين ، وضبط الموسيقيون أوتار آلاتهم مرتين أو ثلاث مرّات ليبينوا عن حماستهم وشوقهم إلى العزف ، ولكنّ أحداً من الزوّار لم يحضر . ومع ذلك فقد ظلت فى ثوبها الجميل واقفة تنتظر عند باب المرقص . الساعة الحادية عشرة ، الساعة الثانية عشرة ، منتصف الساعة الأولى .

وأخيراً التفتت إلى الموسيقيين وانحنت تحييهم وقالت : « تفضلوا وتعشوا . لن يحضر أحد الليلة » . ثم صعدت إلى حجرتها حيث وافتها منيتها — أى أنها لم تفه ببنت شفة بعد ذلك ، ثم جاءها أجلها بعد ثلاثة أيام .

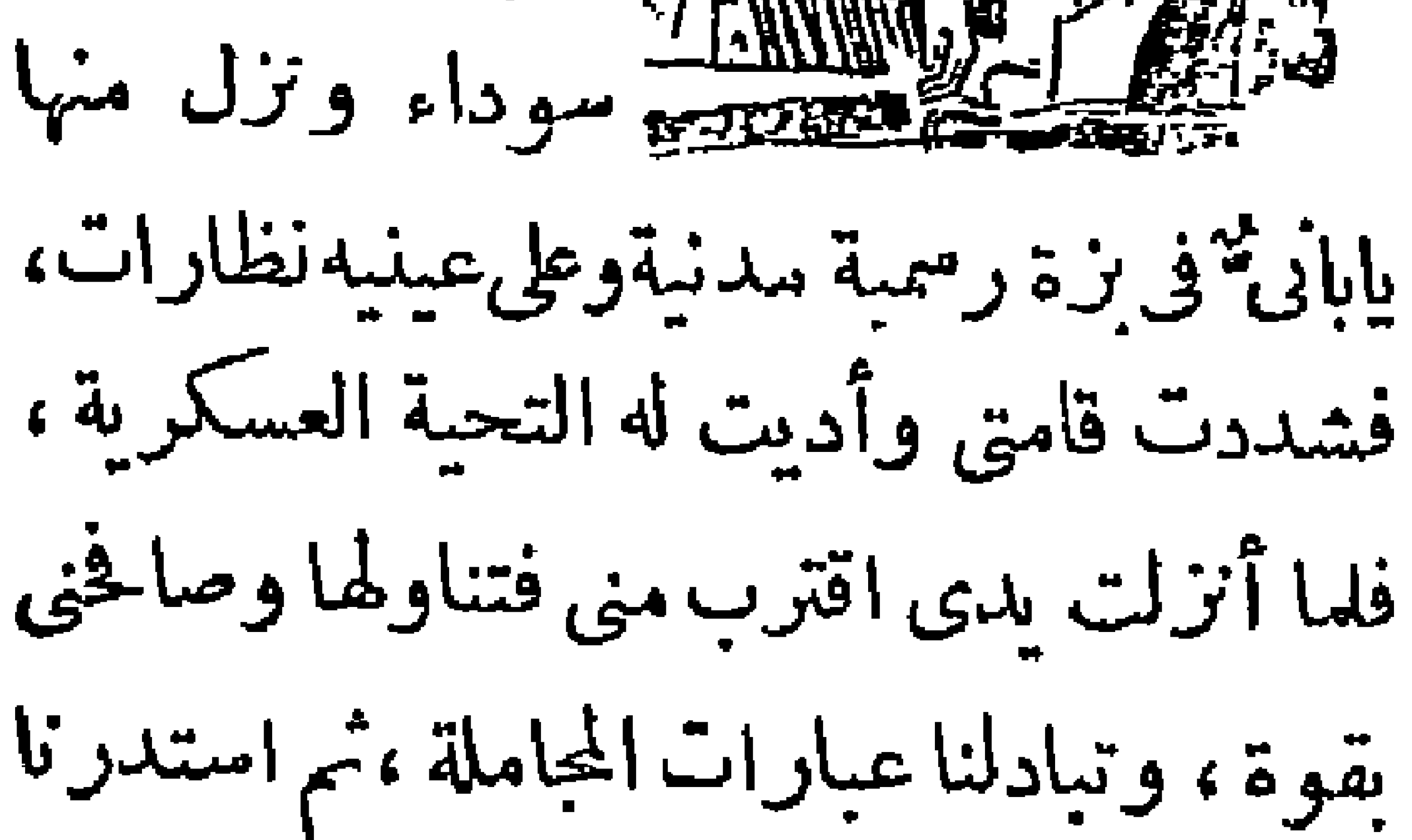
ولم يعلم الناس إلا بعد وفاتها بزمن طويل ، أن العمة جين نسيت يومئذ أن ترسل رقاع الدعوة إلى ضيوفها .

كانت النجوم كأنها جواهر ألماس على بساط من المخمل الأسود [وليم لوك]

ما دار فى الخفاء من اجتماعات تحدى فيهـا امبراطور اليـابان الزعماء العسكريين وفرض عليهم التسـليم

كيف سلّمت اليابان

الكولونل بونر فلرز
مختصرة من مجلة «السلك السياسى الخارجى»



وقفت ذات يوم فى خريف سنة ١٩٤٥ بباب السفارة الأمريكية بطوكيو، فأقبلت سيارة فخمة سوداء ونزل منها يابانى فى بزة رسمية مدنية وعلى عينيه نظارات، فشددت قامتى وأديت له التحية العسكرية، فلما أنزلت يدى اقترب منى فتناولها وصافحنى بقوة، وتبادلنا عبارات المجاملة، ثم استدرنا

كان الكاتب بونر فلرز ضـابطا فى هيئة أركان حـرب ماك آرثر، وكان موكلا بشن حرب الأعصاب على اليابان الى يوم تسليمها. ثم طار الى طوكيو مع ماك آرثر وظـل سنة سكرتيرا حربيا له، ثم سـكرتيرا عاما لمجلس الحلفاء سبعة أشهر أخـرى. وقـد فحص أقوال وزراء اليابان وكبارها، وراجع الامبراطور نفسه بعض هـذه المـذكرات ولخص الصراع الذى دام عشرين سنة بينه وبين العسكريين.

وسرنا جنباً إلى جنب ودخلنا السفارة.

وهكذا أتاح لى منصبى، وهو كاتم أسرار الجنرال ماك آرثر، أن ألقى هيروهيتو إمبراطور اليابان. وقد تسنى لى بعد ذلك أن أعلم منه ومن وزارته ما خفى وراء قصة تسليم اليابان من حقائق لا يكاد يصدقها العقل.

وتثبت هذه الحقائق إثباتاً قاطعاً أن روسيا أفسدت مراراً محاولة اليابان عرض الصلح على الحلفاء قبل تسليمها بستة أشهر، إذ كانت روسيا قد عقدت عزمها على أن تجمع فى يدها عوامل السيطرة على الشرق، أرضه وسياسته، ولهذا جعلت من خطتها أن تدخل الحرب فى أوفق وقت لها.

ويرجع قرار الإمبراطور بالتسليم ومحاولته الاستعانة بالوساطة الروسية إلى يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٤٥ بعد أن احتلت جيوش ماك آرثر مدينة مانيلا، وقبل انفجار أول قنبلة ذرية فى اليابان بتسعة أشهر. فقد استدعى

الإمبراطور الأمير كونوى الذى تولى رياسة الوزارة ثلاث مرات، والمعروف بميله إلى السلم، وانعقد مؤتمر فى القصر ، وأخذ الإمبراطور يذرع أرض الحجرة وهو مضطرب الأعصاب، ثم صرح بغير مواربة أنه مؤمن بأن الهزيمة محققة ، ولكن العسكريين مصممون على مداومة القتال ، فهم يقولون إن ما يشترطه الحلفاء من التسليم بلا شرط ولا قيد لا يعنى إلا إلغاء النظام الإمبراطورى .

وقال كونوى للإمبراطور إنه لا يعتقد أن أمريكا سوف تواصل الحرب لا لشىء إلا لرغبتها فى القضاء على الأسرة الإمبراطورية . فأقره الإمبراطور على رأيه ، ولكنه قال إن العسكريين يسيطرون على كافة طرق المواصلات ، ولذلك يستحيل الاتصال رأساً بالولايات المتحدة. وكان أكبر همّ الإمبراطور أن يعرف هل يساعده كونوى فى مفاوضات التسليم ، فسارع كونوى بالإعراب عن استعداده للمساعدة . ومنذ ذلك اليوم أخذ الإمبراطور يزداد شدة فى معاملة العسكريين.

فقد لفت نظرهم إلى أنهم دأبوا على الكذب فى تصوير سير الحرب ، حتى بلغ بهم الأمر أنهم أنبأوا الجنود بأن الجيوش اليابانية قد نزلت على شاطىء أمريكا الغربى، وأن عدد ما يدعون إغراقه من البوارج يزيد على كل ما تملكه الولايات المتحدة منها، ثم أنبأهم أنه أمر هيروتا وزير الخارجية أن يفتح باب مفاوضات الصلح بصفة غير رسمية، وذلك عن طريق السفارة الروسية فى طوكيو . فوقع هذا التقريع وقع الصاعقة على العسكريين ، ثم وافقوا بعد لأى على قرار الإمبراطور آملين أن تحول وساطة روسيا دون هجومها على منشوريا .

ولكن ماليك، سفير السوفيت فى طوكيو، استقبل هيروتا استقبالاً فاتراً ، وظل يراوغ فى محادثاته معه أشهراً عديدة ، واشترط فى مقابل الوساطة وحدها شروطاً عجيبة حملت العسكريين اليابانيين على التشدد من موقفهم. وعلم الإمبراطور أثناء ذلك عن طريق ساتو، سفير اليابان فى موسكو، أن روسيا لا ترحب بالصلح ترحيباً تاماً ، وترفض الدخول فى مباحثات إلا على أساس التسليم بلا شرط ولا قيد ، مع أنها ليست فى حرب مع اليابان.

وحينئذ اعتزم الإمبراطور أن يخطو خطوة جريئة ، فأسند فوراً منصب رياسة الوزارة إلى كانتارو سوزوكى ، وهو رجل صعب المراس ، يبلغ من العمر ٧٧ سنة ، ومعروف بميوله إلى السلم ، حتى إن الثوار من الشباب العسكرى أطلقوا عليه الرصاص سنة ١٩٣٦ ، ولم يتركوه إلا ظنًّا منهم أنهم قد أصابوه . وأراد الإمبراطور أن يبرهن للحلفاء بهذا التغيير على رغبة اليابان فى

الصلح. ولما كانت صداقته مع رئيس وزرائه الجديد ، صداقة قديمة العهد ، فقد شعر الإمبراطور لأول مرة منذ بدأت الحرب أنه يجد بجانبه زعيما يركن إليه ويثق به . وأفضى إلى سوزوكى فى اجتماعات سرية أنه أصبح لا يثق بهيئة أركان الحرب ، ولا يفهم لماذا تركب رأسها وتواصل حرباً لا أمل فيها، وإنها الجريمة أن تعرّض نفوس أخرى للهلاك.

ولشد مادهش الإمبراطور وسوزوكى حينما لم يصلهما أى عرض للمفاوضة من قبل الحلفاء ، ومر الوقت بطيئاً من شهر إبريل إلى شهر مايو . هذا وعزم الإمبراطور على إنهاء الحرب يزداد يوماً بعد يوم ، وأنزلت غارة واحدة من القلاع الطائرة على طوكيو ١٨٥٫٠٠٠ إصابة بسكانها. وكان الإمبراطور نفسه حين يمشى فى حدائق قصره كئيباً واجماً ، يلتقط أحياناً منشورات أمريكية ألقتها الطائرات تنذر بغارات أخرى مماثلة . ومع ذلك دأب العسكريون على الادعاء بأن الأمريكيين إذا نزلوا الشواطىء اليابانية ، فإنهم سيرتدون مندحرين، وتحل بهم خسارة جسيمة تزيد من قوة مركز اليابان عند طلب الصلح .

واستمرت القنابل تنهال من الطائرات على المدن اليابانية الكبرى ، على حين انصرف الإمبراطور وسوزوكى إلى العمل سراً طوال شهرى مايو ويونيو بغية الوصول إلى صيغة مقبولة للتسليم، وأسرّ الإمبراطور إلى حاشيته أنه عازم على إنهاء الحرب ، غير عابىء بما سوف يصيبه هو نفسه . وأخيراً استطاع سوزوكى بعد معركة حامية فى المجلس الأعلى ، أن ينال موافقة أعضائه على محاولة الاتصال رأساً بموسكو سعياً للسلم . ولكن هؤلاء الأعضاء ، لم يستطيعوا حتى بعد صدور ذلك القرار أن يحملوا أنفسهم فعلا على بدء المفاوضات . وكان هذا التأخير آخر قطرة طفح بها كأس الإمبراطور المتعب المكدود ، فانتظر أياماً ثم أصدر فجأة أمره إلى المجلس الأعلى بأن ينفذ قراره فوراً .

وفى يوم ٢٢ يونيو أمر الإمبراطور أن يذاع بالراديو بيان « فى ألفاظه تلميح » يكشف عن عزمه على أن يتولى بنفسه قيادة اليابان دون أن يخضع للبرلمان أو للجيش والأسطول .

ونظراً لتحكم العسكريين فى طرق المواصلات ومنعهم الاتصال المباشر بالولايات المتحدة ، فقد أمر الإمبراطور سوزوكى فى ٧ يوليو أن يطلب من روسيا أن تأذن بأن يسافر إلى موسكو مندوب يمثل الإمبراطور . وكان اختيار الإمبراطور قد وقع فعلا على كونوى للقيام بهذه المهمة ، وترك له كامل الحرية فى الاتفاق على السلم

بأى ثمن ، حتى التسليم للحلفاء بلا شرط ولاقيد ، وذلك ليتسنى للإمبراطور أن يعلن موافقته على نتيجة المفاوضات قبل أن يصل خبرها إلى العسكريين .

ولكن هذه الخطة أخفقت أيضاً ، فأرسلت يوم ١٠ يوليو برقية إلى موسكو يطلب فيها استقبال الأمير كونوى ، وتلاحقت الأيام دون أن يرد الجواب . وبعد وصول هذه البرقية بأربعة أيام غادر ستالين ومولوتوف مدينة موسكو إلى بوتسدام ، وهما لائذان بصمت عجيب وأخيراً أرسلت موسكو يوم ٢٢ يوليو برقية تطلب فيها « بيانات أوفى عن أغراض بعثة الأمير كونوى » ، فأجاب الامبراطور أن اليابان تود أن تتوسط روسيا فى السلم. ولم يرد أى جواب عن هذه الرسالة الثانية.

وكانت الحكومة الأمريكية على علم بهذه الخطوات كلها إلا مفاوضات السفير ماليك . وعلاوة على ذلك فإن مستر هوفر الرئيس السابق للولايات المتحدة ، أبلغ الدوائر العليا فى وشنطن فى سهر مايو أن تعيين سوزوكى مغزاه أن اليابان مستعدة لإلقاء السلاح ، لو تيسر إبلاغها أنهم سيتساهلون معها فى أمرين : الأول الاحتفاظ بالإمبراطور ، والثانى تأليف حكومة يابانية حرة حسب الأوضاع التى تختارها . وكان من رأى هوفر أن مثل هذا العرض يتيح للولايات المتحدة أن تعقد مع اليابان صلحاً عاجلا ، فلا يبقى مجال لمشكلات مع روسيا ، إذ لم تكن يومئذ فى حرب مع اليابان . ولا أعلم ما هى الخطوات التى اتخذتها الحكومة الأمريكية للانتفاع بهذه الفرصة من شهر مايو إلى شهر يوليو. والواضح أن انفجار القنبلة الذرية لم يكن هو الذى حمل الإمبراطور على اتخاذ قراره بالتسليم،ولم يكن له أى تأثير فى حسم الحرب.

وفى يوم ٢٦ يوليو صدر تصريح بوتسدام ، ورأى فيه الإمبراطور وأحزاب الأحرار أنه يصلح أساساً للتسليم ، ولكنه لم يرض المجلس الأعلى . ثم انفجرت القنبلة الذرية الأولى يوم ٦ أغسطس ، وتبعتها الثانية بعد ثلاثة أيام،وأعلنت روسيا الحرب على اليابان وفى يوم ٩ أغسطس اتخذ المجلس الأعلى قراراً بقبول تصريح بوتسدام مع إبداء أربعة تحفظات : بقاء الأسرة الحاكمة ، والامتناع عن احتلال اليابان ، وأن تتولى اليابان بذاتها تجريد جنودها من السلاح وترحيلهم إلى أوطانهم،وأن تتولى هى أيضاً تسليم الأشخاص المسئولين عن الحرب.

ووثق هيروهيتو كل الوثوق من أن هذه الشروط لن تؤدى إلى وقف غارات الحلفاء الجوية ، ولهذا أصدر أمره إلى المجلس الأعلى

بأن يجتمع قبيل منتصف الليل فى القصر الإمبراطورى المؤقت،وهو كوخ صغير مقام فوق أعمق مخبأ ضد الغارات فى اليابان . وهناك، بين أطلال طوكيو وعلى ضوء النيران الخابيــة المنبعثة من حرائق تجتاح أرجاء طوكيو ليلا ونهاراً ، بدأت أخطر مناقشة فى تاريخ اليابان . وكانت ليلة صيف حارة رطبة، يطن فيها حول مائدة الاجتماع بعوض منتشر من المياه الآسـنة فى الخندق المحيط بالـكوخ . واتخـذ زعماء اليابان أماكنهم وهم يتصببون عرقاً ، وترتجف أبدانهم من الاضطراب والرهبـة ، وحضر الاجتماع الإمبراطور ، وسـتة من أعضاء المجلس الأعلى ، والبارون كيشيرو هيرانوما رئيس المجلس الخاص .

وتكلم الرجال العسـكريون واحداً بعد واحد — وزير الحربية ، ورئيس هيئـة أركان الحرب ، وقائد الأسطول، وعارضوا جميعاً فى التسليم ، وقد فارقهم ماعرفوا به من رباطة الجأش ، فبكوا جميعاً وارتفعت أصواتهم وهم يتوسلون أن يمنحوا مهلة من الوقت ، فالتسليم فى رأيهم أمر لا يتصور ، بل ينبغى الاستمرار فى الحرب . وحينئذ تدخل سـوزوكى رئيس الوزراء الشيخ ورأسه تهتز من التأثر والتعب ، وطلب أخذ الأصوات . وهو لم يكن يجهل أن تعصب العسكريين قد يؤدى إلى تدبير انقلاب فى الحكم وقتل كل من يقف فى سبيلهم — لم يجهل ذلك وهو الذى لا يزال فى بدنه رصاصتان حين حاول هؤلاء العسكريون اغتياله منذعشر سنوات . ومع ذلك لم يهن عزمه ، وبدأ الأعضاء يعطـون أصواتهم واحداً بعد واحد .

ولم يتحول العسكريون الثلاثة عن معارضتهم فى التسليم إلا على شريطة أن يتم على أيديهم تجريد الجنود من السلاح ، وأن تنجو اليابان من الاحتلال، وأعطى الأربعة الباقون أصواتهم فى جانب التسليم بشرط واحد ، هو بقاء الأسرة الحاكمة .

وتقضى التقاليد المرعية التى لم تنقض فى يوم من الأيام ، أن تصدر قرارات المجلس الأعلى بالإجماع ، فإذا بالإمبراطور يقطع صمته ويتكلم ، وأخذ يبين للأعضاء بهدوء أن خطط العسكريين ظلت منذ بدء الحرب بعيدة عن الحقائق : ثم استطرد يقول : « إن التدبر فى حقائق الأمور يدل على أن من العبث الاستمرار فى الحرب ، وتحمل المزيد من الخسارة فى النفوس والأموال . لقد ظللت أصغى إلى المعـارضين فى إنهاء الحرب ، ولـكنى لم أغير رأيى ، فإننى أضع ثقتى فى الحلفاء وشروطهم ، وأريد أن أقبل شروطهم كما هى » ، وتريث قليلا ثم قال

فى لهجة الآمر ، وهو أول أمر وجهه الإمبراطور إلى المجلس الأعلى : « أريدكم أن توافقوا جميعاً على هذا الرأى » .

وطال الاجتماع إلى الساعة الثالثة صباحاً ، وسالت دموع الأعضاء ونكسوا رؤوسهم حينما انتهى الإمبراطور من خطبته . وقطع وزير الحربية الصمت الشامل وركع ، ثم زحف إلى الإمبراطور فأدار له الإمبراطور ظهره باحتقار . وارتفع صوت وزير الحربية حتى انقلب صراخاً حاداً وهو يقول :

« أناشدك أن لا تسلم ، فلا تزال لدينا خططنا . » ثم ظل يزحف حتى مد يده إلى معطف الإمبراطور ، ولكن الإمبراطور تولى عنه مزدرياً ، ثم تمهل لحظة وقال مرة أخرى : « أريدكم أن توافقوا جميعاً على رأيى » ثم غادر الحجرة

وانصرف الأعضاء مع الفجر بعد أن أطاعوا أمر الإمبراطور ، وأرسلوا برقية إلى السويد وسويسرا لتبليغها إلى الولايات المتحدة وبريطانيا والصين وروسيا ، وتتضمن البرقية قبول تصريح بوتسدام بدون قيد ولا شرط ، وذلك على شريطة أن تبقى الأسرة الإمبراطورية وأن لا تمس حقوق سيادتها . ولكن الصراع مع العسكريين الذين خضعوا مؤقتاً لرهبة الإمبراطور لم يكن قد بلغ نهايته ، إذ أرسل الحلفاء بعد ثلاثة أيام رسالة يقولون فيها :

« إن الحكومة اليابانية فى المستقبل ، ينبغى أن تكون وليدة رغائب الشعب اليابانى كما يعبر عنها فى حرية تامة » ،فأخذ المجلس الأعلى ينازع فى هذا الطلب بغضب ، ورجع العسكريون إلى المطالبة بمواصلة الحرب مستندين إلى أن رد الحلفاء يتضمن القضاء على نظام الحكم الإمبراطورى . وكانت الطائرات الأمريكية تلقى فى ذلك الوقت على جميع أرجاء اليابان منشورات تتضمن تصريح بوتسدام ورد اليابان .

رفع الماركيز كيدو حامل أختام الإمبراطور وأحد خلصائه أحد هذه المنشورات إلى الإمبراطور ، وكان كلاهما يخشى شر الجيش الذى تفرقت قواته على الشواطىء وهو غير عالم بمدى الدمار الذى حاق بالمدن ، فربما ثار إذا علم بقرار التسليم . ومما يخاف أيضاً أن يخدع بعض المتهورين من الضباط جنودهم حتى يعتقدوا أن أمر الإمبراطور مكذوب عليه ، ثم يحرضونهم على مواصلة القتال ، ولكن الإمبراطور كان يعلم أن الشعب قد ضاق ذرعاً بالغارات ، وأصبح يدرك حقيقة الأمور ويرحب بالتسليم . فإذا أريد منع المعارك الدامية ، فلا بد من إذاعة مرسوم إمبراطورى بإنهاء الحرب فوراً .

وفى صباح ١٤ أغسطس أصدر

الإمبراطور أمره إلى المجلس الأعلى بالاجتماع مرة أخرى . ولما بدأ الرؤساء العسكريون يعارضون فى التسليم بشدة ، نظر إليهم الإمبراطور نظرة التهديد وقال : « إننى لم آخذ قرارى بقبول تصريح بوتسدام إلا بعد تدبر طويل ، ولم يطرأ ما يحملنى على تعديله . فإنه إذا لم تنته الحرب فى هـذه الآونة ، فإن كيان اليابان السياسى لن يتعرض وحده للضياع بل إن الشعب اليابانى نفسه سيحل به الفناء . . . وأطلب إليكم ، رغبة منى أن يفهم شعبي ما أريد ، أن تعدوا مشروع المرسوم الإمبراطورى » ، ثم نظر مرة أخرى نظرة التهديد إلى الحاضرين وقال: «أريدكم أن توافقونى جميعاً على ذلك» . وما جن الليل حتى كان مشروع المرسوم الإمبراطورى قد أعد ، وأنجز الإمبراطور تسجيله فى الساعة الحادية عشرة ، وتأهب رسول يحمله إلى محطة الراديو لإذاعته على الأمة .

وفى تلك اللحظة تمكن ألفان من الجنود المعارضين من النفوذ إلى داخل سور الكوخ ، ولكن شريط التسجيل أودع فى خزانة الإمبراطور قبل أن يتمكنوا من الدخول.

وتكرر هجوم الجنود على الكوخ ست مرات يحاولون الظفر بالشريط وبالمركيز كيدو ، وقد عقدوا العزم على قتله جزاء له على ما كان له من شأن فى التسليم . واحتمى كيدو فى مخبأ سرى بقبو الكوخ ، على حين لجأ الإمبراطور إلى مكان آخر من الكوخ خشـية أن يقتل هو أيضاً . وقام جنود آخرون بإشعال النار فى مسكن سوزوكى حتى تركوه رماداً . وفى الساعة الرابعة صباحاً انتحر أنامى وزير الحربيـة لمحاولته قلب الحكم ، ولمعارضته الإمبراطور . وبعد الساعة الثامنة صباحاً بقليل ، وصل الجنرال تاناكا قائد استحكامات الجبهة الشرقيـة ، وحمل الجنود على التفرق . فانتحر ضابطان .

ثم انصرف الجنرال تاناكا وأطلق على نفسه الرصاص . ولما نزل الليل كان المرسوم الإمبراطورى قد أذيع ، وسمعت الأمة كلها صوت إمبراطورها يخطرها بتسليم بلاده .

ولما كان الإمبراطور هو رئيس الدولة فى اليابان ، فلا جرم أن يتحمل من الوجهة القانونية نصيبه من التبعـة التى يحملها رجاله من زعماء اليابان — تبعة إثارة الحرب . ولكن هذا لا ينفى أن الإمبراطور قد جرأ على مقاومة المتعصبين من الرجال العسكريين ، وانتزع منهم سلطانهم ، وأرغمهم بقوة إرادته على التسليم .

ضوء على تجارة تؤثر فى كل بيت

الأسبرين هو الأسبرين

روجر وليم ريس

زهبت منذ عهد قريب إلى مخزن أدوية وطلبت زجاجة فيها مئة قرص من أقراص الأسبرين .

فقال البائع : «أتريد زجاجة بسبعة قروش أو زجاجة بتسعة قروش ، أو بإثنى عشر قرشاً ، أو بتسعة عشر قرشاً أبيعها لك بسبعة عشر قرشاً ؟ »

فقلت : « أيها أفضل ؟ »

فابتسم الرجل كالضجر الملول وقال : «جميعها سواء. إن الأسبرين هو الأسبرين»

فألحّ علىّ الفضول فأردت أن أستطلع ، فمضيت أشترى الأسبرين حيث وجدته . وكنت أقوم برحلة ، فاشتريت عشرات من زجاجات الأسبرين من ذوات المئة قرص ، فى ولايات ومدنٍ شتى . فدفعت أول يوم فى الزجاجة الواحدة سبعة عشر قرشاً ، وتسعة قروش ، وعشرة قروش . ودفعت فى اليوم الثانى عشرة قروش ، وسبعة قروش وخمسة قروش . وبعد أسبوع ظفرت بزجاجة ثمنها قرشان ونصف قرش . ثم اتفق لى ذات ليلة أن اشتريت زجاجة بقرش ونصف قرش ، وقد كان هذا أقل سعر دفعته فى زجاجة تحتوى مئة قرص ، أما أعلى سعر دفعته فكان سبعة عشر قرشاً .

استقر بى المطاف فى مدينة شيكاغو ، فيممت شطر الجمعية الطبية الأمريكية وسألت : « ما الفرق الصحيح بين بعض هذا الأسبرين وبعضه الآخر ؟ فليس يعقل أن تشترى الشيء بقرش ونصف قرش إذا كان يحمل اسم شركة بعينها ، ثم أن تشتريه هو نفسه بسبعة عشر قرشاً لأنه يحمل اسم شركة أخرى » .

فردّت علىّ الجمعية الطبية الأمريكية : «ذلك ممكن . وقد فعلته . إن الأسبرين هو الأسبرين ، وقد شاءت له الأقدار أن يكون أحسن مسكنات الألم وآمنها مغبة * ولعله أقواها » .

ومن ثم ذهبت إلى طائفة من شركات صنع العقاقير الكبيرة أسأل عن الأسبرين ، فأرونى بواطى من الصلب مملوءة بالحمض «الأسيتيل ساليسيليك» — الاسم العلمى ،

---

* قليل من الناس من يؤذيه الأسبرين ، فينبغى لهم أن يتجنبوه . وقد وجد الأطباء حديثاً أن الأسبرين يبطىء تخثر الدم وقد يمهد لحدوث نزف خطير . فاذا كنت تفرط فى أخذ الأسبرين فقل ذلك لطبيبك والطبيب الذى يعالج أسنانك .

للأسبرين — وكان الاسم المكتوب على بعضها اسم « شركة داو الكيميائية » ، وعلى بعض آخر اسم « شركة مونسانتو » .

وهاتان الشركتان تصنعان ٩٠ فى المئة من الحمض الأسيتيل ساليسيليك الذى يستنفد فى علاج أهل أمريكا من الصداع . والشركات الكبيرة التى تصنع العقاقير لا تكاد تعدو فى صناعة الأسبرين تحويل السحوق إلى أقراص . وهذا شبيه بأن تتولى شركتان كبيرتان صنع كل السكر الناعم الذى يستهلكه الشعب ثم تشتريه منها مئة شركة أخرى فتحيله بالضغط إلى قطع من السكر .

فأى ضروب الأسبرين أفضلها ؟ إن المشتغلين بهذه الصناعة مجمعون على أن السكر هو السكر ، وعلى أن الأسبرين هو الأسبرين .

وقد عرفت سراً آخر من أسرار هذه التجارة ، فقد زرت أحد المصانع المستقلة التى تصنع الأقراص من أية مادة كيميائية يريدها التاجر أن تصنعها ، فهم يشترون مثلا مسحوق الحمض الأسيتيل ساليسيليك بالجملة ، ثم يصنعون منه أقراصاً ويعبئونها فى زجاجات يكتبون عليها « أسبرين » ويتقاضون من التاجر قرشاً ونصف قرش عن كل مئة قرص — إذا اشترى مليون قرص أو أكثر.

وقد قابلت مدير الإعلان لشركة كبيرة تصنع الأسبرين وعقاقير أخرى لا يحصرها العدّ ، فقال لى والأسى يملأ جوانحه : « لشدّ ما نصبو إلى الإعلان عن الأسبرين الذى نصنعه ، ولكننا عاجزون عن الاهتداء إلى شىء يسعنا أن نصفه به » .

بيد أن الآخرين يحاولون فتراهم يقولون فى إعلاناتهم : « ليس ثمة من يصنع أسبريناً أفضل من الأسبرين الذى نصنعه نحن » . أو « لن تجد أسبريناً أفضل من هذا الأسبرين » أو « لن تجد بين مسكنات الألم ما يضارع هذا الذى نصنعه » ، أو « خير الأسبرين » — ومن المحقق أن هذا الكلام كله ليس خير إعلان يذاع !

وقد لقيت صديقاً قديماً كان يشتغل بصناعة العقاقير ، فلما عرف أنى مهتم بمسألة الأسبرين ضحك وقال : « ظل أصحاب الشركة ... يتساءلون طوال عملى معهم متى تنكشف الحقيقة فى خدعة الأسبرين » .

وثمة أمران عن الأسبرين ينبغى أن تذكرهما: أما الأول فهو أن الأسبرين يخدّر الألم ولكنه لا يبرئ من الداء ، لأن الألم ليس سوى عرَض من أعراض المرض . ومن الخطر أن تخمد الألم دون أن تبحث عن سببه .

وأما الثانى فهو أن كل أنواع الأسبرين سواء ، فوفر مالك واشتر أرخص الأنواع .

نصيحة تتيح لك أن تطرح عن نفسك أعباء العمل الثقيل .

كيف تتخلص من تكاليف العمل

وليم رايلى

مختصرة من «ذى أمريكان مجازين»

كيف تجد عملك الذى أنت فيه ؟ أهو تكليف تؤديه أم متعة ترتاح إليها ؟ فإن تجده تكليفاً فأعقل العقل أن تنفض يديك منه قبل أن ينصرم الشهر التالى . والتكليف هو أن تعمل شيئاً لا تجد فى عمله متعة ولا لذة . وعمرك أقصر وأغلى من أن تبدده فى أداء شىء تضيق به صدراً ، أو أن تتحامل على نفسك فتعاشر قوماً لا تحبهم ، أو أن تجهد نفسك فى التماس مهارة أنت خلو منها ومن أسبابها .

وقد دلنى الفحص والاستقصاء على أن أكثر أهل أمريكا يكرهون العمل الذى يزاولون ، ويتمنون أن لو زاولوا عملاً سواه . وقد عرفت كتاب حسابات يودون لو قدر لهم أن يكونوا معلمين أو مستكشفين ، وعرفت باعة يحبون أن لو كانوا نجارين . وقد جرى بينى وبين فتى هو نجل محام من أثرياء المحامين ، وكان يدرس القانون كارهاً لدراسته ، فقال لى فى حديثه : « سأفرغ من هذه الدراسة على وجه من الوجوه » ، وكان يتمنى فى أعماق قلبه أن يتخصص فى دراسة علم طبقات الأرض .

والمرء إذا زاول عملا لا يحبه انقلب فصار كئيب النفس مهتاج الشعور ، وما أسهل ما يعتريه التعب ، وهو خليق أن يكون فريسة لسوء الهضم والأرق . وإذا ألح عليه إحساسه بأنه أخفق فيما يريد ، صار ثائراً ساخطاً على هذه الدنيا التى يعيش فيها .

وقد جاء يستشيرنى شاب صحفى نصحه الناصحون أن يزاول الصحافة لما أتاح الله له من قدرة وبراعة فى الكتابة ، ولكن الشاب كره عمله وأبغضه . ولما كان بطبيعته غير قادر على المنافسة ، فقد تأخر وأبطأ وتقدمه سواه ، وكان دائم الحنين إلى مزاولة التعليم .

وقد زينت له أن يتولى التعليم فى إحدى

مدارس الصغار ، بيد أنه أصبح الآن لا يكف عن الكتابة فى أوقات فراغه ، وإذا به يحسُّ لأول مرة فى حياته أنه أصبح راضى النفس مجتمع العزم قويًّا على العمل .

وليس من الضرورى فى كل الأحوال أن تغير نهج عملك جملة واحدة . وقد درست شأن رجل من مديرى الأعمال فى شركة صناعية ، وكانت أعصاب الرجل على وشك أن تنهار ، فكانت نتيجة الفحص أنه كان يزاول عملا يتعلق بتصريف «الأشياء» على حين أن هواه أن يعمل عملا يتعلق بمعاملة « الناس » . فكانت نصيحتى أن يظل فى إدارة الأعمال ، على شريطة أن يلتمس عملا آخر يتيح له أن يعامل الناس ويخدمهم . ولم يمض شهر حتى كتب إلىَّ يقول إنه صار مديراً لأحد المستشفيات .

وقد يكون التحول الفاجىء من عمل إلى عمل أمراً غير صالح فى كثير من الأحوال ، ولكنك تستطيع دائماً أن تهتدى إلى العمل الذى تحبه وتؤثره ، بأن تجرب أعمالا أخرى فى أوقات فراغك ، ثم دبر أمرك وخطتك على أن تنتقل من هذا العمل إلى ذاك رويداً رويداً وفى زمن محدود . وهذا هربرت هوفر (رئيس الولايات المتحدة السابق) أحب أن يصير مهندساً ، فقبل أن يعمل كاتباً على الآلة الكاتبة حتى يستطيع أن يوفق إلى عمل فى إحدى الشركات الهندسية.

ورأس الأمر فى ذلك أن تتشبث بالخطة التى تضعها ، فإذا تهاونت وأخذت تلتمس لنفسك الأعذار فى تأجيل تنفيذها ، فقد كتب عليك أن تبقى حيث أنت . وقد سمعت آلافاً من الناس وهم يعتذرون بأعذار عن تقصيرهم . وإليك بعض الأعذار التى تكثر على الألسنة :

١ — « ليس عندى مال » . وقد جرى مرة حديث بينى وبين رجل فى الخمسين من عمره ، وكنت قد رأيته مكبًّا على مكتب يرسم بعض الرسوم الهندسية ، فذكر لى أنه لم يزل منذ صباه يحبُّ أن يرسم مناظر من الطبيعة . فقلت له : «هل تتفضل فتريني بعض رسومك ؟» فأجابنى : «مهلا، فإنى لم أرسم قط ، فلم يتوفر لى قط مالٌ يكفينى فى أيام انقطاعى للرسم » .

٢ — « لم يتسع لى الوقت » . فهذا فتى يخدم فى إحدى محطات البنزين أراد أن يصير محاسباً ، وقد أخبرنى أنه اضطر إلى الانقطاع عن دروس المحاسبة بالمراسلة ، لأن الوقت لم يتسع له ، بيد أننى رأيت أن وقته فى الأسبوع الماضى قد اتسع له حتى حضر مباراة الكرة ، وذهب إلى السيما ، ولعب بعض القمار ، وقضى ساعتين فى إحدى الحانات .

٣ ـــ « أهلى لا يريدون » . كثيراً ما تجد الزوجات يمنعن أزواجهن أن « يتهوّروا » فى تغيير العمل الذى يزاولونه، خشية أن يطول وقت انشغاله بالعمل، أو أن يقل أجره ، أو أن يكون فى العمل الجديد إزراء بمكانة الأسرة بين الناس . ولكن من الممكن أن ينال الرجل رضى المرأة متى تشبث بما يريد ، ومتى بين لها نفع ذلك التغيير وجَدْواه عليه فى حياته .

أعرف رجلا كان فى الثامنة والثلاثين من عمره، فضاق صدره بعمله ، وكان رئيس العمال فى أحد المصانع . وانتهى رأيه إلى أنه يحبُّ أن يكون طبيباً فى قريته التى نشأ فيها وأنفق فيها أيام صباه . وهو اليوم يعمل بالليل ميكانيكيًّا فى حظيرة سيارات ، ويدرس الطب نهاراً . ولم يعد هذا الرجل يحس بشىء من ضيق الصدر ، بل أصبح يحس بالزهو لأنه أتمَّ ما أتمَّ .

وقد اهتديت إلى ثلاثة دوافع لها أكبر الشأن فى تقرير مقدار نجاحك فى أى عمل تزاوله :

١ ـــ قدرتك على أداء العمل .

٢ ـــ قدرتك على معاشرة الناس الذين تعمل معهم .

٣ ـــ صدق رغبتك فى أداء العمل .

وأقل هذه الثلاثة شأناً فى ضمان نجاحك هو قدرتك على أداء العمل ، وأما أهمها وأخطرها فهو رغبتك فى أدائه. وقد عنيت شركة كبيرة بدراسة دوافع الرجال الذين يبيعون منتجاتها، واهتمت خاصة بمعرفة مقدار رغبتهم فى العمل الذى يؤدونه ، فكانت عاقبة ذلك أن قل عدد من يستقيلون من عملهم أو يخفقون فيه . وجربت هذا الأسلوب شركة صناعية أيضاً فوفقت إلى مثل هذه النتيجة .

وقد اهتدى توماس إديسن إلى أسلوب بسيط فى اكتشاف رغبات الموظفين الجدد، فهو يرسل هؤلاء المبتدئين يطوفون بالمعامل والورش ليستطلعوا طِلْعها ، وهم مكلفون أن يقدموا فى كل يوم تقريراً يتضمن ما يقترحونه وما ينتقدونه . وقد كان بين هؤلاء فتىً نال شهادة امتياز فى الكيمياء وتقدم يطلب عملا يتعلق بالكيمياء ، بيد أن تقاريره دلت على أن مقترحاته فى هذا الباب ليست لها قيمة أو خطر ، وأما مقترحاته فى شئون الإنتاج فكانت ذات شأن ، فكان من البين أن هذه الشئون كانت أقرب إلى نفسه وأحب ، فعين فى قسم الإنتاج .

وقليل من الشركات تتيح لموظفيها الجدد أن يمارسوا ضروباً مختلفة من الأعمال فى الأسابيع الأولى من استخدامهم، ثم يسألونهم

عن أى هذه الأعمال يؤثرون . وأنا على يقين من أن هـذا خير أسلوب لفحص استعدادهم للعمل ، بيد أن أرباب الصناعة يتجاهلون كل التجاهل حوافز الرغبة حين يستخدمون رجالاً لأعمالهم .

وملايين من الناس لا ينالون نجاحاً كبيراً لأنهم يخفقون فى حسن معاملة الناس. وأنت إذا كنت دائم التصادم مع من تعامل من الزملاء والشركاء ، فإن عملك خليق أن يكون مشـقة لا تطاق ، أما إذا كان المرء حسن التأنى والرفق فى علاقته بالناس ، فهو خليق أن يجد فى كل عمل لذة ومتاعاً . وقد كشف اللورد شيسترفيلد عن سر حسن معاشرة النـاس حين كتب إلى ولده : «دع الناس يستمتعوا بحب أنفسهم وإيثارها قليلا ، وأنا زعيم لك بأنهم سيحملون لك فى نفوسهم أجمل الحب » .

وأنت خليق أن تزداد لعملك حبًّا وبه استمتاعاً إذا أنت التمست الوسائل التى تجعله أجود وأكمل . فانظر فيما تعمل وتبين لنفسك أىَّ نواحيه تسـتثير قدرتك على الإبداع فيه .

هذا ، وخير وسيلة إلى نيل السعادة هو أن تبـذل كل ما يدخل فى طوقك من مهارة وحماسة فى العمل الذى أنت أشد له إيثاراً وحبًّا ، فإنك سوف تحس أن لهذا العمل هدفاً ينتهى إليه ، وغاية لا بد من إدراكها ، وزهواً فى نفسك بإتمامه ، فهو بذلك حرىٌّ أن لا يكون تكليفاً ثقيلا . فالطبيب الذى امتلأ قلبه حياة وإحساساً بالحياة ، لن يحسَّ أنه تكليف ثقيل حين يغادر حفلة ساهرة لكى يستقبل مولوداً جديداً .

وقد أكثر الناس من الاهتمام بشأن ما ينبغى أن يعملوا ، منصرفين عن الاهتمام بشأن ما يؤثرون أن يعملوه . وقد كتبت الطيارة أميليا إيرهارت تقول : « لقد عبرت المحيط الأطلسىّ طائرة لأنى أحببت أن أفعل ذلك . فإذا كان هذا مما يسمونه « نزوات المرأة » فإنه لخيرٌ أن أحرص على نيل أقصى ما يتاح لى منـه . ولست أظن أن أمثال هذه النزوات شىءٌ يعتذر منه أى إنسان كان ، ذكر أو أنثى .

« فأنت إذا عبرت الأطلسى طائراً ، أو وقفت تبيع فى دكان جزّار ، أو عملت فى بناء إحدى ناطحات السحاب، أوجلست تقود سيارة ، فإن أقوى ما يظهر من قوتك إنما يظهر لأنك أحببت كل الحب أن تعمل هذا العمل بعينه ، وأن تعمله حريصاً على إجادته كل الإجادة » .

فررت مع زوجتى

لكاتب متنكر

كنت أنا وصاحبتى قد بلغنا من العمر مبلغاً يتيح لنا أن نكون أحكم رأياً وأصدق نظراً ، فكلانا كان متزوجاً وله أولاد . فلما تبينا أن صداقتنا صائرة إلى شىء أروع وأعمق أثراً فى النفس ، قرّ رأينا فى آخر الأمر أن نفترق أسبوعاً نتدبر فيه أحسن تدبر موضوع فرارنا معاً . ومن حسن الحظ أننا عدلنا عن فكرة الفرار ، ويسرنى أعظم السرور أن صاحبتى سعيدة اليوم كل السعادة مع زوجها .

أما أنا فقد دفعتنى حكمة خفية إلى شراء تذكرتين للسفر إلى أوربة . فلم تكد تنقضى عشرة أيام حتى كنت أنا وزوجتى فى لندن ، وبعد أسبوع ذهبنا إلى رومة ثم إلى باريس ، وقد عدنا بعد ذلك إلى بيتنا ونحن أسعد ما يكون الزوجان . وقد تكشف لى خلال ذلك أن أفتن «صاحبةٍ» هى هذه المرأة التى فتنتنى منذ اثنتى عشرة سنة حتى تزوجتها .

وكل فتىً فى السادسة عشرة يدرك أن القرب والجوار أقوى مؤلف بين القلوب ، وأنه لو اتفق لفتى وفتاة أن يقذف بهما الموج على جزيرة غير مأهولة لكانا خليقين أن يعقد الحبُّ بينهما . ولكن إذا أخذت الهوة تتسع بين زوجين ، أتراهما يعالجان المشكلة بالتقرب والتدانى ؟ ومع ذلك فقد ثبت لى من تجربتى الخاصة أن التدانى خليق أن يكون أفضل علاج .

وكنت قبل أن أفرّ مع زوجتى قد اختلفنا على مسائل المال وتربية الأولاد ، واشتد بيننا الخلاف فى الرأى على شئون الدين والجنس حتى أوشك بيتنا أن ينهار . ولم يقدر لنا أن نفهم مشكلتنا على حقها إلا بعد أن رحلنا تلك الرحلة ، فأتيح لنا فى خلالها أن يعرف أحدنا رأى الآخر وحقيقة نفسه ونوازعه . ولما كانت مشكلتنا هى مشكلة يعانيها كثير من الأزواج ، فأودّ أن أثبتها هنا : قلّ من الأزواج من يخص زوجه ببعض وقته حتى يتاح للزوجين أن يُبقيا على صلة الزواج الوثيقة بينهما . وأنا أقول هذا وأنا أعلم أن نطاق ما يهتمّ به المرء ينبغى أن يتسع على مرّ السنين . بيد أننى أدركت أنا وزوجتى أن اهتمام كل منا على حدة بما يؤثره من أعمال وشئون ، لا يترك لنا سوى بقايا مجهدة من عقولنا

نعالج بها مشكلات الأسرة الخطيرة . وقد كنت رجلا من رجال الأعمال نال منه التعب ، وكانت هى أمًّا وربة بيت أرهقها الجهد ، فلما نال الإعياء من أعصابنا صار الشجار أمراً لا مفرّ منه .

أما اليوم وقد تبينا مبلغ حبّ كل منا لصاحبه ، فقد صرنا ندرك أنه من الخير لنا أن نتجنب بحث مسائل الأسرة إذا كنا متعبين . وفرارنا معاً من البيت مرة بعد مرة ، كان له أثر بيّن فى جميع علاقاتنا ولا سيما فى شئون المال . وقد كنا قبل ذلك نختلف،فأصرّ على أن نشترى سيارة جديدة، وتصرّ زوجتى على أن تنفق المال على زخرفة البيت . أما اليوم فكلانا يحرص على توفير ما نستطيع توفيره من المال لنرحل معاً رحلة جديدة . فلما صارت أعيننا على هدفٍ واحدٍ نتوخاه ، ازداد التدانى بين آرائنا فى شئون المال .

وقد كلفتنا رحلتنا الأولى إلى أوربة ١٣٠٠ ريال ، ولكننا استطعنا فيما بعد أن نستقلّ سيارة نطوف بها فى بعض بلادنا ، فلا تزيد نفقة الرحلة على نفقتنا فى البيت سوى أربعة ريالات فى اليوم ، وفى وسع من يشاء أن يجعل النفقة أقل . وتحرص زوجتى على حثّ كل زوجين أن يعنيا بتدبير رحلة، وإن كان تحقيقها غير مستطاع قبل سنوات . اشتر خرائط الطرق ، واقرأ ما تناله يدك عن الأماكن التى تنتظر أن تعرّج عليها أو تقيم فيها ، تجد أن ذلك يحفزك إلى تدبير أمور مالك ونفقاتك تدبيراً تزداد به على الأيام حذقاً وتوفيقاً .

وقد تعترضنى فتقول : « ألا يقع الشجار بين الزوجين لكثرة ما يتصاحبان ؟ » ربما كان ذلك حقاً ، ولكن من الغريب فى أمرنا نحن ، أن الخلاف بينى وبين زوجتى لم يصلح من أمره أن نفترق أياماً قليلة ثم نعود إلى الاجتماع بعد الافتراق . والمثل يقول : « إن الفراق يزيد القلب شجىً وحنيناً » ولكنه قولٌ لا يصدق إلا على قلبين كانا ساعة الفراق على خير ما يرجى من صفاء وحبّ . وقد جربنا ذلك ولكنه لم يجدنا شيئاً ، فكنا إذا افترقنا بعد خلاف ثم عدنا ، نلفى سبب الخلاف قد خمدت سورته قليلا ، ولكن الفراق لم يستأصله ، فلوح الزجاج المكسور لا يجبر كسره بأن تبتعد عنه وحسب .

فإذا ما تلبّد الغيم فى سماء حياتنا اليوم عدنا أدراجنا لائذين بينبوع سعادتنا ـ فردوسنا الذى نكون فيه معاً وفى عزلة من الدنيا . فنحن نعرف أننا كنا يوماً ما كآدم وحوّاء فى جنتنا الخاصة بنا ، حيث ننسى فروضنا الاجتماعية فترة من الزمن .

ففى أيام الخطبة وأوائل عهد الزواج ، كان الناس يحرصون على أن يتيحوا لنا أن يختلى كلٌّ منا بصاحبه ، ولا تزال حاجتنا ماسة إلى هذه الخلوة ، بل جميع الأزواج فى حاجة إليها . ولن تستطيع أن تفلت من التلفون الذى يزعجك بجرسه وأنت تهمُّ بعناق زوجتك إلا إذا فررت ، وينبغى لك أن تفرَّ أياماً أو أسابيع من تأدية ما يجب عليك أن تؤديه لجماعتك أو أسرتك . وقد يخيل إليك أن هذا شيء منافٍ لخير المجتمع ، ولكنه فى الحقيقة ضربٌ من أحسن ضروب الخير العام ، لأنه يضمن دوام الزواج وسعادته . وإذا أنت تعلمت فى أوائل عهد الزواج كيف تنعم بصحبة زوجتك بمعزل عن المجتمع ، فقد هيأتما نفسكما للفترة التى يتزوج فيها أبناؤكما وتقل ضرورات الحياة فى المجتمع إلى أوفى حدّ .

وقد كان خلافنا فى مسائل الدين يزعجنا فلما صرنا نرحل فى الحين بعد الحين إلى بلاد لا نعرفها ، ألفينا أنفسنا ندخل معابد الله دون تفرقة بين مذهب ومذهب ، فنرى الناس على اختلاف ألوانهم وأعمارهم يدخلونها أيضاً ليتعبدوا ، فإذا بنا ندرك أن الفروق الطفيفة بين شعائر العبادة لا شأن لها فى حقيقة الدين ، فوثق هذا الإدراك ما بيننا من أواصر المودّة .

ونحن إذا ألفينا أنفسنا فى أرض غريبة فيها ما يدعو إلى اهتمامنا ، أحسسنا أن بين عقولنا ونفوسنا توافقاً عجيباً . فالمشاهد الجديدة تثير فى عقولنا آراء جديدة ، وتتيح لنا موضوعات لا عهد لنا بها فنتباحث فيها . وقد خالطنا فى رحلاتنا طوائف من الهنود الحمر ، وتسلقنا بيوت « البوبلو » المنقورة فى الصخر ، وتحدثنا مع فلاحى طائفة المورمون وصيادى السرطان على ساحل « مين » وطالبى حجارة الجمشت الكريمة فى كندا . وكنا فى مبدأ الأمر نفترق فى الليل ، فقد أخذ كل منا كتباً فى موضوعات تعنيه دون صاحبه ، وكنا ننوى أن نقرأ هذه الكتب فى الليل ، ولكننا تبيّنا أن ضوء مصباحنا لا يكفى إلا لقراءة كتاب واحد . فأدركنا أن يد الله قد أرادت أن تجمع بيننا ، فجعلنا نقرأ كتاباً واحداً بصوت عال ، فأقرأ أنا فترة فتصغى زوجتى إلى ما أقرأ ، ثم تتولى القراءة لى ، كما كنا نفعل فى أوائل عهد زواجنا .

وقد لقيت منذ عهد قريب رجلا فى مطعم ، فإذا صلة الألفة المفاجئة تتوثق بيننا كما يقع أحياناً بين غريبين ، وكان هذا الرجل قد استردّ لساعته فردوسه وحواءه . فمنذ أسابيع قليلة تعطلت سيارته وهى على مسافة بعيدة عن بيتهما ، فجاء رجل ليصلح ما بها ،

يقترح على الزوجين أن يذهبا يتمشيان في الغابة ، فإصلاح المحرك يستغرق الأصيل كله . قال صاحبي : «وبعد الغداء قصدنا إلى الغابات ، وإذ كنا نتمشى فيها أحسست — ثم تردد وجعل يحرك غطاء المائدة بأصابع مضطربة — أحسسنا أن كلينا أدنى إلى صاحبه مما كنا منذ ثلاثين سنة ، وأدركنا أن هـذا القرب شيء ما زلنا نفتقده منذ زمن طويل . ومنذ ذلك اليوم دأبنا على أن نخرج بسيارتنا إلى أماكن نستطيع أن نستمتع فيها بالتمشي وحدنا مسافات طويلة » .

وأعرف زوجين استردا ما كان بينهما من وحدة موثقة ، بأن عمدا إلى السير أميالا كثيرة مرة كل أسبوع للاشتراك في جماعة ألفت للغناء . وقد كانا كلاهما قبل الزواج عضواً في هذه الجماعة ، وكان رأيهما أن اهتمامهما بالموسيقى صلة من الصلات التي توثق ما بينهما طول الحياة . ثم ضعف هذا الاهتمام ، فلما واجها ما يواجهه الزوجان في الكهولة من انصرافهما عن الاهتمام بأشياء يشتركان في حبها ، عزما أن يعودا إلى جماعة الغناء التي كانا ينتميان إليها ، وأضافا إلى ذلك قرارهما أن يمشيا إلى مكان الاجتماع .

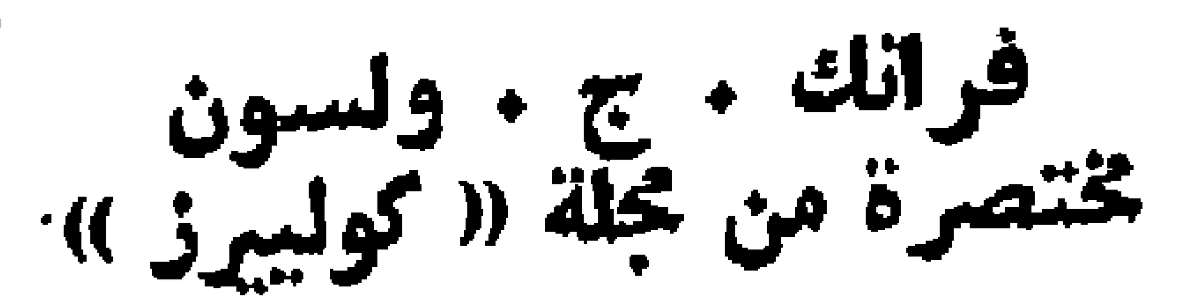
فإذا كنت لا تظفر من زوجتك إلا بقبلة فاترة على الخد حين تعود من عملك ، أو إذا كان زوجك يعود كل ليلة إلى البيت متأبطاً أوراقاً كثيرة تستغرق وقته ، فقد آن لكما أن تفرا معاً . أو إذا كان أحدكما قد أنس من نفسه ميلا — يغلب أن يكون عابراً — إلى ذكر أو أنثى ، فلم لا يجرب أن يفر مع الشخص الذي كان فيما مضى يحبه حبًّا حقاً ولا يحب غيره؟ فالزوجان اللذان تزوجا عن حب وفهم ، لا يزالان هما الزوجان برغم ما طرأ على نفوسهما من فروق . فإذا اتخذت هذا الرأي نهجاً لك فأنت الظافر لا محالة .

فينبغي أن تفر مع زوجتك وإن كان أحدكما غير مفتون بإنسان غير صاحبه . . فرا معاً كلما سنحت الفرصة لأن في هـذا الفرار درعاً واقية من الانسياق مع الغواية. بيد أن الغرض الذي أتوخاه من قص قصتي إنما هو أن أحث المشرفين على الزواج، أن يضيفا العهد التالي إلى مواثيق الحب التي يتبادلونها:

إني أعـد غير حانث أني إذا غويت فعزمت أن أفر مع إنسان آخر ، فإني أفر معك أولا مدة أسبوعين على الأقل إلى مكان يتاح لنا فيه أن نكون أوثق ما يكون الائتلاف والاندماج بين شخصين، كما يكون شأننا في شهر العسل .

ولو استطعت لجعلت هذا الموثق شرطاً مكتوباً في كل عقد زواج يعقد .

نصبنا شبكة وقع فيها المجرم آل كابوني



فرانك . ج . ولسون
مختصرة من مجلة « كوليرز »

ذات يوم من سنة ١٩٢٨ تركت أنا وزوجتي بيتنا ويممنا شطر مدينة شيكاغو ، ولم نكد نفعل حتى قلت لها : «مهمتي أن أطارد رجلاً اسمه كرلي براون» . ولو قلت لها إن كرلي براون هذا هو اسم مستعار للمجرم آل كابوني ، لارتدت بالسيارة على أعقابها ، ولحملتني على أن أتخذ لنفسي صناعة محترمة مأمونة كإصلاح أوتار الآلات الموسيقية .

وقد كانت مهمتي أن أنقب عن أدلة تثبت أن آل كابوني يتهرب من توفية الضريبة على دخله ، فقد قرر في السنوات السابقة أن ليس عليه ضريبة يؤديها ، أو أن دخله ليس شيئاً مذكوراً .

وكان « آرث مادن » وكيل مكتبنا في شيكاغو قد أخبرني أن الوصول إلى الحكم على كابوني بالتهرب من ضريبة الدخل ، مستحيل ، كالوصول إلى إغلاق رهن على القمر . فهذا الرجل الذي يتمنطق بالماس ويلبس ثياباً زاهية ، له في مدينة شيكاغو سطوة ونفوذ . وهو يدير أعماله مستتراً وراء طائفة من أتباعه ، ولا يحجم عن الأمر بقتل من يرى قتله حتى يمنع الناس من التدخل في شئونه ، وقد يبلغ عدد الذين يقتلون خمسين في السنة .

عينت الحكومة لي ولمساعدي الثلاثة حجرة في مبنى البريد العام . وقد كانت حجرة لا نوافذ لها ، وكان زجاج بابها مكسوراً ، وطلاء جدرانها متقشراً ، وليس فيها سوى مائدة واحدة فاتخذتها قاعدة لمهمتي .

وقد قضيت أشهراً وأنا أبحث على غير

كان فرانك ولسون رئيساً للشرطة السرية الأمريكية ، وقد روى حادث آل كابوني للكاتب هارد هويمان فكتبه .

طائل فى المصـــارف ومكاتب القروض وسجلات الصحف ، وجست الشـــوارع الضيقة الرثة فى أحياء الفجور ، فلم أعثر على دليل يدلنى على أن كابونى يتلقى ريالا واحداً من أندية القمار والمراهنة على الخيل، أو من المواخير وحانات الخمر المهربة . وعلمت أن « جيك لنجل » أحـد المخبرين فى صحيفة شيكاغو تريبيون قد رؤى فى صحبة كابونى فى شيكاغو وميامى ، وسمعت أشياء حملتنى على الظن أن عمل لنجل لم يكن قاصراً على نشر أحاديث كابونى وأخباره ، فذهبت إلى صاحب الجريدة « روبرت مكورميك » وقلت له إن الحكومة الأمريكية يسرها أن تظفر بمعاونة لنجل فى طرادها ، فقال : «سأبعث برسالة إليه حتى لا يضن عليك بأية معونة » . فلم يكد ينقضى اليوم التالى حتى لقى لنجل مصرعه فى قطار النفق، وقد كان ذلك فى أكثر أحياء المدينة ازدحاماً بالناس .

ففت ذلك فى عضدى ، ومرت سنتان لم ألق فيهما سوى الخيبة ، فهذا اسم كابونى على الصفحات الأولى من الجرائد كل يوم، والناس يتناقلون فى أحاديثهم أنه ينال جعلا معلوما على كل صندوق ويسكى يدخل مدينة شيكاغو ، وأنه يدير ألف حانة سرية يباع فيها الشراب الذى يحرمه القانون ، وألف مكتب للمراهنة على الخيل ، وخمسة عشر نادياً للقمار ، وطائفة من المواخير ، وأنه يسيطر على خمسة أو ستة من مصانع الجعة وتقطير الخمر ، وكان قـد اشترى قصراً فى فلوريدا ، وما ينفقه على المآدب لا يقل عن ألف ريال فى الأسبوع ، ولا تراه إلا ماضياً فى سيارات ضخمة فخمة سريعة ، ولا ينام إلا وقد لبس منامة ثمنها ٥٠ ريالا ، وقد أمر مرة بصنع ٣٥ بدلة ثمن كل منها ١٣٥ ريالا . وأما عدد الرجال الأشداء المسلحين التابعين له فيبلغ ٧٠٠ وهم مزودون بالأسلحة السريعة النار والسيارات المدرعة .

ولكن إقامة الدليل على أنه مسرف مبذر لا يكفى ، فلا بد للمحاكم من أن تظفر بالدليل على إيراده ، حتى يثبت أنه يتهرب من توفية ضريبة الدخل .

وذات ليلة بلغ منى اليأس ، فعزمت أن أفحص جميع الحقائق والأخبار التى جمعتها وكدستها مع مساعدىّ الثلاثة ، فلما كانت الساعة الواحدة من الصباح ، كان الإعياء قد نال من عينىّ ، فجعلت أجمع أوراقى لأنصرف ، فارتطمت اتفاقاً بخزانة تحفظ فيها الملفات فلم أكد أمسها حتى رأيت بابها قد أقفل من تلقاء نفسه ، فبحثت عن المفتاح فلم أجده ، فسألت نفسى ، أين أضع هذه الأوراق ؟ فبحثت فوجدت خارج الحجرة مخزناً وفيـه خزانة تملأها ظروف ملأها

الغبار . فقلت لنفسى ، يحسن بى أن أضع هذه الظروف القديمة على المائدة ، وأودع أوراقى فى الخزانة حتى الصباح .

وجدت فى مؤخر الخزانة رزمة ثقيلة ملفوفة بورق أسمر ، فدفعنى الفضول إلى قطع الخيط الذى ربطت به، فوجدت داخلها ثلاثة دفاتر، قيدت فى أحدها حسابات تحت عنوان « دخل نقدى خاص» فجعلت عينى تثب فوق الأشياء المقيدة : « قفص طائر» «٢١» ، « نرد » « فارو » « روليت » « مراهنات خيل » . إذن هـذه يوميات جماعة تتولى عملا مالياً ضخماً، ويبلغ إيرادها كل يوم ٢٠ ألف ريال إلى ٣٠ ألف ريال. وقد زاد صافى الربح فى ثمانية عشر شهراً على نصف مليون ريال (كان تاريخ الدفاتر سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦) .

فسألت نفسى : «من ذا الذى يستطيع أن يدير نادياً للقمار يبلغ دخله هذا المبلغ؟» وإذا الجواب يصدمنى صدمة عنيفة — ليس هناك سوى ثلاثة هم : « فرانكى ليك » و « ترى دراجن » و « آل كابونى » . ولكننى كنت قد فرغت من تحقيق قضية ليك ودراجن ، فلم يبق سوى ثالثهم — آل كابونى .

كنت قد عثرت على هذه الدفاتر فى حملة شنها رجال الشرطة بعد اغتيال مساعد النائب العام فى الولاية فى سنة ١٩٢٦ فأخذتها من نادى « السفينة » الذى يعد من أفخم أندية القمار الكبيرة فى شيكاغو، وكان أهل الترف والثراء فى المدينة يختلفون إليه ويراهنون فيه بنحو ثلاثة ملايين ريال فى السنة ، فهذا إذن سجل ثابت يبين «إيرادا»، فإذا استطعت أن أثبت أنه يخص آل كابونى ، فقد ظفرنا بأساس قضية تقام عليه .

وأغلب الظن أن آل كابونى أدرك أن الشبكة أخذت تضيق عليه . وقد كان لى بين رجال العصابة رجل من خيرة رجالنا المتسترين — «إدى أوهار ». وبلغنى ذات يوم أن إدى يريد أن يقابلنى ، فلما لقيته رأيته ثائر النفس والدم يكاد ينبثق من وجهه، فقال : « ينبغى لك يافرانك أن تغير الفندق الذى تقطنه ، فقد جاء الفتى الكبير بأربعة من سفاحى نيويورك ليفتكوا بك ، وهم يعرفون أين تحتفظ بسيارتك ، ومواعيد ذهابك وإيابك . فينبغى أن تترك الفندق اليوم » .

فشكرت له ما فعل ، وحدثت زوجتى بالتلفون وفاجأتها بأننا سننقل إلى فندق بالمر حيث كانت تؤثر أن نكون ، وتركت خبراً عند إدارة الفندق الذى كنا فيه أننا مسافرون إلى « الجنوب » . وفعلاً مضينا فى سيارتنا إلى المحطة — ومنها إلى فندق

بالمر ، فتحيَّرت زوجتي ، وعسى أن يكون سفَّاحو كابوني قد تحيَّروا أيضاً .

وبعد قليل لقيت إدى مرة ثانية فقال : « إن الفتى الكبير قدعرض ٢٥ ألف ريال على من يفتك بك » .

فلما نشرت الصحف أن كابوني قد عين مكافأة لمن يأتي برأسي ، قرأت زوجتي الخبر وهي رابطة الجأش ، ولم تعقب عليه بكلمة سوى قولها : « لابد من العودة إلى بيتنا » . ولكنني أقنعتها بالعدول عن رأيها ساعة وعدتها بأن نظل معاً معظم الوقت ، فالنساء يعتقدن أن أبدانهن منيعة على الرصاص .

وقد أكببت خلال ذلك على دراسة خطوط الدفاتر التي أخذت من نادي « السفينة » ، وأظن أننا جمعنا خطوط جميع المجرمين في شيكاغو — من دفاتر الانتخاب ، وحسابات التوفير ، ومحاكم الشرطة . ونبذنا كل خط لا شبه بينه وبين الخط في هذه الدفاتر ، فلم يبق أمامنا سوى رجل واحد اسمه « لو شمواى » ، فقد كان خطه على ورقة بنك مطابقاً كل المطابقة للخط الذي في دفاترنا . وبعد بحث علمت من أحدهم أن شمواى في فلوريدا ، وأنه في أكبر الظن يعمل في حلبات سباق الخيل أو سباق الكلاب . ولم أتبين من أوصافه شيئاً سوى أنه « رجل ضئيل حسن الأدب مهذب أنيق نحيل لا يؤذي أحداً — فليس من طراز الرجال الذي يألفون حلبات السباق » .

فلما كان شهر فبراير سنة ١٩٣٠ كنت في حلبة فلوريدا ، وعيني على الرجل الذي لم أزل أطارده منذ ثلاث سنوات . فهنا آل كابوني جالس في مقصورة وعلى جانبيه غانيتان تتلألأ الجواهر عليهما ، وكان يدخن سيجاراً طويلا ، ويحيي وفوداً من الأتباع جاءوا ليصافحوه ، ونظرت إلى وجهه السمين المتهدل ولونه الأغبر وشفتيه الكثيفتين المطبقتين والشحم المتدلي تحت ذقنه — والندبة المشهورة على خده ، فخطر لي أن الشرطي في الريف إذا أمر بالقبض على رجل فليس عليه إلا أن يتقدم إليه ويقول له : « أنت أسيري الآن » . أما أنا الساعة ، فأعجز من عصفور ، وإن كانت قوة الحكومة كلها من ورائي تشد أزري .

وبعد ليلتين رأيت « الرجل الضئيل النحيل المهذب » ، يعمل في حلبة سباق الكلاب ، فتبعته بعد الفراغ من السباق إلى بيته ، وذهبت إليه في الصباح وهو يفطر مع زوجته ، وطلبت منه أن يسير معي ، فلم أكد أفعل حتى امتقع وجهه واغبرَّ ، فلما أخذته إلى مبنى الحكومة قلت له غير موارب : « إنني أبحث مسألة ضريبة

الدخل لرجل يدعى ألفونس كابونى » .

فازداد وجهه شحوباً وغبرة ، ولكنه تمالك نفسه وقال : « انت مخطىء ياصاح ، فأنا لا أعرف آل كابونى » .

فوضعت يدى على كتفه وقلت : « لك أن تختار إحدى اثنتين ، فإذا أبيت أن تسايرنى، أرسلت فى أثرك إلى حلبة السباق محضراً يناديك باسمك ومعه أمر بالقبض عليك ، أفهمت يا لو . ومتى علمت العصابة أن الحكومة قد تبينت أمرك ومقرك ، فيغلب أن يفتكوا بك قبل أن تتمكن من أن تدلى بشهادة .

« فإذا كان هذا شيئاً لا يروقك، فقل لى كل ما تعرف ، أنبئنى بحقيقة هذه الدفاتر فقد كنت محاسب نادى « السفينة » ، وفى وسعك أن تبين حقيقة كل نبذة فى الدفاتر ، وفى وسعك أن تقول من كان رئيسك ، وأنا أتعهد لك أن أكتم السر حتى يوم المحاكمة ، وسوف نوفر لك الحراسة ليل نهار، وأضمن لك أيضاً أن لا تترمل زوجتك»

فارتعش لو كأنه وتر مشدود ، ثم سلم بما أريد ، فأخرجته خفية من فلوريدا وخبأته فى كاليفورنيا على بعد ثلاثة آلاف ميل .

بيد أنه كان لزاماً علينا أن نثبت أن هذا الدخل وصل حقاً إلى آل كابونى . فبحثنا بحثاً دقيقاً مستفيضاً جميع الصفقات المالية التى تمت فى منطقة كابونى بشيكاغو ، فتبينا فى آخر الأمر أن رجلا اسمه « ج. س . دنبار » قد حمل أكياساً ممتلئة بالنقد إلى « بنك بنكرت » وطلب فى مقابلها شيكا على البنك بمبلغ ٣٠٠,٠٠٠ ريال .

فقضيت مع الشرطى « نلز تسم » فى البحث عن « دنبار » وكان اسمه الحقيق « فريد ريز » حتى لحقنا به فى مدينة سان لويس . فبعثنا إليه برسالة مع فتى يسلمها إليه يداً بيد ، واستصدرنا أمراً بحضوره إلى المحكمة للشهادة ، فأزعجته الرسالة لأنها كانت أمراً من جماعة كابونى بأن يفر إلى بلاد المكسيك . وقد التزم الصمت فى أول الأمر ، ولكن بعد أن قضى أسبوعا فى حبس تكثر فيه الحشرات، وقد كان يكرهها ويخشاها ، استسلم لما نريد ، فقد رضى أن يبوح بما عنده إذا نحن أبعدناه عن هذه الحشرات . فسرنا به إلى شيكاغو حيث مثل أمام المحلفين فى سواد الليل البهيم : فأيدت شهادته أن أرباح نادى « السفينة » كان مالا دخل جيوب كابونى . ثم رحّلته مع حرس من رجال الشرطة إلى جنوب أمريكا ليبقى هناك حتى تحتاج المحكمة إليه .

وفى خريف سنة ١٩٣١ جاءنى « إدى أوهار » قبل محاكمة كابونى بأسبوعين ، وقال : « إن رجال كابونى قد وضعوا كشفا

يحوى أسماء الناس الذين يحتمل أن ينتخب المحلفون منهم. وهم ماضون في رشوتهم واحداً واحداً — فهم يعطون مالاً لمن يأخذ مالاً ، أو يعدون من يتطلع إلى منصب سياسى بأن يعينوه على الظفر به ، أو يهبون هبات إلى الكنائس ، أو يعمدون إلى العنف إذا تطلب الأمر .

وأعطانى إدى كشفاً بعشرة أسماء وعنواناتهم وقال : «هذه أسماء من الكشف الخاص بالمحلفين وأرقامها على الكشف من ٣٠ إلى ٣٩ » .

ذهبت فى صباح اليوم التالى مع النائب العام الأمريكى جورج جنسن إلى غرفة القاضى جيمس ولكرسون المعين للنظر فى قضية كابونى ، فما كدنا نلق نظرنا عليه حتى شعرنا بالثقة به ، وقد خيل إلينا أنه ندٌّ لكابونى . وقد صدق إدى ، فالأسماء التى أعطانيها وافقت الأسماء المرقومة ٣٠ إلى ٣٩ فى كشف المحلفين ، ولكن ذلك لم يزعج القاضى ، بل قال مطمئناً : « هاتوا قضيتكم كما دبرتم ياسادة ، وأنا كفيل بما ينبغى » .

ويوم بدأت المحاكمة شققت طريقى شقاً فى زحام من المراسلين والمراسلات والمصورين ، ودخل آل كابونى قاعة المحكمة مرتدياً حلة كلون الخردل ، وجلس إلى مائدة محاميه على بضع أقدام منى ، وجلس قربه حارسه الأثير عنده — « فيل أندريا » ، ونظر أندريا إلى الجمع المحتشد نظرة الازدراء ، ثم أحاط رئيسه بعنايته وأصلح له كرسيه ، ورأى على كتفه خيطاً فرفعه مترفقاً فى رفعه.

فلما دخل القاضى ولكرسون فى ردائه الأسود خيل إلى أن كابونى يكاتم ضحكه من وراء وجهه المستدير ، فقد صار المحلفون أصدقاءه بالإغراء والإرهاب ، ولن يطول الوقت حتى يعيدوه إلى ما كان عليه — سيد مدينة شيكاغو .

ودعا القاضى إليه سكرتير المحكمة، وقال بلهجة هادئة حازمة : « أمام القاضى إدواردز قضية أخرى يبدأ نظرها اليوم ، فاذهب إلى غرفته وعد إلىَّ بجميع محلفيه، وخذ محلفى هذه الغرفة إليه » .

وقد حدث هذا التبديل دون ضجة أو اضطراب ، فامتقع وجه كابونى متأثراً بيأس المقامر الذى قامر بآخر مايملك — ثم خسر.

ومضت المحاكمة على سننها، وثبت الرجلان اللذان اعتمدت عليهما — شمواى وريز — فلم يتزعزعا ، مع أن كابونى وفيل أندريا كانا ينظران إليهما نظرات الحقد والتهديد.

وقد جعلت عينىَّ على أندريا ، فلما نهض ليتمطى قليلا فى أثناء استراحة المحكمة خيل إلى أن فى جيبه الخلفى الأيمن شيئاً بارزاً . ولكننى حدثت نفسى فقلت ليس فى الدنيا

مجرم يجرؤ على أن يدخل حرم المحكمة وفى جيبه مسدّس . ورأيته يتمطى ، فأمرت أحد رجالى أن يبعث إليه من يقول له إن صحفيًّا يروم أن يراه ، وسرت فى أثره وهو خارج من المحكمة ، وسار به فريق من رجالى فى الرواق ، فلما صرنا أمام غرفة القاضى ولكرسون دفعته إليها وقلت :

« اعطنى المسدس ! » فأعطانيه .

« اعطنى الرصاص ! » فأخرج حفنة من الرصاص من جيبه .

وقطع القاضى ولكرسون المحاكمة ليحكم على أندريا بالسجن بستة أشهر لامتهانه المحكمة ، فلم يكد يفعل حتى زمجر كابونى : « ليس يهمنى ما يكون مصير أندريا ، فهو مغفل ، ولو حكم عليه بعشر سنوات لما عنيت بالأمر » .

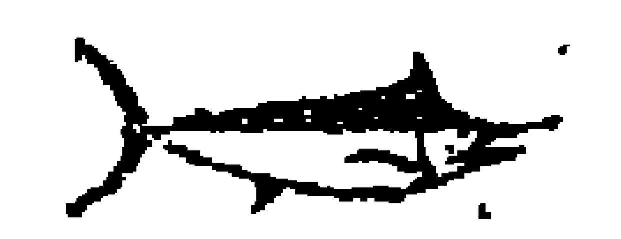
فهذا دليل على أن كابونى أخذ ينهار .

وانتهت المحاكمة فى أواسط أكتوبر ، فلما عاد المحلفون من مشاورتهم أدركت أننا قد حزنا النصر .

فقال القاضى : « وبماذا حكمتم ياسادة ؟ » فإذا الجواب : « مذنب » .

وإذا الجمهور المحتشد فى المحكمة قد أخذ يتفرق كما يتفرق النظارة بعد مشاهدة رواية تمثل ، وجعل الناس يهرعون — المخبرون والمحامون وغيرهم ، كلهم جعل يعدو ماعدا كابونى ، فقد تهالك على المائدة أمامه ، كأن هراوة قد هوت على أمّ رأسه .

فلما عدت إلى زوجتى صاحت : « لقد نلت نصراً مؤزراً ، وما خامرنى شك أبداً فى أنك أنت المنصور » . ثم تنهدت وقالت : « أفى وسعنا الآن أن نعود إلى بيتنا ؟ »



حصاد السنين

مات قاضى مشهورٌ بحكمته وعدله حتى أحبَّهُ الناس حبًّا جمًّا ، فأرسل مريدوه والمعجبون به طاقات كثيرة من الزهر وضعت حول نعشه . وجاء زنجىٌّ شيخ ليحيى القاضى تحية الوداع الأخيرة ، فلقيهُ ابنهُ وقال : « انظر يا عم إلى هذه الأزهار الغضة الكثيرة التى بعث بها أصدقاء أبى » .

فقال الزنجىٌّ : « قضى أبوك أيام حياته يبذر البذور التى أنبتت هذه الأزهار » .

الضحك خير دواء

كانت الليلة قارصة البرد ، وكان الرجل الذى يقود السيارة مشهورا بضعف بصره ، ولكنه مضى فى قيادتها برغم الصقيع المتراكم على زجاج نوافذها . وقد تفادى الاصطدام مرة أو مرتين ولما يكد ، فترفق صاحبه فى الاقتراح عليه أن يزيلا الصقيع عن زجاج الحاجز الأمامى عسى أن يعينه ذلك على القيادة فقال: «وما نفع ذلك، وقد نسيت نظارتى فى البيت ؟ » .

منذ أسابيعْ ذهبت أرملة حسناء الى مدير مصنع يحفر فيه المرمر والرخام ، وطلبت منه أن يحفر لها العبارة التالية على تمثال صنعته لتنصبه على قبر زوجها: «ان حزنى على فقدك أعظم من أن أطيقه» . ثم عادت اليه منذ أيام فى ثوب العرس وطلبت منه أن يضيف فى آخر العبارة كلمة: «وحدى»

قرع البائع المتجول باب البيت ليعرض بضاعته على أهله ، ففتحت له حسناء سمراء، فحياها وهو يبتسم وقال: «أتأذنين لى أن أحدث زوجك؟»

فقالت : « آسفة ، فقد رحل فى عمل ، ولن يعود قبل ثلاثة أسابيع» .

فنظر البائع المتجول الى الفتاة الفاتنة وقال: «لا بأس، ففى وسعى أن أنتظر» .

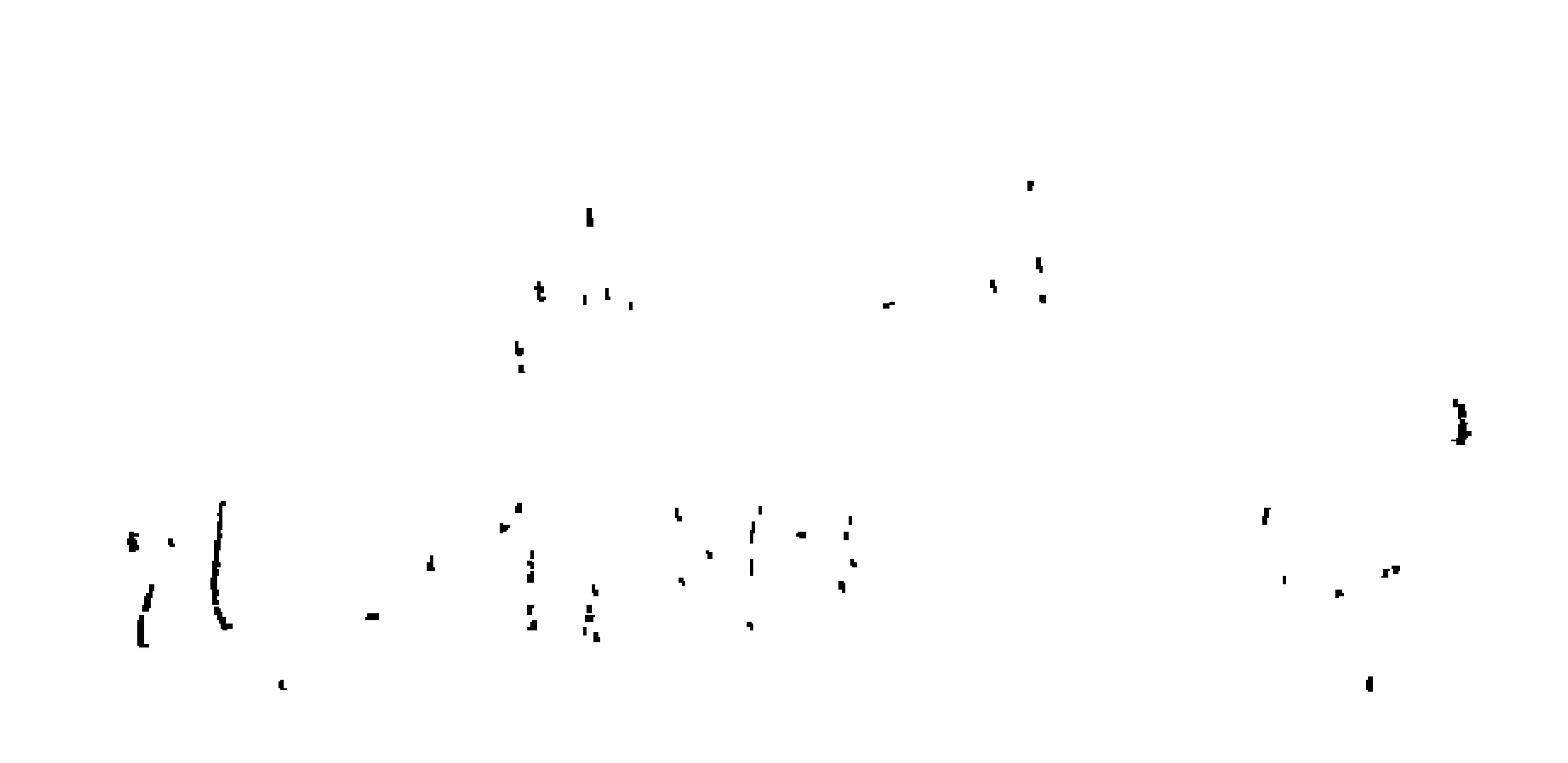
قال المعلم : « الأرقام لا تكذب » وضرب على ذلك مثلا : « اذا كان فى وسع رجل أن يبنى بيتا فى اثنى عشر يوما ، ففى وسع اثنى عشر رجلا أن يبنوا بيتا فى يوم واحد » .

فعقب الطالب على قول معلمه : «واذن، ففى وسع ٢٨٨ رجلا أن يبنوا هذا البيت فى ساعة واحدة، وفى وسع ١٧٢٨٠ رجلا أن يبنوه فى دقيقة واحدة، وفى وسع ١٠٣٦٨٠٠ر١ رجل أن يبنوه فى ثانية واحدة . أو خذ مثلا آخر . اذا كان فى وسع سفينة أن تعبر المحيط فى ستة أيام، ففى وسع ست سفن أن تعبره فى يوم واحد .

« الأرقام لا تكذب » .

« يخيل الى يا جون ، أنك متعب اليوم ، فما خبرك ؟ »

« خبرى يا صاحبى أننى لم أعد الى بيتى الا بعد أن أسفر الفجر، وكنت أخلع ثيابى حين استيقظت زوجتى وقالت : « ولم بكّرت فى النهوض من فراشك ياجون ؟» . وآثرت أن أتجنب مناقشتها فتظاهرت بأنى انما ألبس ثيابى ، وتركتها تغط فى نومها وجئت الى المكتب » .



هارلند مانشستر
مقتطفات من مجلة « العلم العام »

أتفضى بنا الطاقة الذرية إلى عصر حافل بالطاقة المحرِّكة الرخيصة، فتغنينا عن الزيت والفحم ؟ إن طائفة كبيرة من الشركات معنية اليوم بمشروعات هذه الطاقة، مستعينة بطليعة العلماء والمهندسين . وينتظرون فى أمريكا أن تصير مصانع توليد الطاقة الذرية فى هانفورد وأوك ريدج متأهبة لتوليد الطاقة النافعة فى بحر سنة أو نحوها . والمشروع بسيط ، ففى الوسع تحويل الحرارة إلى قوة أو القوة إلى حرارة. ومصنع هانفورد يولد فى كل ساعة قدراً من الحرارة يعدل القدر الذى تظفر به من حرق ٧١٠٠ جالون من زيت الوقود ، أو ٣٨ طنًّا ونصف طن من الفحم .

ومن أعصى المشكلات التى تعترض الانتفاع بالطاقة الذرية، مشكلة صنع حواجز أقدر على حجب إشعاعاتها الخطرة المؤذية . فترى علماء نواة الذرّة فى أرجاء الدنيا يبحثون عن حاجز أخفّ وزناً وأقلّ ضخامة من الحواجز الثقيلة المصنوعة من الرصاص أو الأبرق . وفى وسعنا أن نعكس إشعاعات الحرارة بلوح رقيق من الألومنيوم ، بدلا من أن ندع حواجز ضخمة تمتصها . وفى وسعنا أيضاً أن نحنى أشعة الضوء فى أنبوب مصنوع من اللوسيت فنردُّها إلى المصدر الذى صدرت عنه . وليس ثمة ريب فى أن العلماء لايغفلون هذه الخواطر فى بحوثهم .

فإذا لم نظفر بالحواجز الخفيفة التى تحجب الإشعاع، ظل الانتفاع بالطاقة الذرية قاصراً على المصانع الثابتة التى تولد القوة المحرِّكة ، وعلى السفن والقاطرات والصواريخ والطائرات التى تطير بغير قائد أو ملاح . ولم يقم دليل ما حتى اليوم ، على أن الطاقة الذرية ستكون من الناحية الاقتصادية أجدى كثيراً وأفضل من وسائل توليد القوة المعروفة الآن ، ولكنها قد تكون نعمة كبيرة فى مناطق لا تجد فيها فحماً أو قوة مائية محرِّكة . وقد تيسر لحاملة طائرات أن تطوف حول الكرة مراراً دون أن تتوقف لكى تتزوّد بالوقود .

ولكن ينبغى لنا أن لا نتبع نهج الرجال الذين صنعوا السيارات الأولى ، يوم ركبوا على عربات الخيل محركات البنزين. ومحاولتنا أن ننتفع بالطاقة الذرية فى المحركات المألوفة اليوم ، هى من هذا القبيل . بل ينبغى أن تحوّل الطاقة الذرية تحويلا مباشراً إلى

قوة كهربائية ، دون أن تحوّل الطاقة الذرية أولا إلى حرارة . ويرى الدكتور ج . أ . هتشيسن ، أحد علماء معامل الأبحاث فى شركة وستنجهاوس،أنه قد يكون فى الوسع ابتكار أسلوب يتيح لنا أن ندسّ أقطابا فلزية فى كوم اليورانيوم ، فنستخرج بها قوة كهربائية ، كما نفعل فى بطارية .

كان توليد الطاقة الذرية حتى الآن قاصراً على تحطيم الذرّات الثقيـلة فى عنصرى اليورانيوم ٢٣٥ والبلوتونيوم ، ولكن الشمس تولد قوتها بإدماج ذرّات الإيدروجين الصغيرة بعضها فى بعض وتوليد ذرات الهليوم وهى أكبر منها . وقد يتيسر للإنسان أن يعرف كيف يصنع ما تصنعـه الشمس ، فتزداد القوة التى يولدها ألف مرة . أو قد يتمكن العلماء الذين يستطلعون سر الأشعة الكونية فى أمريكا وروسيا ، من أن يكشفوا حيلة لتفتيت ذرات الإيدروجين . وخليق بالناس أن لا يستهينوا بقول من يقون إنه قد يجىء يوم يستطيع فيه الناس أن ينجزوا عمل العالم كله بوساطة محركات تسير بالطاقة الذرية، وأن هذه المحركات سوف تكون من شتى الأحجام حتى تلائم كل عمل ، وأن مصدر قوتها سيكون العناصر الرخيصـة الكثيرة فى الأرض .

لقد بلغت سرعة الطائرات مبلغاً هائلا، فصار الطيّـار كأنه مسمّـر فى مقعده ،وصار لزاماً على شركات الطيران ، إذا أراد أحد الطيارين أن يهبط من الطائرة بمظلة ، أن ينسفوه نسفاً من مقعده بمادة متفجرة . وسوف يجىء يومٌ يجد فيه الناس أن زيادة سرعة الطائرات بين مكانين على سطح الأرض شىء لا جدوى فيه . فإذا كنت ذاهباً لحاجة مسافة ربع ميل ، وكانت سيّـارتك فى العادة تقطع خمسين ميلا فى السـاعة ، أفتحرص ساعتئذ على أن تزيد سرعتها إلى ثمانين ميلا ؟

يتوقع العلماء أن تهدم فى المستقبل غير البعيد أعمدة أسلاك التلغراف والتلفون فتباع حطباً للنار ، ويحلُّ محلّ التخاطب بأسلاك التلغراف والتلفون ، شبكة أو شبكات من الأمواج الدقيقة ، فينتفع فيها بأمواج لا يزيد طولها على بضع بوصات،فتحمل كلّ الرسائل التى تريد أن تحملها إياها،من أخبار وصور وإذاعات صافية ومحادثات تلفونية،وبرقيات، وصور ومشاهد ترى عن بعد (تلفزة) . وفى الولايات المتحدة اليوم شركات أربع تجرّب شبكات من هذا القبيل . أما أجهزة

الراديو للإذاعة وللالتقاط ، فسوف تبلغ من صغر الحجم مبلغا يجعلها شائعة فى الجيوب كأقلام الحبر .

ولنا أن نتوقع تقدماً عظيما فى التغذية . ومن أبرز الأسئلة فى هذا الباب : أيستطيع الناس الذين يفتقرون إلى البروتين أن يظفروا بشرائح «لحم» مصنوع من الخميرة ؟ أيكون فى وسعنا أن نغذى حيواناتنا بمواد بروتينيــة مصنوعة من نشارة الخشب ؟ أيظفر أبناؤنا أو حفدتنا بأسنان سليمة من الآفات بشرب ماء يحتوى على عنصر الفلور ؟

وعسى أن يكون أعظم هــدف يتوخى العلماء أن يدركوه ، هو مجاراتهم لفعــل التركيب الضــوئى الذى يتيح للنبات أن ينتفع بضوء الشمس فى تركيب السكر والنشا والبروتينات والدهن والشحم والسلولوس. فإذا أثمرت مباحث العلماء — من أمثال أوجين رابنوفتش فى جامعــة إلينوى — فقد يدخل البشر عصراً ذهبيًّا آيته وفرة الطعام لجميع الناس فى هذه الدنيا .

هل تعلم ؟

أن أعظم حكم بالإعدام فى التاريخ كان الحكم الذى وقعه فيليب ملك أسبانيا فى شهر فبراير سنة ١٥٦٨ ، فقد حكم فيــه بالإعدام على ثلاثة ملايين نفس — هم الشعب الهولندى كله يومئذ ! ؟

وأن أعظم حفلة زواج فى التاريخ تمَّت فى ســنة ٣٢٣ ق . م فى مدينة سوسة فى بلاد فارس ، يوم عقد الإسكندر ذو القرنين زواج عشرة آلاف جندى من جيشه المقدونى على عشرة آلاف امرأة فارسية ؟

وأن أستاذاً فى جامعة هارفرد وعد بأن « يأكل قميصــه » إذا ثبت أنه أخطأ ، ففعل . فقد أخذ قميصهُ وأذابه فى حمض ، ثم عدَّل الحمض بمادة قلويّــة ، ثم صفى السائل ، وأخذ المادة المترسبة فبسطها على كسرة خبز وأكلها ؟

شاب غامض الأصل ، يحب الحرية ، ناضل فرانكو
فى سنة ١٩٣٧ نضالا عنيفاً ، ولا يزال يناضل

شعب يناضل عن حريته

ارفنج والاس

مراسل عاد من رحلة دامت ستة أشهر فى أوربة

مختصرة من صحيفة « ذى كاثوليك ورلد »

منذ بضعة أسابيع خلت ، اجتمع فى باريس ذات ليلة رئيس جمهورية أوزكادى ومعه عشرة من وزرائها ، وهم رجال خصصت مكافأة لمن يأتى برأس أحدهم حياً أو ميتاً . وقد جلس هؤلاء الرجال ساعات وهم يتناقشون بلسانهم الغريب . وأخيراً قام رجل منهم ، وأومأ بالتحية إلى رفاقه ، ثم انصرف . (جمهورية أوزكادى قسم من شمال أسبانيا الغربىّ يسكنه شعب الباسك) .

ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى كان هذا الرجل يمشى متنكراً فى ثياب صياد سمك ، ثم عرج على مقهى فى مدينة بلباو ، وهى أكبر مدينة فى إقليم الباسك فى شمال أسبانيا . ولم تلبث الحوادث بعدئذ حتى تعاقبت تعاقباً سريعاً عنيفاً .

لم يكد الناس يغادرون دور السينما فى آخر الليل حتى روّعهم صوت انفجار هائل ، فاندفعوا إلى الميدان الكبير حيث رأوا تمثال الجنرال مولا ، أحد قواد فرانكو ، قد أصبح ركاماً يتصاعد من جوانبه الدخان . ولما أصبح الصباح اجتمع هذا الجمهور نفسه ليشهد وهو مغتبط القلب ، ما يلقاه شرطة الفالانج الإسبانى من عناء وهم يحاولون إنزال علم من أعلام أعداء فرانكو ، وكان مرفوعاً على برج شامخ من أبراج إحدى الكنائس . ولم يكد يقبل الليل حتى سرهم ما سمعوا من أنباء عن قطار نسف غير بعيد من جسر فى جبال البرانس ، وكان القطار محملا بالجنود المرتزقة والذخائر .

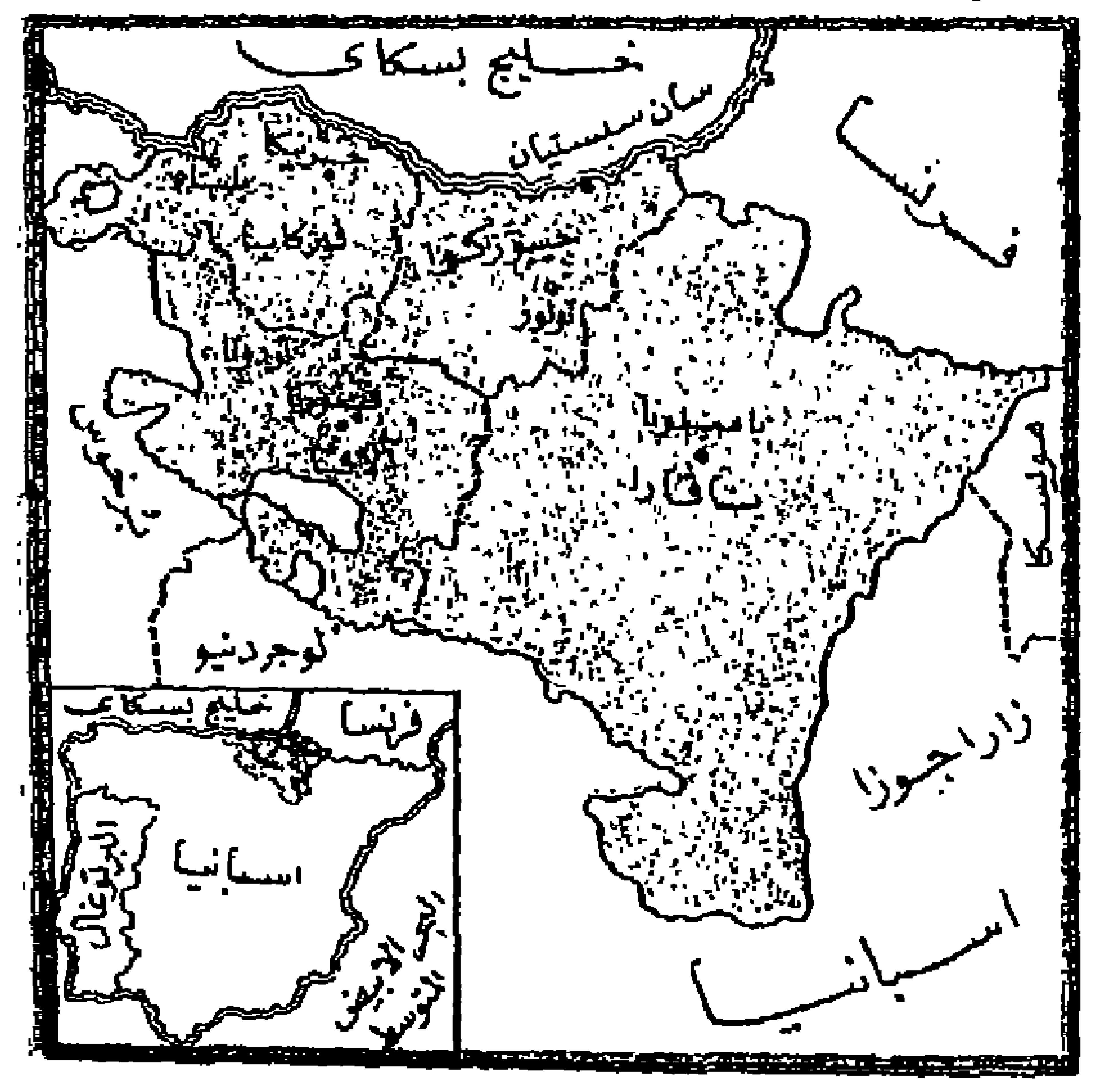
وبعد أيام قرأ رجال الباسك تفاصيل هذه الحوادث فى صحيفتهم التى ينشرونها كل نصف شهر ، وهم يطبعونها فى باريس وينقلونها إلى قلب أسبانيا حيث يتولى توزيعها خفية بعض باعة الصحف . فكذلك علم أهل الباسك المضطهدون أن حكومتهم المنتخبة انتخاباً ديمقراطياً ، والتى لم يروها منذ عشر سنوات ، لا تزال تبذل جهدها . وهذه الحكومة هى الرأس المدبرة لشئون جمهورية الباسك التى كادت تنسى هى وأهلها البالغ

عددهم ١٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة . وهى تعتمد فى ذلك على الهبات التى تتلقاها من رجال الباسك المقيمين فى أوريجون ويوتاه وكاليفورنيا وإيداهو بالولايات المتحدة ، ومن ثمانى جمهوريات فى أمريكا الجنوبية .

والباسك مسرفون فى الشراب ، مشهورون بعفة اللسان والورع ، وهم فلاحون وصيادو سمك، ولكنهم من أغمض أهل الأرض نسباً ، فهم ليسوا بأسبان ولا فرنسيين ولا ينتسبون إلى أى أصل معروف ، ولا يدرى أحد من أين أتوا ، ولم يهتد علماء الآثار إلى شىء يدل على أصلهم فيما عثروا عليه من أحجار أو تماثيل ، ولم يقف المؤرخون على شىء مدون من أخبارهم ، وأعيى علماء اللغات أن يعرفوا أصل لسانهم القديم. وأما عاداتهم قديمها وحديثها فهى عادات غير مألوفة تحير الألباب. وهم يكرهون الألقاب ، ويأبون أن يخاطبوا الغريب بلفظ التبجيل كالسيد مثلا . وأيام كان النبلاء وحدهم هم أصحاب الحق فى التمتع بالحرية الشخصية ، حل الباسك هذه الشكلة بأن أعلنوا أن الباسك جميعاً من النبلاء ،فكانوا يعدّون بيوتهم قلاعاً . وقد تمتعوا بحرية الفرد قبل أن يعرفها الإنجليز بقرنين كاملين.

وهم شعب متناقض فى حياته ، فهم جزء من إسبانيا ولكنهم يحتقرون الإسبان ، وتسعة وتسعون فى المئة منهم كاثوليك ولكنهم يحاربون فرانكو الكاثوليكى ، وهم حلفاء لأهل اليسار من الإسبان، ولكنهم يأبون أن يكون بينهم وبين هؤلاء صلة فيما وراء ذلك.

وقد ألف الباسك الحرية ، وعاشوا شعباً ديمقراطياً لا طبقات فيه منذ مئات السنين . وقد كانوا أحراراً حتى أخضعتهم الحكومة الملكية الإسبانية لسلطانها نحو قرن من الزمن . فلما كانت سنة ١٩٣٦ صوتت للحرية ثلاثة أقاليم من أقاليم الباسك ، فأصبحت مستقلة استقلالا ذاتياً ، وظلت هذه



الجمهورية العجيبة قائمة عشرة أشهر بالضبط .

ويومئذ جند الباسك جيشاً عدته ١٠٠,٠٠٠ مقاتل، وأسطولا فيه ٣٠٠٠ بحار يقودون سفناً حربية كانت فيما مضى من سفن الصيد، ورفعوا على جيشهم وأسطولهم علمهم المثلث الألوان من أبيض وأحمر وأخضر . وتولت هذه الجمهورية سك نقودها، وطبعت لنفسها كتباً لمدارسها، وتولت تدريب شرطتها، وأنشأت المدارس ، وسنت القوانين ، وحصلت الضرائب ، ولم يتركوا لمدريد سوى شئون الجمارك والشئون الخارجية .

ولما كان الباسك يملكون نحو ٦٩ فى المئة من مصانع المواد المتفجرة فى أسبانيا و ٥٣ فى المئة من أسطولها التجارى ، ويسيطرون على جانب عظيم من مناجم التعدين وأعمال البنوك ، فمن أجل ذلك غزاهم فرانكو بجيوشه . وقد عمد سلاح الطيران الألمانى إلى مدينتهم المقدسة جرنيكا فجعلها هدفاً يجرب فيه الضرب المركز بقنابل الطائرات ، فقتل من أهلها ٢٥٠٠ نسمة . وقد حارب الباسك حلفاء فرانكو الإيطاليين ، فلما حاصرتهم الفرقة الإيطالية وهم على صخرة مساحتها عشرة أميال مربعة قبلوا أن يسلموا على شريطة أن لا يلقى بهم فى قبضة الفلانج من شيعة فرانكو ، ولكن لم يمض يوم حتى سلمهم الإيطاليون إلى الفلانج .

وقد فر نحو ٢٠٠,٠٠٠ من الباسك ومعهم رئيس جمهوريتهم الذى لم يمض على انتخابه إلا قليل ، ورحلوا عن البلاد إلى الخارج ، وذهب معظمهم إلى فرنسا . ورئيس الجمهورية « أجير » رجل له وجه كوجه الصقر ، واسع المعرفة جم النشاط وهو الذى يجمع شمل هؤلاء الباسك .

ويشرف أجير على أعمال وزارتين: إحداهما حكومة المنفى وهى مؤلفة من سبعة من الوطنيين المحافظين، وثلاثة من الاشتراكيين المعتدلين ومعهم شيوعى واحد . والوزارة الأخرى هى وزارة المقاومة ، وهى تتولى العمل فى داخل إسبانيا منذ سنة واحدة . ورجال هذه الوزارة يسيرون سيرة مزدوجة ، فهم من جمهور أهل المدينة نهاراً ، فإذا أظل الليل صاروا من الدعاة والمخربين . وهم يتلقون الأوامر من باريس، فيوقدون بذلك الفتن والهياج فى شمال إسبانيا .

ففى شهر سبتمبر الماضى أقيم مهرجان بحرى فى سان سبستيان ، فإذا مئات من أخشاب طافية عليها أعلام الباسك تدخل ميناء المدينة ، وبذلك أوقعوا الفساد فى المهرجان. ومنذ دخل الصيف الماضى وأعلام الباسك لاتزال تظهر كل أسبوع مرفوعة على أبراج الكنائس . وقد أقيمت مباراة لبطولة كرة القدم ، فقبل أن تبدأ المباراة بساعتين إذا

بالملعب كله من طرف إلى طرف قد رسم عليه شعار الباسك . ويصبح الناس يوماً ، فإذا الصحف المهربة تغمر أقاليم الباسك ، وإذا محطات الإذاعة السرية تسخر من الزعيم فرانكو ، وإذا العمال يضربون وهم جلوس فى أماكنهم لا يعملون شيئاً .

والرجل من الباسك لا يخفى أنه يعد جاره الإسبانى إنساناً لئيماً دساساً حليف كسل ، ويعد نفسه إنساناً حراً مجاهداً طيب السريرة كريم الطباع شديد البأس وفياً بعهده ، حتى إنه ليأبى أن يكتب عقداً ويوقع عليه ، ويرى أن وعده بلسانه هو الميثاق الذى لا ينفصم . وقلما يتعدى الرجل منهم حدود القانون ، فإذا تعداها كان عقابه عقاباً غليظاً . وهو يحمى ما يملكه ويعتز به ، فإذا قطع له أحد إحدى شجرات فواكهه أو أتلف له طاحونة، فربما أصر على أن يكون الإعدام عقوبة هذا المعتدى .

وحب الرجل منهم لملكه وقريته هو الذى جعله عدواً لدوداً للشيوعية . وأهل الباسك لا يدفعون ضريبة عن الماء والملح والطعام، ويعجبون أشد العجب حين يعلمون أن هذه «الحقوق المؤبدة» خاضعة للضريبة فى البلاد الأخرى . وهم لا عهد لهم بحرب الطبقات، إذ لم تكن عندهم طبقات قط . وهم يعدون أنفسهم من الرأسماليين، فلا يصيخون لشىء من حجج الشيوعيين أو الفوضويين.

ويلقى الباسك اليوم لدى بعض الدوائر نقداً شديداً لأنهم يتعاونون مع أهل اليسار من الجمهوريين الإسبانيين، ويصرح الرئيس أجير فى صدد الدفاع عن حكومته وعن شعبه المضطهد بأن الباسك والجمهوريين حليفان ، ولكنهما متباينان أشد التباين . وهو يقرر أنه لا يكن لحلفائه هؤلاء وداً خالصاً ، لأن مذهبهم السياسى لا يطابق مذهب كنيسته ، وأنه إنما يعاونهم لأنهم هم حكومة إسبانيا الدستورية المنتخبة انتخاباً صحيحاً ، ولأن عدوهم عدو له هو أيضاً .

وماذا يكون مصير الباسك الكاثوليك المحافظين الذين يريدون الانفصال بشئون أقاليمهم ، إذا قامت بعد سقوط فرانكو حكومة جمهورية إسبانية تكون مناهضة للكنيسة وضالعة مع أهل اليسار ؟ لقد جرت بينى وبين زعماء الباسك أحاديث ، فعلمت منها أن الجمهوريين قد أعطوهم عهداً وميثاقاً إذا ناصروهم فى قتال فرانكو ، وهذا هو الميثاق :

يوم تسقط حكومة فرانكو يسترد الباسك استقلالهم الذاتى الذى كان لهم فى سنة ١٩٣٦ ، فيعودون مرة أخرى أحراراً يحكمون أنفسهم بأنفسهم ، متمتعين بحرية الصحافة وحرية الدين ، ولا يكون لمدريد

سلطان عليهم إلا فى الشئون الخارجية وشئون الجمارك ، وبعض شئون أخرى لا خطر لها .

يقول الرئيس أجير : « لما عزمت بريطانيا على سحب سفيرها من إسبانيا ، قابلت الدكتور جوزيه جيرال الذى كان زعيم الجمهوريين ومعه رجل بريطانى معروف من الدبلوماسيين . وقد طلب منا السياسى البريطانى أن نبدى آراءنا بصراحة فى أمر إقصاء فرانكو ، فكان جواب الدكتور جيرال أننا لا نريد حرباً أهلية ولا سفك دماء ، بل نريد أن تفرض العقوبات الاقتصادية حتى يخرج فرانكو ، وتؤلف حكومة ائتلافية من الأحزاب المنفية ، ونريد أن نتمتع بحرية الكلام وحرية الصحافة والنظام . ثم نريد بعد ذلك أن تجرى انتخابات عامة لا يكون لروسيا ولا بريطانيا إشراف عليها ، بل تشرف عليها طائفة من الأمم التى لا مصالح لها فى بلادنا ، أو تشرف عليها هيئة الأمم المتحدة نفسها » . وقد أيدت الدكتور فيما قال .

« فمن أجل ما نريده من رفع الظلم والاضطهاد ، ومن أجل أن نظفر بالحرية فى أرض حرة خالصة لأهل الباسك ، آثرنا أن نربط سياستنا بسياسة الجمهوريين . أما فى غير ذلك من الشئون كالإدارة والمقاومة ، والإصلاح ، والعادات ، وأسلوب الحياة ، فجمهورية أوزكادى تنبرى للجهاد فى سبيل ذلك كله بمفردها غير مستعينة بأحد » .

الرد الرفيق

كانت مدام دوستايل الفرنسية من أذكى نساء عصرها ، ولكنها لم تكن على حظ يذكر من الحسن ، بل كانت دميمة . وكان كبار عصرها يفدون على «صالونها» ، ففى أحد الأيام دخلت « الصالون » سيدة كان جمالها رائعاً ، فهجر الرجال جميعاً ــ ماعدا واحداً ــ مدام دوستايل ليستقبلوا السيدة الفاتنة . فالتفتت مدام دوستايل إلى الرجل الذى ظل جالساً إليها ، وقالت وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة : « قل لى بربك يا أمير ، ولا تخش الصراحة ، لو كنت أنت وأنا وهذه الحسناء فى زورق وهبت عاصفة وانقلب الزورق ، فأى المرأتين تنقذ ، أتنقذ الحسناء أم تنقذنى ؟ »

فانحنى الأمير وقال : « سيدتى ، إنك تحسنين السباحة »

هكذا ينبغى ان توثق الأواصر بين الشعوب

لويس ماتوكس ميلر
مختصرة من مجلة ((هايجيا))

فرر الجراحون السلوفاك أن حالة طبيب الأطفال الشاب" لاترجى ، فقد كان يشكو علة خطيرة فى الكليتين تستدعى جراحة عاجلة ، ولكنه كان يعانى أيضاً مرض النزف الوراثى — هيموفيليا — نخشى الجراحون السلوفاك أن تكون عاقبة الجراحة موتاً محققاً .

وفى ذلك الوقت من الصيف الماضى ، كانت بعثة طبية مؤلفة من أربعة عشر طبيباً أمريكياً من المتخصصين تجوب أنحاء تشيكوسلوفاكيا، وتيسر لرجال الطب الذين نهكتهم الحرب أسباب العلم بالعقاقير الجديدة، وبأساليب الجراحة التى استحدثت فى الولايات المتحدة خلال الأعوام الستة التى قضتها تشيكوسلوفاكيا مبتوتة الصلة بسائر العالم أيام الحكم النازى . فسئل هؤلاء الأساتذة أفى وسعهم أن يسدوا عوناً ما إلى هذا الطبيب الشاب ؟

فكان ردهم قولا أذهل الجراحين السلوفاك، فقد عزم الأمريكيون أن يقوموا بالجراحة دون أن يخشوا عواقبها . ذلك بأن المواد الجديدة التى تمنع النزف قد أتاحت لهم أن يمنعوا النزف لساعته، وإن كان نزف رجل مصاب بالهيموفيليا .

وهذا الأسلوب الجديد فى الجراحة الذى أنقذ حياة الطبيب الشاب ، ليس سوى أسلوب واحد جديد جاءت به البعثة الطبية الأمريكية إلى تشيكوسلوفاكيا ، وأتاحته لأطبائها فى أثناء زيارتها التى استغرقت شهرين كاملين . وقد تتبع أهل البلاد أنباء حالة الطبيب وغيرها فى صحفهم كما يتتبع الهواة أنباء مباراة رياضية. وكان الصحفيون والمصورون يسيرون فى أثر الأطباء الزوار أينما ذهبوا ، فينقلون أخبارهم إلى الشعب . ولم يقتصر عمل البعثة على نقل أحدث أنباء الطب إلى أطباء تشيكوسلوفاكيا المجاهدين

الكرام ، وإلهاب شعلة الحماسة فى صدورهم ، بل لمس عملها وترا حساسا فى قلوب الأمة التشيكوسلوفاكية كلها. فلما آن أوان رحيلهم كتبت إحدى صحف العمال مقال وداع جاء فيـه : « هكذا ينبغى أن تكون الأواصر بين الشعوب » .

نشأت هذه «الجامعة الطوافة» الفريدة من إيمان جماعة تعتقد أن خدمة الإنسانية خير من كل دعوة إلى مذهب من المذاهب. ففى أواخر سنة ١٩٤٥ عاد الدكتور موريس فيشر بفكرة جريئة من إيطاليا، حيث كلف أن يدرس مشكلة سوء التغذية . فقد وجد أن الأساليب المتبعة فى أوربة لإغاثة أهلها وإعانتهم على النهوض، يعوزها شىء جوهرى لا غنى عنـه . فالأغذية والثياب والعقاقير وأدوات الجراحـة ليست كافية وحـدها لتحقيق الغرض ، ولا بد من الاستعانة بأهل الخبرة والتجربة من الأطباء. والمناطق التى نالها دمار الحرب كانت أمس المناطق حاجة إلى الأطباء .

خـذ تشيكوسلوفاكيا مثـلا : أغلق النازيون المدارس الطبية جميعاً بين سنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٤٥ ،واضطهدوا الأطباء، وأقاموا سداً بينهم وبين سائر العالم . فكان رأى الدكتور فيشر أن إرسال العقاقير والأدوات الطبية الجـديدة إلى الأطباء البواسل الذين نجوا، عمل لا يجدى جدوى كبيرة ، لأن هؤلاء الأطباء لا يعرفون كيف ينتفعون بها . فتعليم الطب أولى بالتقديم فى هذه الأصقاع .

كيف السبيل إلى ذلك؟ قر رأى الجماعة التى أوفدت الدكتور فيشر أن تعد بعثة لهذا الغرض ، والتمست العون من الدكتور إروين كون ، وهو طبيب أمريكى المولد تشيكوسلوفاكى الأصل ، وقد درس فى جامعة براج ونال إجازتها الطبية ، وكان طبيباً فى الجيش الأمريكى فى الحرب العالمية الثانية .

كان مطلب الدكتور كون الأول ، أن تؤلف البعثة من أطباء مشهود لهم فى فروع الطب التى توفروا عليها . ولكن أيمكن أن تستغنى عن هؤلاء الأعلام مدارسهم المرهقة التى يدرسون فيها والعيادات الغاصة بالقصاد ؟ واتفق الرأى على تذليل العقبة بإيفاد البعثة فى الصيف خلال الإجازة ، على أن يعودوا قبل استئناف الدراسة فى الخريف .

وقد أحاطت الشكوك بالمشروع فى أول الأمر ، ولكن التحمس للفكرة ذلل العقبات ، وعين الدكتور بول هوايت المختص بأمراض القلب فى جامعة هارفرد رئيساً للبعثة ، وأغرى كثيرين من أصحاب

الأسماء اللامعة فى الطب بقبول الانضمام إليها للتعلم ، وكان بينهم برنشويج من جامعة شيكاغو ، ودافيدوف من جامعة كولمبيا ، وروفنستين وماك لود وهولت من جامعة نيويورك ، وبلاس من جامعة أيوا ، وكراير وأوب من جامعة هارفرد .

وقد أعد كل متخصص من هؤلاء الأساتذة الأدوات الخاصة بفرعه والعقاقير والصور ، وما استطاع أن يحمله معه من الكتب والمجلات الطبية — التى لا تقوّم بمال فى تشيكوسلوفاكيا .

وقامت عقبة فى وجه البعثة يوم تبينوا أن جهاز تخثير الدم بالكهرباء الذى يستعمله دافيدوف فى حقن النزف من الأوعية الدقيقة فى جراحة الأعصاب، لا يتيسر له أن يدور بالتيار الكهربائى المستعمل فى تشيكوسلوفاكيا . فاستفتى الشركة التى تصنع الجهاز ، فعلم أن إعداد جهاز جديد يصلح للانتفاع به فى هذه الحالة يستغرق عادة أربعة عشر شهراً ، ولكن الشركة وعدت بإعداده قبل إبحار البعثة .

وقد اجتمع شمل أطباء البعثة فى براج فى ٣ يوليو ١٩٤٦ . وكان الدكتور كون قد نظم له جدول الطواف والتدريس أدق تنظيم ، وجعل بين المحاضرات فترات من الوقت لزيارة المرضى فى عنابر المستشفيات، وللفحص وإجراء الجراحات . فإذا بقى شىء من الفراغ فقد وقفه على المناقشة مع الأطباء التشيك المتلهفين على كل جديد فى صناعتهم .

وكانت كل حالة يختارها الزوار للفحص والعلاج ، تمثل مبدأ جديداً أو أسلوباً جديداً فى الطب لا يعرفه الأطباء التشيك . وقد فحص الدكتور برنشويج وهو يطوف عنابر المرضى ، امرأة تعانى قروحاً مستعصية فى الأمعاء ، ولو عولجت بالجراحة لوجب أن يستأصل الجراح أوراماً متشعبة ، وأن يقطع جزءا من الأمعاء ، وأن ينشىء لها معدة جديدة . وإذا الدكتور برنشويج يلتفت إلى الدكتور إمرى روفنستين العالم المشهور بالتخدير ويسأله: «أنقوم بالجراحة؟» فذهل الأطباء التشيك ساعة سمعوا السؤال مستغربين أن يكون للتخدير أستاذ خطير .

وقد لاحظوا خلال الجراحة أن الجراح كان يتلقى الإشارة تلو الإشارة من الطبيب القائم على التخدير : أأنت مستعد ؟ أمضى؟ أتقف لنقل الدم ؟ وكذلك تلقى الأطباء التشيك على صورة رائعة مبدأ جديداً من مبادىء الجراحة، ثم توسع الزوار فى بسطه لهم فى محاضراتهم . وخلاصة هذا المبدأ : أن الطبيب المخدر هو الذى يقدر هل يمكن القيام بالجراحة أو لا يمكن ، فالجراحة تنفذ

حياة المريض ؛ ولكن التخدير الصحيح هو الذي يعين المريض على احتمالها .

وكان الدكتور دافيدوف خلال ذلك يشرح أصول جراحة الأعصاب ، وهي نوع من التخصص في الجراحة لم يعره الأطباء التشيك حقه من العناية والتقدير . فالجراحات الدقيقة في المخ كانت نادرة ، ولا يتولاها إلا بعض شيوخ الجراحين ، أما جراحات الأعصاب الدقيقة فكانت أندر . وقد رأى الأطباء الشبان من أهل تشيكوسلوفاكيا الدكتور دافيدوف يجرى هذه الجراحات، فتبينوا التقدم العظيم الذى يتيحه الانتفاع بالجهاز الكهربائي لتخثير الدم ، وبمشتقات الدم — مثل الفبرين والترومبين — التي تقف النزف على التو . فلما رأوا ذلك أخذتهم حماسة لا توصف .

وعرض عليهم الدكتور جيمس طمسن المنشار الكهربائي الدوار الذى لم يقع عليه من قبل نظر طبيب من أطباء العظام في تلك البلاد ، وبين لهم كيف يستعملون صفائح الفيتاليوم والمسامير الدوارة في علاج الكسور — وقد كانت هذه المواد مكدسة في مخازن هيئة الإغاثة والتعمير ، ولكن أطباء البلاد لم ينتفعوا بها ، لأنهم كانوا يجهلون كيف يكون الانتفاع بها .

وأعيد تنظيم الطرق المتبعة في عيادات الأطباء في علاج الأمراض المعدية ، والانتفاع بوسائل التحصين ، واستعمال العقاقير . وقد هال الأطباء الزوار في أول الأمر ، مارأوه من سوء استعمال عقاقير السلفا والبنسلين، ثم تذكروا أن هذا العلاج الكيميائي إنما خطا إلى الأمام أيام كان الظلام يرين على تشيكوسلوفاكيا في عهد الحكم النازى .

ولما كان العلاج بالبنسلين ميداناً واسعا متشعباً، فقد كان لزاماً على الزوار أن يقصوا قصته على منوال مختصر رائع . فابتكروا طريقة بارعة ، وصاروا إذا حلوا في بلد ما يلقى كل طبيب حديثاً مختصراً لايستغرق أكثر من خمس دقائق ، فيصف العلاج بالبنسلين من ناحية اختصاصه هو، ثم يطلب من الأطباء المستمعين أن يوجهوا إلى أى طبيب من الزوار مايروقه أو مايهمه من الأسئلة .

عاد الأساتذة الزوار إلى براج في أواخر أغسطس ، وقد بلغ منهم النصب والإعياء . فقد قطعوا في شهرين أو أقل ٢٣٧٥ ميلا كان أكثرها في سيارات بالية ، وألقوا ٢٢٦ محاضرة ، وعقدوا ٩٣ مؤتمراً ، وطافوا في ١٥٩ عنبراً من عنابر المرضى ، وأجروا ٢٨ جراحة . ولكن نجاح البعثة سرى مسرى الكهرباء ، ولم ينحصر في الأطباء بل جاوزهم إلى الشعب ، فكان

الناس يحيون الأطباء بأسمائهم فى الشوارع وأسواق القرى ، ويعربون لهم عن الشكر وعرفان الجميل .

وقد أدرك الأطباء الزوار قبل رحيلهم أنهم قضوا على تقليد متبع فى تعليم الطب فى تشيكوسلوفاكيا. فقد كان أساتذة الطب هناك مقيدين بما أخذوه عن الألمان من الاهتمام بالتعليم النظرى ، وإهمال العمل بين المرضى فى العيادات والمستشفيات — وهو الأسلوب الذى يدعو إليه الأطباء فى العصر الحديث — وكان الأستاذ التشيكى لايزال، كما كان أسلافه من قبل، يلقى محاضرته من منبر ، ثم يختفى فى مكتبه لايجرؤ أحد على أن يدنو منــه ، ولكنّ الأساتذة الزوّار دأبوا على تقريب الأطباء التشيك منهم فى العنابر والعيادات وغرف الجراحة، وأغروهم بالسؤال واستدرجوهم إليه . ورأى بعض الشيوخ من الأساتذة التشيك ماحدث ، فهزوا رؤوسهم متشككين فى نفعه ، فهذه الصلة الوثيقة بين الأستاذ والطالب ليست شيئاً معقولاً ، ولكن أكثر الأطبــاء أعجب بما رأى ووافق عليــه .

إن تنقيح برنامج دراسة الطب فى تشيكوسلوفاكيا على هذه الأصول خليق أن يكون ذا شأن عظيم فى المستقبل . ويرى الدكتور أوب أنْ ليس مايمنع تشيكوسلوفاكيا أن تصير مركزاً عظيما لتعليم الطب فى أوربة، فألمانيا والنمسا لن يتاح لهما ذلك قبل سنين كثيرة ، فينبغى لدولة فتيّة نزاعة إلى التقدم أن تتولى عنهما هذه المهمة .

وقد بلغ عــدد الأطباء التشيك الذين طلبوا أن يلتحقوا بالجامعات والمستشفيات الأمريكية مبلغاً يفوق ما تتسـع له هذه المعاهد . ولكن الكتب والمجلات الطبية أخذت تتدفق على تشيكوسلافاكيا . وهيئة الصحة التابعة للأمم المتحدة قد أغرت الجماعة التى نظمت هذه البعثة، بتنظيم بعثات أخرى على مثالها توفد هذه السنة إلى النمسا والمجر. وتحقيق هذا الغرض صار اليوم ممكناً ، فإن أطباء تشيكوسلوفاكيا قد جعلوا الشرارة التى خلفتهـا البعثة الطبية فى أرضهم لهباً متوهجاً.

فى أواسط القرن الثامن عشر كشف لينيوس العالم النبــاتى السويدى سرَّ التناسل فى النبات ، فصدم رأيُــهُ أهل الدين المسيحى صدمة قوية ، فمنعت مؤلفاته من طائفــة كبيرة من البلدان الأوربية .

« هذا رجل جبّار غيّرت آراؤه ومخترعاته وجه الحضارة ، وعسى أن تثبت الأوراق التى خلّفها أنه لم يقل كلمته الأخيرة بعد »

عبقرى غريب :

نيقولا تسلا

هارلند مانشستر

مختصرة من صحيفة «بلتيمور سنداى سن»

منذ ثلاث وستين سنة نزل مدينة نيويورك شابٌّ صربى مديد القامة مرهف الملامح ، اسمه نيقولا تسلا ، ولم يكن فى جيبه سوى قرشٍ واحدٍ ورسالة إلى المخترع إديسون ، بيد أنه كان يحمل فى ذهنه ذخيرة لا تقوَّم بمال — رأياً لا عهد للناس بمثله من قبل فى طريقة نقل الكهربائية ، فقدّر لهذا الرأى أن يجعل الحضارة الصناعية اليوم شيئاً ممكناً .

وكان عمل تسلا الأول فى مصنع توليد القوة الكهربائية الذى أنشأه إديسون منذ سنتين لإضاءة بضع مئات من المبانى فى نيويورك . وكان هذا المصنع كسائر المصانع فى ذلك العهد ، يولد تيّاراً مباشراً يمكن إرساله مسافة قصيرة وحسب . وقد رحل تسلا إلى أمريكا راجياً أن يدخل فيها اختراعه الجديد ، الذى صار شيئاً مألوفاً فى أيامنا ، ولكنه كان يومئذ شيئاً جديداً كل الجدّة لا عهد للناس به . وكان هذا الاختراع محرّكاً يسير بالتيار المتردد الذى يسهّل نقل التيار مسافة طويلة بنفقة معقولة .

ولو لم يطلع تسلا على الناس بهذا الاختراع لشق عليهم أن يظفروا بالشبكات الكهربائية العظيمة التى تمتدّ خطوطها فوق الآكام والوهاد ، ولظلت المدينة الكبيرة فى حاجة إلى مئات من مصانع توليد القوة الكهربائية ، ولظلّ عدد البيوت التى تستمتع بهذه القوة قليلاً .

وولد تسلا فى قرية سميلجان فى يوغسلافيا سنة ١٨٥٦ ، وكان الصبيُّ منذ طفولته متوقد الذهن سابقاً للداته ، وكان إذا حرص أبوه على تخبئة الشموع ليمنع فتاهُ من القراءة طول الليل ، يصنع قالباً يفرغ فيه الشمع حول فتيل ، ثم يقرأ على ضوئه . وكان يطوّف فى الجبال وهو يتمثل فى ذهنه « مخترعات » ، كمثل أنبوب طويل يمدّ

تحت المحيط الأطلسى لنقل البريد .

وقد تناوبت الأمراض على تسلا غير مرة فى حداثته ، فأقنع أباه بعد أحد الأمراض التى أصيب بها أن يعفيه من الانتظام فى سلك رجال الكنيسة كما كان يريده أن يفعل ، وأن يأذن له متى تمّ له البرء أن يلتحق بمدرسة للهندسة . وكذلك أرسل تسلا يوم كان فى التاسعة عشرة من عمره ، إلى مدرسة صناعية فى مدينة جراتز بالنمسا ، ففتنه ما رأى ساعة عرض أحد الأساتذة على الطلاب محركا يسير بالتيار الكهربائى المباشر ، وكان قد جاءه من باريس ، ولكنّ الفُرَش فى المحرّك كانت تحدث شرراً كثيراً .

فقال تسلا فى شىء من التطاول : إنه فى الوسع أن يصنع المحرّك بغير فُرش بين الجزء المركزى الدوّار فى المحرّك ، والأقطاب الخارجية الثابتة ، وذلك لكى يمنع الاتصال المباشر .

وقال تسلا متحمساً : إن هذا المحرك الذى وصف لا يولد شرراً ، ويكون أهون تسييراً ، ويمكن تسييره بتيار « متردّد » من الكهرباء .

فصاح به الأستاذ : « هذه فكرة مستحيلة » ، وكانت جميع كتب الدراسة يومئذ تؤيد رأى الأستاذ . ولكن تسلا كان مستيقناً من صدق رأيه ، وقد ظل ست سنوات يختزن فى ذاكرته العجيبة صور التفاصيل المختلفة التى تدخل فى بناءِ المحرّك الذى يتصوره ويريده .

وقد كفّ عن طلب العلم فى جامعة براج بعد سنة من دخولها ، لأنه أحسّ أن أبويه يضحيان بشىء كثير من أجل دراسته ، ونال عملا فى شركة التلفون فى بودابست عاصمة هنغاريا ، ولكنه كان ينفق كل دقيقة من وقت فراغه على إتقان محرّكه . فأفضى به المجهود المتصل ليل نهار إلى إعياءِ أعصابهِ وانهيار صحته ، بل صار يشكو من أنه يسمع طقطقة قوية إذا ما حطّ الذباب على المائدة أمامهُ .

ومن حسن حظه أن تولى أمرهُ صديق لهُ ، ففرض عليه أن يستريح وأن يتريض حتى استرد عافيته . وكانا ذات يوم يتمشيان فى الحديقة العامة ، فإذا تسلا يصيح : « لقد وجدتها » ، فقد تمّ له فى آخر الأمر تصوّر محركه على أتم وجهٍ وأكمله ، ورفع عوداً عن الأرض ورسم به رسماً سريعاً على الرمل ، وقد ظل يطوف حول هذا المحرك المرسوم نصف ساعة «يسيّره» ويقفه عن السير ، ثم يسيره مرة أخرى ، والناس يمرون به ويحدّقون إليه عجباً وتساؤلاً . وقد تمكن من أن يبتكر طريقة تتيح له أن يرسل موجة من تيار متردد فى لفة من السلك حول

طبلة المحرك المستديرة، فيصير الحقل المغنطيسي دائم الدوران ، فيجذب الطبلة معه في دورانه .

وقد أضاف إلى هذه الدورة موجة ثانية من تيار متردد لا تجاري الأولى في حركتها ، ثم أضاف موجة ثالثة ، فكأنه كان يزيد عدد الأسطوانات في محرك ما زيادة مطردة .

فكان هذا الرسم هو مبدأ طريقة نقل التيار الكهربائي التي توصف بكلمة « بوليفاز »، وهي ذات شأن لا غنى عنه في عصر الصناعة الحديثة .

وقد صنع تسلا المحرك الذي تصوره وحلم به فلم يدهشه أن يراه محركا صالحاً .

فلما لم يجد من يؤازره من أصحاب المال في أوربة ، شد رحاله إلى أمريكا ومعه رسالة إلى إديسون من مهندس أمريكي كان قد لقيه. فلما خرج من بيته مهرولاً إلى القطار الذي يقله إلى الميناء ، أدركه في الدقيقة الأخيرة ، ولكنه تبين أن تذاكر السفر قد سرقت منه، وسرق ماله أيضاً ، فلم يثنه ذلك عن عزمه ، فوثب إلى القطار ، وسافر إلى أمريكا مستعيناً بحسن حديثه وذلاقة لسانه .

رأى إديسون هذا الفتى الوسيم الخفيف المترفع الذي لا تكف يداه عن الحركة ، فأمسك في أول الأمر عن السكون إليه ، وحرص على أن يعهد إليه بأعمال تقتضي منه أن تتسخ يداه وأن يلطخهما الشحم والزيت ، ولكن نشاط تسلا الزاخر وذكاءه اللامع انتصرا في آخر الأمر، فسلم إديسون على تردد بأن الفتى الطارئ « رجل ممتاز ».

وقد طلب تسلا أن تسجل له سلسلة من المخترعات وظفر بما طلب.

وبعد سنة أو نحوها أنشأ لنفسه معملا يصنع فيه محركاته القائمة على مبدأ « التأثير الكهربائي » . وفي سنة ١٨٨٨ تلا رسالة في معهد المهندسين الكهربائيين الأمريكيين كان لها دوي شديد ، ولم يكد يجد أحداً يشاركه الرأي بأن « التيار المتردد » هو سر التقدم في الانتفاع بالقوة الكهربائية . ولم يشذ على هذا الإجماع سوى جورج وستنجهاوس، فاشترى حقوق المخترعات التي سجلها تسلا، وعهد إلى تسلا في الإشراف على صنع

المحركات الجديدة ، والمولدات الجديدة اللازمة لتوليد التيّار المتردد .

وكان أهل الصناعة فى تلك الأيام يرتابون أشد الارتياب فى التيار المتردد لشدة ارتفاع الضغط الكهربائى الذى يولده . وحاول إديسون أن يحمل المجلس التشريعى على أن يسنّ قانوناً يحرم استعماله ، وأشار غيره إلى أن هذا التيار هو التيار الذى يستعمل فى الكرسى الكهربائى للإعدام ، وأن إرساله على أسلاك يصبح خطراً عامًّا . فرد عليهم تسلا ردًّا رائعاً ، إذ عرض بدنه لتيار متردد قوته مليون ڤولت . وحقيقة الأمر أن قوة التيار لم يكن لها شأن فى حسم التجربة ، لأن تسلا استعمل فيها تياراً عالى التردد إلى درجة عظيمة ، فلم يسبب له ألما ، ولكن التجربة كلها كان عرضاً رائعاً .

وقد نال تسلا انتصاره العظيم الأول على مرأى من الناس بسنة ١٨٩٣ ، يوم استعمل اثنى عشر محركا من محركاته ليضىء ٩٠ ألف مصباح فى معرض شيكاغو ، فكان ضياء باهراً . فلم تكد تمضى ثلاث سنوات حتى أُفحم معارضو التيار المتردد يوم أضيئت المصابيح فى مدينة بفالو . وكان التيار الذى أضاءها قد جاء من المولدات الضخمة الجديدة التى ركبها تسلا عند شلالات نياجرا ، وهى تبعد ٢٢ ميلا عن بفالو

لم يطل مقام تسلا مع وستنجهاوس ، فقد آل إليه مال غير قليل من بيع مخترعاته المسجلة ، فأقدم على مشروعات كثيرة فى معمله الذى أنشأه فى نيويورك . وكان قد قهر مواطن الضعف فى بدنه بالرياضة الدقيقة ، وصار الآن يلتزم فى حياته ومعيشته نظاماً صارماً ، بل ذهب به الوهم إلى أن مضغ اللبان يؤذى صحته . وكان يستريب بالنساء ويتجنبهنّ ، ويتطلع إلى عهد يصير فيه العمال قوماً قد نفيت من حياتهم نوازع الجنس ، فلا يستمدون النشاط والقوة إلا من حبهم للعمل الذى يؤدونه .

ولم يكن له سوى نزوة واحدة يستسلم إليها ، فقد كان يذهب فى الساعة الثامنة من كل ليلة لابساً ثياب السهرة إلى مطعم دلمونيكو أو فندق والدورف القديم . فكان رئيس النُدُل يسير بهذا الرجل المديد المترفع إلى مائدته الخاصة فيجلس إليها ، وإلى جنب صحنه كوم من فوط المائدة ، وإذا به ينظف كل أدوات الطعام بهذه الفوط ، ورئيس النُدُل ينظر إليه ويغالب نفسه على رباطة جأشه . وكان إذا دعا ضيوفاً إلى العشاء نظف لهم جميع أدوات المائدة أيضاً . وكان يأمر بطعام شهى يطبخ وفقاً لطرائق خاصة به ، وبألوان من النبيذ المعتق . فإذا دقت الساعة العاشرة نهض ومضى إلى

معمله ليقضى ليله فى البحث والتجربة .

وقد كان تسلا كمثل ليوناردو ده فنشى، واسع الاطلاع ، شديد الاهتمام بضروب شتى من المعرفة ، وكان رائداً فى ميادين من العلم تجلُّ عن الحصر ، ينتقل من ميدان إلى ميدان ، وكان قليل الصبر على أن يستمسك بفكرة يبحثها حتى يتم الانتفاع بها أوفى انتفاع فى الصناعة والتجارة . وقد جرب التجارب فى الإضاءة الكهربائية بأنابيب ممتلئة بالغاز — وهى طليعة الإضاءة بالنيون والمصابيح المتألقة فى يومنا هذا . وكشف ما للتيارات الكهربائية القصيرة الأمواج من أثر فى رفع حرارة الجسم ، وأشار إلى نفعها فى معالجة المرضى .

وأذاع تسلا فى سنة ١٨٩٣ مبدأ « ضبط الراديو » ، وأجرى تجارب موفقة فى النقل اللاسلكى ، وتوقع أن تنشأ شبكة تعم الأرض لنقل الأنباء والموسيقى وأسعار الأوراق المالية والمواقيت ، فتكون هذه الأخبار متاحة لكل من يشترى جهازاً لاقطاً قليل الثمن، ثم تنبأ أيضاً بإذاعة الصور والرسوم إذاعة لاسلكية .

فلما كانت سنة ١٨٩٨ ظهرت سفينة غريبة فى البحر أمام ساحل نيويورك ، ولم يكن فيها إنسان ، ولكنها كانت تروح وتجىء مسرعة فى رواحها ومجيئها ، كأنها تطيع يداً إنسانية تديرها وتوجهها ، وقد كانت هذه السفينة هى سفينة تسلا التى يهيمن عليها بأشعة الراديو ، وكانت طليعة الطائرات والسفن والقذائف الحديثة التى توجه أو تسدد بالأشعة . واقترح أن يصنع صاروخ يسدد بالراديو ، شبيه بالقنابل الصاروخية الموجهة التى استعملها الألمان فى الحرب العالمية الثانية . وتنبأ بصنع أسلحة لا يحدُّ تأثيرها بحدود المكان ، فلا تنجو مدينة من أثرها . وحذر الناس من إطلاق الطاقة الكامنة فى جوف الذرّة ، ففى ذلك كارثة تنزل بالإنسانية . ومن أروع مخترعاته شىء سماه « لفة تسلا » ، وأنت لا تجد اليوم نظاما من أسلاك الراديو المذيعة ، ولا أداة من أدوات الإشعال فى السيارة ، خالياً من جهاز يرتد فى أصله ومبدأه إلى « لفة تسلا » هذه .

ومن الأغراض العظيمة التى اتجه إليها تسلا فى أواخر حياته، نقل القوة الكهربائية نقلا لاسلكيًّا . وقد آزره فى مشروعه هذا المالىُّ جون جاكوب أستور ، فبنى معملا للبحث أخفاه فى جبال كولورادو . ولن تجد سجلا وافياً لتجاربه فى هذا المعمل، ولكن روى أنه وفق إلى إضاءة مصابيح وإدارة محركات صغيرة أقيمت على مسافة ١٥ ميلاً من معمله .

فلما دلف إلى الشيخوخة اعتزل الناس وصار شاذ الأطوار . وكان يقصر طعامه على اللبن المغلى والخضر، عسى أن يعمّر إلى المئة. وكان قلما يخرج من حجرة الفندق الذى نزل فيه فى أيام الشتاء، وكان يحرص على جعل حرارتها ٣٢ بميزان سنتجراد ، وكان يلصق الورق على شقوق الأبواب والنوافذ حتى لا يتسرب الهواء إلى جوفها .

وقد نهج فى حياته كلها نهجاً صارماً لا يؤنسه حبٌّ أو حنان ، فلما أوفى على ختامها ، غلبه على أمره حب غريب للحمام، فظل هذا الرجل النحيل الصموت سنوات يلتمس الأماكن التى يجتمع فيها الحمام، فينثر عليه الحب من كيس يحمله، حتى ألف الناس رؤيته يفعل ذلك. فلما صار عاجزاً عن الخروج، طلب أن يجلبوا الحمام العليل إلى حجرته ، فيتولى تمريضه ورعايته حتى يبرأ، فيظل ساعات كل يوم يربت له على ريشه ويعجب به .

وكان فى اليوم العاشر من يوليو كل سنة يقيم حفلة لرجال الصحافة ، فيلقى عليهم ما يعنُّ له من خواطر عن مستقبل العلم ، وكانت هذه الخواطر تزداد كآبة وتجهماً سنة بعد سنة. وقد كان يحدثهم عن السيطرة على « القوة الكونية » والهيمنة على أشعة تستطيع أن تهلك ملايين من الناس ، وتكف محركات الطائرات عن العمل وهى على مئات الأميال من مصدر الأشعة .

وقد روى أن أحد الصحفيين قال : «لو قال هذا القول رجلٌ سوى تسلا لقلت إنه رجل مخبول » ، ولكن الصحفيين الآخرين لم يجاروا زميلهم فى حسن ظنه .

وقد توفى تسلا فى ٧ يناير سنة ١٩٤٣ فى السادسة والثمانين من عمره ، مخلفاً فى أوراقه مجموعة ضخمة من الآراء والمخترعات المسجلة لم تمحّص بعد . وعسى أن تضم هذه الأوراق آراءً تفضى إلى فتوحات علمية لم تطف بخيال ، وتدلنا على أن تسلا لم يقل كلمته الأخيرة بعد .

يقع رجال شركات التأمين فى الحين بعد الحين على محاولات غريبة للتهرب من الإجابة عن بعض الأسئلة فى طلب التأمين . وقد تردد رجلٌ فى الإجابة عن سبب موت والده ، ثم كتب : « كان أبى ساعة موته مشتركا فى اجتماع عام ، فهبط المنبر الذى كان واقفاً عليه ، فورد موارد الهلاك » . وقد أظهر البحث والاستقصاء بعد ذلك أن أباه قد شُنِق .

عجائب حياة الحمام

موريس مترلنك
مؤلف « حياة النحلة » و « حياة الأزهار » و « حياة النملة »
مختصرة من كتابه « الحمام والعناكب »

حبت الطبيعة الحمام بأجنحة بديعة ، وحس رائع على تبين الاتجاه ، وقدرة عجيبة على القيام برحلات طويلة ، بيد أنه مع ذلك لا يزال طائراً ديدنه الكسل والتسكع والدلال ، ويخيل إلىّ أن هدفه الوحيد فى الحياة إنما هو ولادة النسل ولادة لا تنقطع ، فأنت ترى إناث الحمام كثيراً ما تضع البيض لذرية جديدة قبل أن تفرغ من تربية نشئها الصغار. والأجيال من صغار الحمام تتوالى فى سورة من التناسل، فالحمام طير قد استرقته نوازع الحب والجنس ، فتراه يتكاثر كأنما يخشى موتاً يطارده .

وقد أهدى إلى أحد أصحابى منذ سنة زوجاً من الحمام ذكراً و أنثى ، فبلغ عدد نسلهما اليوم ٣٢ حمامة ، فإذا انقضت سنة أخرى بلغ العدد ٥١٢ حمامة ، وفى السنة الثالثة ٨٠٠٠ حمامة ، ذلك بأن صغار الحمام تبدأ وضع البيض حين تبلغ الشهر السابع أو الشهر الثامن من عمرها . وهذه الجماعة من الحمام التى تبلغ ثمانية آلاف تحتاج من الطعام إلى مقدار يهولنى أن أحصيه. وليس فى وسعى أن أصد هذا الغزو ، إلا إذا رميت بالنار كل بالغ من الذكور والإناث ، وهذا شىء لا أستطيع أن أتصوره ، فلذلك لا أنفك أفكر فى نهاية هذه المأساة الغريبة ، لأن الحمام لا يهجر المكان الذى ولد فيه إلا إذا حلت به كارثة عظيمة .

وزواج الحمام لا يفصم عروته سوى الموت على الغالب ، فتمر السنوات واحدة فى إثر واحدة ، وعروة الزواج بين زوجين من الحمام متينة على عهدها . ولكنك تجد من الحمام من يخرج على القاعدة كما ترى بين البشر .

والحمام لا يزال يختال فى مواكب الحب، ويقضى معظم وقته على السطوح أو فى الطرقات التى غمرتها الشمس بضيائها ، ويخيل إليك وأنت ترى الصغار ترف من حول أبويها ، أنها تغدق القبلات عليهما ، بيد أنها فى

الحقيقة لاتفعل شيئاً من هذا، بل هى تطلب منهما الطعام . وهى لاتفعل ذلك بأن تفتح مناقيرها كأقصى ما تستطيع أن تفتحها ، كما تفعل سائر الطيور، ولكنها تدس مناقيرها فى مناقير آبائها — فتخرج لها طعاما كالعصيدة أو الحساء مما سبق لها أن أكلته . وهذا منشأ وهم أطلقوا عليه اسم «قبلة الحمام» ، وعسى أن تكون هذه القبلة حين تتبادلها حمامتان كبيرتان ، ذكرى وحسب لما ألفتاه فى صغرهما من طلب الطعام .

والحمام لايعنى إلا عناية قليلة ببناء الوكر ، ومرجع ذلك إلى غريزة قديمة فى الأسلاف التى انحدر منها. وأنت ترى الحمامة الذكر يتخير بضعة أعواد طويلة صلبة ، ثم يحملها مختالا بها بين أقرانه ، ثم يمضى بها إلى زوجته ، والزوجة تأبى أن تغضب زوجها فتبذل جهدها فى ثنى الأعواد، ثم تترفق فى نبذها ، فإذا جاء موعد وضع البيض ، وضع البيض وانفلق على أرض عارية .

وفترة حضانة البيض مقسمة تقسيما دقيقاً ، فترقد الأم على البيض لتحضنه منذ الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر إلى العاشرة أو الحادية عشرة من الصباح التالى ، وفى بحر هذه الفترة ترى الحمامة الذكر يختال ويهدل ليسترعى اهتمام زوجته ، أو يراقبها كأنه يستريب فى حرصها على رعاية البيض ، فإذا كانت الساعة الحادية عشرة حل محلها فى حضانة البيض، فيتاح لها أن تنشر جناحيها وأن تلتقط فضلات الحب التى تتركها لها الجماعة تكرما وتفضلا . فإذا حان موعد عودتها إلى الحضانة ولم تعد ، ترى زوجها قد ذهب يطلبها بين لداتها المشغولات بالثرثرة أو الاغتسال أو الاستمتاع بقسط من غفوة أو راحة، ويدفعها دفعاً إلى العودة، وينقرها نقراً إذا اقتضى الأمر ذلك .

والفضائل الاجتماعية تكاد تكون منتفية من حياة الحمام . فلن يخطر لها أن تدفع عن نفسها حيواناً معتدياً ، وهى لو شاءت أن تتضامن فى الدفاع لأوردته موارد الهلاك. وإذا هجرت الآباء صغارها لمرض طرأ عليها أو لنزوة ألحت على آبائها أو لموتهم ، ماتت الصغار جوعاً . ومهما ارتفع صياح الصغار فى طلب الغوث، فلن تجد زوجاً من أزواج الحمام المجاورة المنصرفة إلى تربية صغارها ، يهب إلى نجدة الصغار الجياع المهجورين .

والحمامة تكاد تكون عاجزة عن أن توفر لنفسها ماتحتاج إليه ، وماتجمعه من الأوراق الخضر وبعض الحبوب ، لايكاد يكفى لبعض طعامها . والحمام ليس طائراً نهماً ، فحسبه حفنة قليلة من حبوب الذرة ، ومع ذلك تراه قانعاً أن يشارك سائر الدواجن والعصافير ماعنده — وهو لايفعل ذلك لأنه مضياف

كريم ، بل لأنه لم يبلغ من الذكاء مبلغاً يهديه إلى أن ما يؤخذ منـــه لن يُرَدّ عليه — وهذه حقيقة لا يجهلها الكلب .

يعد الحمام واليمام رمزاً للطهر واللطف ، وهذا وهم ينبغى أن يفضح ، فهى شرسة على قدر الأسلحة الضعيفة التى زودتها بها الطبيعة ، ويكثر الشجار بينها بالمناقير والأجنحة . وفى كل جماعة منها حمامة ذكر ، كبير الجثة شكس الطباع ، يستبد بالجماعة ويحكمها حكم الطاغية . والحمام حريص كالدجاج على حضانة بيضه ، بيد أنه إذا انفلق البيض عن نشء جديد ، تراه لا يعرف الهوادة ولا الرحمة مع النشء الذى سبقه ، ولا يكاد النشء الأول يتعلم كيف يلتقط طعامه حتى يقذفه من العش وإن كان لا يزال عاجزاً عن الطيران . وقد التقطت أحد هذه الصغار الذين نبذتهم آباؤهم ، فألفيته أعمى ، فجربت جاهداً أن أعيده إلى أبويه ، فراحت تجربتى أدراج الرياح ، ثم حاولت أن أحمل أبوين آخرين على تبنيه فلم أوفق إلى ما أردت . والدواجن تسىء إلى المرضى من جماعتها ، أما الحمام فلا يفعل ذلك ، ولكنه لا يعبأ بالمرضى شيئاً .

ومن ضروب الحمام الأنيس ضرب يطلقون عليه وصف « الراهبة » ، وهى حمامة لها رأس كأنه مقنع بقناع ، فإذا نظرت إليها من جانب الرأس خيل إليك أنه أشبه ما يكون برأس سيدة طوقت عنقها بطوق عريض من الفرو . وثمة حمامة بيضاء كالثلج تملأ صدرها هواء وترد رأسها إلى وراء حتى يلمس ذيلها العظيم القائم كالعمود ، المنتشر كالمروحة . ومن الحمام طائفة يطلقون عليها وصف « المرتعدة » لأن الهالة الفخمة التى تحيط بالرأس لا تزال ترتعش زهواً أو حباً . وإذا أردت الجمال الخالص فدونك الحمامة البيضاء التى لا يداخلها ريب فى شىء أو إنسان فتلبى نداءك حين تدعوها ، وتأكل من يدك ، وتجثم على كتفك ، وقد اتخذت فى العصور القديمة رمزاً للمحبة والسلام .

فإذا طلبت الأشياء الغريبة الفزعة التى خلقتها الطبيعة ، وجدت حمامة يصفونها بوصف « المنتفخة » ، لأن لها قدرة غريبة على أن تنفخ زقها حتى يصير حجمها ضعفى حجمها السوى ، ويغور رأسها فى الريش فلا تكاد تراه ، فكأنها مصابة بتضخم العنق من آفة تصيب الغدد الدرقية ، فيحول ذلك دون قدرتها على التقاط طعامها أو دون طيرانها ، ويمنعها أن تزق صغارها ، فتعهد بها إلى حمام آخر ، وقد يثقب هذا الكيس المنتفخ فى عراك يدور بينها وبين زوجها ، أو قد يفجر كما يفعل «البلون» الذى يلعب به الأطفال . وبرغم هذه المتاعب جميعاً ترى الحمامة « المنتفخة » مزهوة بما خصت به ،

فإذا فرغ كيسها من الهواء لسبب ما، ترى الحمامة من يأسها كالزهرة الذاوية، فما عليك ساعتئذ سوى أن تأخذ قصبة رفيعة وتنفخ الهواء فى هذا الكيس، فتعود الحمامة إلى ما كانت عليه من الاختيال.

ومن غرائب الحمام أيضاً حمامة تحلق فى الجو فى خط مستقيم، وتتقلب فيه كما يتقلب أهل الألعاب البهلوانية من الطيارين، وليس لذلك سبب معروف سوى أنها تجد فيه متعة عظيمة. فتراها تنقض أو تنحرف على حين فجأة، أو تطير فى دائرة، أو ترتفع فى خط لولبى أو تمايل، أو تسقط مسافة «كالورقة الميتة».

أما حمام الزاجل فهو أعجبها جميعاً، لأنه ينطوى على سر عظيم ركب فيه. فقد طويت جوانحه على معرفة الاتجاه الذى يجعله حراً يذهب حيث يشاء. ونحن نعرف أنه إذا وضعت حمامة فى صندوق مقفل وأرسلت بالسكة الحديدية من مدينة جانت فى البلجيك إلى مدينة همبورج فى ألمانيا، ثم أطلق سراحها هناك، فإنها تحلق وتدور فى الهواء بضع مرات، ثم تمضى، فلا تنقضى ساعات حتى تعود إلى وكرها فى جانت، والمسافة بين المدينتين ٢٨٠ ميلا، وهى تعرف معرفة لا تخطىء وكرها وألوفاً من سطوح المدينة التى عاشت فيها.

وأحدث الآراء فى تعليل هذا الحس الخفى، حس معرفة الاتجاه فى حمام الزاجل، يقرر أن مركز هذا الحس هو قنوات الأذن الداخلية، التى تفعل، كما يقول هذا الرأى، فعل محطات لاسلكية تتبين بعض ضروب الإشعاع. ومما يعزز هذا الرأى، أن بعض الباحثين قد وجد أن قدرة حمام الزاجل على تبين الاتجاه تضطرب اضطراباً كبيراً فى جوار محطات الراديو العظيمة.

هذا آخر ما انتهى إليه الرأى. وما أروع الأسرار التى ينطوى عليها أصغر الأحياء وأقلها شأناً وأضألها جناناً!



روى المثّال المشهور جاكوب إبستين أنه كان يصنع تمثالا نصفيًّا للعالم أينشتين، فكان العالم لا ينى وهو جالس للمثال، عن سرد الأقوال التى تنطوى على سخرية من الأساتذة النازيين، ولا سيما أن مئة منهم أجمعوا فى كتاب كتبوه على التنديد بنظرية النسبية، فقال أينشتين: «ولو كنت على خطأ لكان حسبى أستاذٌ واحد».

ينبوع شباب العقل

مختصرة من ((ذى اميركان مجازين))
مارى مليت

كان ألكسندر جراهم بل مخترع التلفون عالماً ومخترعاً عظيما فلما ناهز الخامسة والسبعين من عمره قال أحد المقربين إليه : « أعجب ما فى الدكتور بل أنه أدنى إلى شباب العقل من الذين لم يبلغوا نصف عمره. فكأنه قد كشف ينبوع الشباب العقلى، فيعبُّ منه فيبقى على الأيام يقظاً زاخر الحياة » .

وقد رويت لرجل من كبار أهل التربية آراء الدكتور بل فى الدرس والتحصيل وكيف ينبغى أن يكونا فقال لى : « إذا دأب أحد الناس على هذه الخطة أتيح له أن يحصل من المعرفة أكثر مما يحصله فى جامعة » .

وقد قال الدكتور بل : « إن تربية العقل لا تقتصر على أن تتذكر أشياء تسمعها أو تقرأها ، بل ينبغى للعقل أن يدبر أمر تربيته ومنهجها ، ولا يسعه أن يفعل ، إن لم يفكر ، فالعقل الذى لا يفكر يكاد يكون عقلا لا جدوى فيه .

« وقد تدبرت كيف يعلم المرء نفسه بنفسه، فانتهيت إلى ثلاث قواعد أو إلى قاعدة لها ثلاثة أركان : راقب ، تذكر ، قارن .

« فالقاعدة الجوهرية الأولى فى كل تربية هى مراقبة الحقائق الملموسة ، فإن لم تفعل فقد أهملت المادة التى تصنع منها المعرفة ، ثم تذكر ما شاهدت ولاحظت ، ثم قارن بين الحقائق التى لاحظتها ، فإذا بك تفكر من تلقاء نفسك تفكيراً ينتهى بك إلى أحكام ، وهذه الأحكام هى معرفة حقاً ، وهى معرفة خاصة بك .

« هذا النهج فى طلب المعرفة هو الذى جعل جون بروز عالماً عظيما ، ومورجن ماليًّا عظيما ، ونابليون قائداً عظيما . وأبدع ما فى الأمر أن طلب المعرفة على هذا المنوال ليس فرضاً تؤديه ، بل متعة رائعة .

« ما سرُّ القصة البوليسية ؟ أليست هى سلسلة متوالية من ملاحظة الحقائق وتذكرها ، ثم المقارنة بينها ـ حتى ينتهى بك ذلك إلى استخراج نتيجة ؟ والسواد من الناس يستمتع بمطالعة هذه القصص ، لأنهم يدأبون على غير وعى منهم وهم يطالعون ، على الملاحظة والتذكر والمقارنة ، محاولين أن ينتهوا إلى النتيجة الصحيحة ـ معرفة سر اللغز .

« وفى وسعنا أن ننهج النهج نفسه فى طلب المعرفة ، وأن تكون متعتنا أعظم وأروع . وأهم شىء فى طلب المعرفة هو أننا قد نظفر ونحن نطلبها ، بشىء قد قدر له أن ينفع الناس .

« ومهما يكن من أمر فإن هذا الطلب يزيد ثروة نفوسنا ، ويفتح أمام أعيننا نوافذ نطلُّ منها فنرى أشياء ممتعــة . أتذكر أنك فتحت المعجم ذات يوم لتبحث فيه عن تعريف كلمة بعينها ، فلم تظفر بمعان كثيرة أخرى ؟ أما أنا فلا أذكر أننى فتحته يوماً ولم أعد منه بذخيرة لم أطلبها ، ومثل هذا يقع لى حين أفتح موسوعة للبحث عن حقيقة رأى أو واقعة .

« وليس فى وسعنا أن نعمل أتفــه الأعمال دون أن ينطوى ذلك العمل على مبدأ ما من مبادىء العلم ، وليس فى الدنيا ما هو أفتن للب من أن تدرس هذه الأفعال وأن تحاول الدخول إلى كنهها .

« فإذا أردت أن تربى أولادك ، فاذكر أن الشىء الجوهرىّ فى تربيتهم هو حثهم على أن يستطلعوا حقائق الأشــياء بنفوسهم . وجه إليهم الأسئلة ، ولكن دعهم يبحثوا عن الجواب ، فإذا وصلوا إلى الجواب الخاطىء فلا تقل لهم إنهم قد أخطأوا ، ولا تكشف لهم عن الجواب الصحيح . بل وجه إليهم أسئلة أخرى تهديهم إلى خطأهم ، فيحملهم السؤال بعد السؤال على توسيع آفاق بحثهم .

« ولأضرب لك مثلا . افرض أنك تريد أن تعلم ابنك الصغير شــيئاً عن الرطوبة وتكثفها ، ففى وسعك أن تقول له إن فى الهواء قطيرات من بخار الماء ، تخرج مع أنفاس الناس ، وأن بخار الماء يتكثف إذا توافرت له أحوال بعينها ، أى أنك تطلعه على نتيجة وصل إليها فريق من أهل البحث ، ثم تطلب منه أن يتذكرها .

« ولكن امتنع عن أن تقول له شيئاً من هذا ، واحرص على أن تقدم له كوباً فارغاً ، واطلب منه أن يتنفس فيه . فيرى الرطوبة على الزجاج ، فاسأله من أين جاءت الرطوبة . ثم اطلب منه أن يتنفس على سطح الكوب ، ودعه يجرب ذلك بكوب ساخن وبآخر بارد . بل دعه يجرب التنفس على سطوح أخرى غير الكوب . ولا تتول عنه عمل التفكير ، بل احرص على أن يلاحظ ما يحدث ، وعلى أن يتذكر ما حدث فى كل تجربة ، وأن يقارن بينها ، فعندئذ ينتهى إلى نتيجة .

« وأنا أعتقد أن تربية النفس عمل يدوم ما دامت الحياة ، وهى تربية تأتيك منقادة إليك ، لا يحول دونها شىء ، إذا عودت عقلك أن يسير على هذه القواعد الثلاث » .

مارشال: وزير خارجية أمريكا

جون هرسى
مختصرة من مجلة «كولييرز»

يروى عن الجنرال جورج مارشال أيام كان يكدح فى سبيل النهوض بأعباء منصبه رئيساً لهيئة أركان الحرب فى جيش الولايات المتحدة، أنه أفضى ذات يوم لأحد أقربائه بقوله: «لو خيرت لأحببت أن أتولى منصباً كمنصب وزير الخارجية، إذن لاستطعت أن أقيم فى الريف فى دارى ولاقتصر عملى على بضع ساعات كل يوم فى وشنطن. تلك هى الراحة البديعة».



ولكن الأحوال قد تغيرت منذ ذلك اليوم، فإن منصب وزير الخارجية أصبح باستثناء منصب رئيس الولايات المتحدة، أكثر مناصب الحكومة الأمريكية إرهاقاً لمتوليها، إذ ينبغى لوزير الخارجية فى هذه الأيام التى تتلاحق فيها المؤتمرات المضنية أن يتوفر له إشراق الذهن وقوة الجسد. ولعل هذه الصفات لا تتوفر اليوم فى رجل توفرها فى الجنرال مارشال، فإنه وقد بلغ السادسة والستين من عمره يتمتع بنشاط ذهنه وبدنه.

وهذا النشاط لم يأته عفواً، فقد حرص الجنرال دائماً على العناية ببدنه وكان إبان شبابه متفوقاً فى الألعاب الرياضية، كما دأب حينما تولى منصب رئيس أركان الحرب، على أن ينهض من فراشه كل صباح قبل منتصف الساعة السابعة ليمتطى صهوة جواده ويخرج للنزهة نصف ساعة، ثم يبدأ عمله فى منتصف الساعة الثامنة.

وهو حريص أيضاً على أن يصيب من راحة النوم قدراً كافياً، كما أنه يلزم الاعتدال فى أعماله كلها، فهو لا يدخن قط ولا يشرب من الخمر إلا قليلا.

فاعتداله ومواهب عقله هى التى تسبغ على بدنه ثوب العافية . أمّا ذهنه فكأنه مركب من خزائن منفصلة تحتوى كل منها على عدة أضابير ، فاذا فرغ من عمله فى إحدى الخزائن أغلق بابها وفتح أخرى . وهذه الموهبة تجعله قادراً على أن يركز كل انتباهه فى العمل الذى يتولاه فى لحظة دون أن يساوره شىء من القلق على العمل الذى أتمه، وهو بعد ذلك رجل لا يعدل عن رأى سبق له أن بت فيه .

أما ذاكرته فهى تدهش معاونيه . وكان وهو رئيس أركان الحرب لا يحمل معه مذكرات حينما يذهب إلى جلسات لجان البرلمان، ولكنه كثيراً ما أدهش النواب بقوله مثلا : « يحتاج الجيش من البنادق السريعة الجديدة إلى ٢٤٠,٥٥٩ عندنا منها ١٦٧,٧٨٩ فينقصنا ٧٢,٧٧٠ بندقية » .

والظاهر أنه يقصى عن ذهنه كل خاطر لا يروقه أو لا ينفعه ، وهذه القدرة العجيبة فى طاقة عقله ، هى بعض أسباب مقدرته الفائقة على العمل .

وكان أثناء الحرب يتتبع تفاصيل مسائل يثير عددها الدهشة ، لا عن جيش الولايات المتحدة وحدها بل عن جيوش أعدائها أيضاً . ودارت المناقشة مرة عن مقر ٥٣ فرقة يابانية خارج بلادها ، فأشار مارشال إلى موقع فى الخريطة وقال : «الفرقة الموجودة هنا أعدت فى الأصل لتكون فرقة مدرّعة، ولكن عدد دباباتها فى الوقت الحاضر لا يزيد عن قوة ثلاثة آلايات ، وستكمل معدات الفرقة قريباً » .

وأبرز مواهب مارشال فى عمله العسكرى هى مقدرته على استخلاص الحقائق الأساسية من بين ركام التفاصيل الثانوية ، ثم التفكير فى النتائج المحتملة للمسألة التى يدرسها .

وقد ظلت هذه الموهبة فى الماضى كما ستظل فى المستقبل أكبر عون له على الوصول إلى قرارات حاسمة فى عمله الدبلوماسى، ولكن نظراً لأن السياسة عمل جديد عليه ، فلا مفر من أن تتوقف سلامة قراراته على نوع المعلومات التى يقدمها إليه الذين يعملون تحت رياسته .

والفضل فى هذه السكينة التى تعينه على العمل ، راجع إلى ماتبديه زوجه الثانية كاترين تابر براون مارشال من الحصافة وحسن الفهم. أما زوجته الأولى فقد ماتت سنة ١٩٢٧، وزوجته كاترين ربة دار قديرة وسيدة كريمة النفس رقيقة الإحساس ، وقد بذلت لزوجها أكبر العون فى سنوات الحرب بأن وفرت له أسباب الهدوء والانتظام فى معيشته . ولم تعلم يوماً ما قط ، ما عدد

الضيوف الذين سوف يدعوهم الجنرال إلى الغداء فى داره ، فهى لا تعلم بهم إلا حين ينبئها عنهم سكرتيره بالتلفون ساعة يغادر الجنرال مكتبه عائداً إلى داره . فإذا وصلها وجد كل شىء قد أعد بإحكام وهدوء ، كأنها كانت تعلم من قبل عـدد ضيوفه فى ذلك اليوم. وهى تصحبه إذا خرج للرياضة مساء، وتعد له النزهات فى الزوارق مع رفقة من أصدقائه ، وتصغى إليه حين يشعر بالحاجة إلى التعبير عن أفكاره وهو مشغول فى تدبر قرار خطير . ثم لا يشق عليها أن تتركه فى خلوة حين يزهد فى الكلام .

ولو كان قدر لمارشال أن يكون أعمق دراسة للاقتصاد والسياسة ، لكان خليقاً أن يكون أطول باعا وأشد ساعداً فى المؤتمرات التى سيشهدها ، ولكن حسبه أنه أستاذ ماهر فى فهم العلاقات الشخصية، فهو يدرس من يعاملهم أو يفاوضهم من الرجال بنفس العناية التى يبذلها فى دراسة مايعرض له من المشاكل السياسية . ولذلك فإن خير أسلوب للحكم على مقدار نجاحه فى المعترك البشرى الذى تتمثل فيــه مؤتمرات الصلح يكون بدراسة شخصيته هو نفسه .

فالمشهور عنه فى وشنطن أنه رجل خشن عبوس ، وهو على خلاف أيزنهاور ، تراه لا يرفع الكلفة إلا مع عدد قليل من أصدقائه القدماء . وقد جرى الرئيس روزفلت ، على رغم ماعرف عنه من ميل إلى مباسطة أعوانه، على أن يناديه دائماً بقوله : « ياجنرال » .

ومع ذلك فإن قلبه لا يتأبى على الصداقة المتينة. وإذا قدّرت أنه رجل متحفظ أدركت أن صداقته إذن صداقة وثيقة . وقد نمت فى قلبه أثناء الحرب عاطفة من الصـداقة والاحترام نحو رجل متحفظ آخر ، هو الفيلد مارشال جون ديل ، الرئيس السابق لهيئة أركان الحرب البريطانية ، والذى كان يمثل بلاده فى لجنة أركان الحرب المشتركة فى وشنطن . وقد نشأت بينه وبين جيمس بيرنز وهارى ترومان صداقة متينة .

وقد أشاد الفيلد مارشال جون ديل قبل وفاته بالجـنرال مارشال ، ونسب إليه خلة لها الفضل الأول فى شهرة الجنرال المستفيضة إذ قال عنه : «إن كافة السلطات البريطانية التى عاملت الجنرال مارشال تؤمن بأنه فى كل فكرة أبداها، وفى كل قرار أوصى به ، لم يكن يهدف إلا للمصلحة المشتركة ، فأعماله كلها بريئة من الأغراض الشخصية » .

ولما حل عيد ميلاده الثالث والستين أعد له الجنرال أرنولد حفلة كتم عنه خبرها، وشرب مستر ستمسون وزير الحربية تحية الجنرال وقال : « تعودت بفضل خبرتى فى حياتى الطويلة أن أفرق بين نوعين من

رجال الحكم : أولهما هؤلاء الذين يصرفون جل همهم إلى التفكير فى خدمة مايتولونه من عمل . وثانيهما هؤلاء الذين يصرفون كل همهم إلى التفكير فيما عساه أن يغنموا من فوائد من عملهم. وأعتقد أن الجنرال مارشال فى مقدمة رجال النوع الأول » .

وإن نزاهتـه ومقدرته على اكتساب الأصدقاء قد صارت اليوم وهو فى منصبه الراهن ، أكبر شأناً وأعظم نفعاً له مما كانت فى منصبه السابق فى الجيش . وقـد أصبحت السياسة الخارجية للولايات المتحدة — سواءأكان فى ذلك خير أم لم يكن — نتاج تضامن شخصى وثيق بين القائمين بأمرها . وكان أول ما فعله الجنرال مارشال سـاعة عاد من نانكنج إلى وشنطن، أن سأل بعض مرءوسـيه عن الأخطاء التى يعتقدون أنه ارتكبها ، فأخبروه بها .

ويختلف الجنرال مارشال عن بقية رجال الحـكم فى تهافتهم على الدعاية لأنفسهم فى الصحف ، فهو يتجنبها. وقد لاحقه مراسل صحفى فى الصين سـتة أشهر فلم يظفر منه إلا بثلاث كلمات صرح له بنشرها إذ قال : «الحالة دقيقة حرجة» ولـكن وزير الخارجية مضطر دائماً إلى لقاء عدد كبير من رجال الصحف ، لذلك يختار المواضيع التى يريد التحدث فيها ولا يزيد عليها .

والمشهور عنه أنه يسارع إلى خدمة الناس، فقلما عاد من ميدان القتال إلا واتصل بكثير من زوجات الضباط لينبئهن بأخبار بعولتهن. وهو يشمل مرءوسيه بلطف عظيم أيضاً ما داموا قائمين بأعمالهم على خير وجه ، فهو لا يطيق إلا ذوى القدرة والكفاية . وقد خبر بعض الضباط كيف كانت قلة تسامحه وعفوه عن الأخطاء سبباً فى تحطيم مستقبل الكثيرين ، بيد أنهم يقولون إن قلة تسامحه تكون حافزاً لهم فى أعمالهم .

ولا جرم أن تكون أعقد مشكلة ورثها المارشال مع وزارة الخارجية هى الاحتفاظ بروابط الصداقة مع روسيا . وقد وقعت فى تاريخ اتصالاته مع الروس ثلاث حوادث تدل على أن الشجاعة لا تنقصه فى القيام بكل عمل يراه صواباً وعادلا ، كما تدل على أنه سيعامل الدول بنفس الطريقة التى يعامل بها أبناء وطنه .

وقد وقعت أول حادثة فى سنة ١٩٤٢ حينما قدم مولوتوف إلى وشنطن للمطالبة بفتح الجبهة الثانية ، وقد أقره الرئيس روزفلت على رأيه دون أن يشفى غليله بجواب صريح ، وكان مارشال هو الذى عدد لمولوتوف الأسباب التى تحول دون فتح الجبهة حينئذ . فالسفن غير متوفرة ، وذكر له عدد السفن اللازمة لنقل حملة برية

وبحرية تعبر المانش ، ونبه مولوتوف إلى أن الولايات المتحدة تخسر من أجل الروس عدداً كبيراً من السفن فى طريق مورمانسك. وقد التزم المارشال جانب الصراحة وكثيراً ما كان يطلب إلى المترجمين الروس والأمريكيين أن يترجموا أقواله كما هى حتى لا يقع خطأ فى فهمها ، فكان كلامه هو الذى حسم اللجاجة والجدال .

ووقعت الحادثة الثانية فى الصين فى العام الماضى حينما تساءل المتسائلون عما تفعل روسيا (وكانت قد اكتسبت بعض الحقوق فى ميناء دايرن فى منشوريا الجنوبية) لو فتح الأمريكيون قنصلية لهم فى ذلك الثغر ، فبدلا من استئذان روسيا والتعرض لرفض الطلب ، أمر الجنرال مارشـال بأن يستقل القنصل سفينة حربية ويذهب إلى ذلك الميناء ، فلم يعارض الروس فى مباشرته لأعماله .

ووقعت الحادثة الثالثة فى الصين أيضاً ، إذ عمد الجنرال قبيل عودته إلى بلاده فأخبر السفير الروسى أبولون بتروف بصراحة تامة أنه يعتقد أن التبعة التى تحملها العناصر الرجعية فى الحكومة المركزية ، لا تقل عن التبعة التى يحملها الشيوعيون فى إخفاق المفاوضات الدائرة بين الحكومة المركزية والشيوعيين الصينيين. وأدلى الجنرال مارشال بعد ذلك بتصريحات رسمية أيد فيها أقواله السابقة، ولا شك أنها أزالت ماعساه يكون فى نفس السفير الروسى من ريبة وشكوك .

وينكر وزير الخارجيـة الجديد أشد الإنكار أن الجيش الأمريكى يسعى إلى السيطرة على السياسة الخارجية فى بلاده ، فهو يقول قبل كل شىء إنه كان يظن أن مهمته قد انتهت ، ولذلك فهو لم يرغب ولم يطلب أن يسند إليه منصب وزير الخارجية وهو أشق منصب تولاه فى حياته . ويعدد السوابق التى تثبت أن الجيش يريد أن ينفض يديه من المسائل المدنية، وبخاصة فى إيطاليا ، فهو يؤمن بأن السلطات المدنية فى الدولة يجب أن تكون فوق السلطات العسكرية .

وأهم من ذلك أنه يعرف أحسن المعرفة فرق ما بين المدنيين والعسكريين فى تنفيذ المسائل السياسية . فالمسائل العسكرية تحتاج فى رأيه إلى شدة وتمسك بالقرارات التى صح العزم عليها ، ولكن السياسة الخارجية تتقلب وتتحوّل ، كما خبر الجنرال ذلك فى الصين، أما عبارات المواثيق الموقع عليها فقابلة للمط واللف والدوران ولا تستقر على حال .

ولا مفر من مرور وقت طويل قبل أن نتبين مقدرة مارشال على تنفيذ المبادىء التى ذكرت آنفاً ، لأنه ظل نصف قرن يمرن نفسه على العقلية العسكرية وما تتطلبه

من صلابة واستقامة ورجولة وصراحة . وقد تعدم صراحته وأمانته وحسن نيته أن تجد ما يماثلها عند من يتعامل معهم من وزراء خارجية الدول الأخرى ، وهو قد يعوزه أحياناً أن يجد فى مرؤوسيه ما يتطلبه من طاعة وإخلاص ، ولكنه لا يجهل الصعاب التى تواجهه . وقد قال مرة : « هيهات فى شئون السياسة أن تدرك ما يفكر فيه مخاطبك ، فهو يبتسم لك ويركلك فى وقت واحد » .

ويختلف الناس فى حكمهم على نجاح مارشال فى منصب وزير الخارجية ، ولكن الإجماع قد انعقد فى وشنطن على أنه رجل ذو مواهب كثيرة ، فقد قال عنه ترومان فى حياة روزفلت إنه « أعظم أمريكى فى الوقت الحاضر » . ووصفه تشرشل ـ بالرغم مما لقيه من معارضة لسياسته ـ بأنه « المنظم الحقّ لأسباب انتصار الحلفاء » .

أما رجال البحرية ، فألسنتهم تثنى عليه ، ويقول بعض ضباط الجيش الذين كانوا من رؤسائه ثم تخطاهم، إنهم يرحبون بالعمل تحت رياسة مرءوسهم السابق. وهو فوق ذلك موضع احترام الصحفيين المعروفين بالميل إلى الانتقاص من أقدار الناس . وليس فى وشنطن رجل واحد يرضى أن يغتاب مارشال ، وإن كانت الغيبة متفشية فى تلك المدينة .

ولعل شهرته الفائقة بلاء عليه ، فإن تكرار الثناء الذى هو جدير به قد حمل الجمهور على الاعتقاد بأنه يستطيع بعصاه السحرية أن يحقق السلم بمفرده ، ولكن أعماله بعد توليه منصبه تنبىء بأنه خير من يعلم أنه رجل كبقية البشر يشغل منصباً ثقيل الأعباء . وإنه ليدرك أيضاً أن الرجال الذين يعاملهم هم من البشر أيضاً ، وهذا دليل على الطريقة التى ينتظر أن يسير عليها فى إدارة سياسة بلاده الخارجية .

وقد ودّ الجنرال منذ سنين عديدة أن يعتزل العمل ويأوى إلى داره فى الريف ، ولكنه أجّل اعتزاله حينما طلب إليه أن يذهب إلى الصين ، ثم أن يتولى منصبه الراهن . وهو رجل لا تنقصه الحكمة حتى يدرك أنه مهما طال صفاء ذهنه وقوة جسمه وصدق عزمه ، فإنه من المستحيل عليه أن يتم مهمته بالنجاح الذى أتم به مهمته العسكرية ، وأنه إذا ظفر بثناء التاريخ عليه ، فلن يسمع هذا الثناء بأذنيه وتطيب له نفسه ، ولذلك فإن قبوله لمنصبه الأخير دليل على وثوقه بنفسه وتنزهه عن الأنانية .



مدارس جديدة تعد الصغار لحسن الاستمتاع بالحياة في فصول تدرس فيها مشكلات العواطف بين الناس.

علموا صغاركم كيف يعيشون

هوارد ويتمان
مختصرة من مجلة « ومانز هوم كومپانيون »

لعل أعظم خيبة منيت بها مدارس الصغار في هـذا العصر ، أنها حاولت أن تعلمهم كل شيء سوى فن الحيـاة . فتراهم يشبون ، فإذا بعضهم لايزال غرًّا في شئون القلب فينكبون بها في حياتهم كباراً . وإذا البعض الآخر مضطرب النفس ، فيكون مصـيره إلى مستشـفى أمراض العقل . وآخرون تعذبهم ضروب من العواطف ، لاتزال تلح عليهم حتى ينهاروا .

والحرص على أن يكون للتعليم أثر قوى في نفوس المتعلمين ، حمل المدارس في ولاية ماريلند الأمريكية على تنظيم منهج جديد في التعليم سمته « منهج العلاقات الإنسانية ». وربما كانت تسميته بمنهج العواطف البشرية أصدق دلالة على معناه الصحيح .

وقد قال إدمند بوليس مدير هذا النهج: « إن هدفنا هو أن نمكن الصغار من أن يشبوا فإذا هم أهل شـخصيات قوية ، فيستطيعون أن يخوضوا بحر الحياة المتلاطم في سفينة لاتضطرب » .

ثم وصف لى كيف يطبق هـذا النهج الجديد .

يقرأ المدرّس في الفصل قصـة تمثل موضوعاً من الموضوعات الثلاثين التي يدور النهج عليها ، كمثل « مشكلات العواطف في البيت » و « الشعور بالضعة أو مركب النقص » و « أثر العواطف في البدن » .

وبعد أن يتم قراءتها يعمد الصغار إلى تحليل قوى النفس العاطفية التي تتأثر بالحالة التي تصفها القصة، ثم أشخاص القصة أنفسهم وما يعانونه من مشكلات ، ثم يسأل المدرس تلاميذه : هل أحسـوا بهذه العواطف تضطرب بها نفوسهم؟ وماذا فعلوا ؟ وتعقبها مناقشة حرة صريحة ، فلا يتردد الصغار في الاعتراف بما جاشت به نفوسهم من العواطف الرديئة أو الخسيسة . فإذا تبين الصغير أنه

ليس الفتى الوحيد فى الدنيا الذى نطق بالكذب ، أو الذى شعر بالخوف ، أو الذى ألح عليه الطمع ، كان لذلك أثره العظيم فى صحة نفسه وسلامتها .

وقد كانت القصة التى قرئت فى فصل « العواطف الرديئة » تدور على جندىّ ألح عليه الخوف ففر من فصيلته زمن الحرب.

فقال المدرس : « ليس ثمة ريب فى أن الخوف عاطفة رديئة ، فما هى العواطف الأخرى التى من هذا القبيل ؟ »

وإذا التلاميذ يردون عليه واحداً بعد واحد ، فذكروا عشراً منها أو أكثر : البغضاء ، والغضب ، والهم ، والحسد ، والغيرة ، والخجل ، وما أشبه ذلك .

وقالت جوان : « ظننت مرة أنى أضعت أحد كتبى المدرسية ، فخشيت أن تؤنبنى على ذلك ، فقلقت نفسى وجفانى النوم » .

فقال المعلم : « وكيف انتهت الحادثة ؟ »

فقالت : « وجدت أن الكتاب لم يضع ، فقد كان خوفى وقلقى عبثاً » . وقد ألفى المعلم نفسه فى غير حاجة إلى أن يستخرج العبرة الخلقية من هذه الحادثة ويثبتها فى نفوس التلاميذ ، مبيّناً أن كثيراً من الأشياء التى تقلق نفوسنا هى من قبيل الأوهام .

وسرعان ما صار أشد الصغار تكتماً ينطلقون فى حديثهم ، وقد كان من الواضح أن تفتيح الأبواب عن مكتوم شعورهم ، قد سرّى عنهم وأراحهم .

ثم ترى المدرس قد ثبت فى نفوسهم أن جميع هذه العواطف شىء طبيعى لاشذوذ فيه ، فينبغى أن لايخافها أحد . ثم أفضى الحديث إلى التمييز بين المخاوف الحقيقية والمخاوف الموهومة : المخاوف التى تحمينا وتوقينا ، والمخاوف التى تضعف قدرتنا على التفكير أو العمل .

ووقف الفتى ديك وقال : « كنت يوم كنت طفلا صغيراً أخاف أن أدخل وحدى فى قبو البيت » .

فسأله المدرس : « وكيف تغلبت على هذا الخوف ؟ » .

فقال : « دخلت القبو وحدى مرة واحدة ، فكان ذلك حسبى . لم أجد فيه جنًّا ولا أشباحاً ، فلم أشعر بالخوف قط » .

ثم تولى المعلم اختصار مادارت عليه المناقشة : « ينبغى أن نتذكر أننا كثيراً مانخاف شيئاً لأننا نجهله ، فينبغى لنا إذن أن نواجهه ، وينبغى لنا أن نعيش مع الخوف وأن نقهره شيئاً فشيئاً ، وأن لاندعه يتراكم فى نفوسنا فيؤذينا فى قابل أيامنا » .

وقد طوّفت فى هذه المدارس ، فتبين لى أن المشكلات التى يواجهها الصغار عديدة متنوعة لا تحصى . ووجدت فى أحد الفصول

فتاة بترت ساقها ، فلما اجتمعوا لدراســة « التغلب على مواطن الضعف فى الجسم » وقفت وقالت : « أودّ أن تحرصــوا على معاملتى كما تعاملون سائر الطلاب ، ولست أريد أحدا أن يحمل لى كتبى إلى المدرسة » . فأحس سائر الطلبة لساعتهم بالراحة ، وأحسّت هى بها أيضاً ، فليس بهم حاجة إلى التهامس عنها ، أو التظاهر بأنهم لم يلاحظوا أنها ذات عاهة ، فقد صارت واحدة من الجماعة.

وكان فى فصل آخر طالب من أبناء المهاجرين، وكانت لهجته الإنجليزية غريبة، فأحس أنه فى عزلة عن رفاقه . وذات يوم قرئت قصة فى فصل « العلاقات الإنسانية » ، وكان فى القصة شخص يتكلم الإنجليزية بلهجة غريبة ، ففهم الطلبة مغزى القصة ، فقضى فهمهم على تعصبهم ، وصاروا أقرب إلى الفتى الغريب وأحدبَ عليه .

ومن أهم أسباب المتاعب التى يعانيها الصغار علاقة الفتيان بالفتيات ، فيعينهم المعلمون على ردّها إلى أربعة بواعث أصيلة فى نفوس الناس : المحافظة على الكيان ، المغامرة ، الاهتمام بالجنس الآخر ، طلب الظهور . فكان مما يثلج الصدر أن تسمع الفتيات يتحدثن حديثا صريحاً لارياء فيه، عن الاهتمام بالجنس الآخر ، وعدّه قوة محركة فى حياة البشر .

وكان مما يبعث على الاطمئنان أيضاً أن ترى هؤلاء الصغار يربطون بين هذه القوة الأصيلة وعاطفة الحب، بدلا من أن يربطوها بما يعد مخجلا أو فاحشاً . وقد قال لى ناظر إحدى المدارس : « لقد عمد طلبتى من تلقاء أنفسهم إلى محو الكلمات البذيئة أو الصور من جدران المراحيض » .

والدراسة فى هذه الفصول تعالج مشكلة التوتر فى الأسرة من أصولها، فيتعلم الصغار عن طريق المناقشة خلق التسامح فى نظرتهم إلى جميع العلاقات المضطربة والمشكلات التى لا يخلو منها بيت .

وقد كان أحد التلاميذ مضطرباً شديد الاضطراب ، لأن أمه كانت تفرض عليه أن يغسل الصحون ، فكان ذلك صدمة قوية لنفسه ، ولكنها تبددت وذهب أثرها ساعة سمع غيره من الصغار يعلنون أنهم يغسلون الصحون أيضاً. فخرج من الفصل مستبشراً ضاحكا .

وذكر فتى آخر كيف كان أبوه يعاقبه مرة بعد مرة من أجل « أشياء تافهة » ، فبعد أن بحث الموضوع فى الفصل ، أدرك الفتى أن أباه قد وضع نصب عينيه مثلا عالية أراده أن يسمو إليها، وأن كل تقصير يسير من ابنه ، كان يخيب أمله خيبة عظيمة — فأبوه يحبه حباً عميقاً .

ولعل أعجب شيء في منهج « العلاقات الإنسانية » هو بساطته . فليس الصغار في حاجة إلى معلم خاص ، وقد قال لي مستر بوليس مدير المنهج : « كل مانحتاج إليه إنما هومعلم تنطوي جوانحه على حب الخير، وطائفة من الخطط للفصول أحكم إعدادها وتنسيقها » .

وقد قصر بوليس منهجه في أول الأمر على الصغار الذين في الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمرهم . فالفتيان والفتيات في هذه السن قد بلغوا من العمر مبلغاً يمكنهم من أن يفهموا مشكلاتهم ، ولكنهم لا يزالون على ما فطر عليه الصغار من إطلاق النفس على سجيتها ، بيد أن هذه الدروس جربت في صغار أصغر منهم سنا فكانت موفقة .

وهذا الضرب الجديد من التعليم يمكن الصغار من أن يفهموا أنفسهم ، والفهم طريق إلى التسامح مع أنفسهم، ثم إلى التسامح مع سائر الناس ومحبتهم . والمنهج يزيد من قدرة الصغار على الاستمتاع بالحياة ، ويؤهلهم لحياة أحفل بثمار العمل والبهجة ، ويضعهم في أول الطريق المفضي إلى ما يعدّ أعظم ذخائر الحياة الإنسانية : سكينة النفس .



سدني سوكلسكي كاتب من كتاب هوليوود ومخرجٌ في إحدى شركات السينما ، وهو يكره الرحلة في الطائرات أشد الكره ولا يطيقها ، بيد أنه مضطرٌ في الحين بعد الحين أن يركب متن الجو بين هوليوود ونيويورك . فإذا لم يكن له بدٌ من أن يطير ، تراهُ قد أقبل على المطار ومعهُ طبيبهُ ، فيدخل الطائرة ويقعد فيها قعدة المستريح ، ويربط حول وسطه حزام الأمان ويقول لطبيبه : « هيَّا » . وإذا الطبيب يحقن ذراعه بمخدر خفيف . فلا تنقضي أربع عشر ساعة، حتى يبدأ سوكلسكي يفتح عينيه ويتململ ثم يسأل : «أين أنا» فيقول له الحاجب : « أنت الآن في مطار نيويورك . أتريد سيارة يا سيدي؟ » .

وعسى أن تكون هذه الطريقة خير طريقة ابتكرها الناس للتغلب على متاعب الطيران .

[بول جايكو في مجلة « إسكواير »]

زعيم بريطانيا زمن الحرب يسرد الحقائق عما صنعته بريطانيا في الحوادث الدامية التي حدثت في اليونان سنة ١٩٤٤

حقيقة ما حدث في اليونان

ونستون تشرشل

مقتطفات من مجلة «لايف» وصحيفة «نيويورك تايمز»

إذا شئتُ أن أكشف اللثام عن مسألة اليونان ، فلا بدّ لي من الرجوع بها إلى ما جرى في خريف ١٩٤٤ وشتائها . فقد كانت الحرب دائرة بيننا وبين ألمانيا الهتلرية لردّ طغيانها ودفع بطشها في اليونان، فلم تدّخر بريطانيا سلاحاً أو معونة إلا أمدّت بها كلّ من يطيق أن يقتل أحداً من الألمان. فلما دنا الحلفاء من النصر ، صار من الممكن تحرير البلاد المحتلة . وإذا قدر لشعبٍ أن ينزل به عسف الحكم النازيّ ثلاث سنوات أو أربعاً ، فإنه لعسير بعدئذ على أي أجنبيّ أن يتبين رأي أهله فيمن يؤثرون أن يكون له حكم بلادهم، وأي ضرب من ضروب الحكومة يبتغون . ففي مثل هذه الأحوال يرى العالم الديمقراطي أن يستفتي سواد الشعب وعامته سرًّا وبغير إرهابٍ يخافونه.

وتحت ظلال الحماية البريطانية تيسر لأهل اليونان أن يجروا انتخاباً حضره مراقبون من البريطانيين والفرنسيين والأمريكيين، ودعي لحضوره أيضاً مراقبون من السوفيت . وقد قررت لجنة المراقبين أن هذا الانتخاب كان صحيحاً نزيهاً ، بل لعلّ البلقان لم تشهد منذُ قديم الأزمان انتخاباً حرًّا سوى هذا الانتخاب. وهذا شيء نعرفه اليوم أحسن المعرفة ، ولكن منذ سنة خلت كان الرأي القائل بأن « أثينا بأمجادها الخالدة » ينبغي أن تكون حرة في تقدير مصيرها عند صناديق الانتخاب ، قولاً يسخر منه في كثير من محافل أهل اليسار، وقام الشيوعيون يتصايحون بنا ويندّدون. ومع ذلك فقد قضي الأمر وتمّ الانتخاب .

ولم يكن يتردد في الخاطر يومئذ سوى سؤال واحد : هل يقدر لهذه الحكومة اليونانية التي جاءت على عقب هذا الانتخاب أن تستهدف بل أن تسقط على يد شيعة السوفيت أو العصابات الشيوعية المسلحة ؟ وهل يمكن أن يعد هذا العمل كله مظهراً من مظاهر الديمقراطية ؟

وقد وقف المستر دين أتشيسون القائم بأعمال وزير خارجية أمريكا أمام لجنة مجلس

النواب الأمريكى فى مارس الماضى ، فقال ما يلى : « إن قيام حكومة يسيطر عليها الشيوعيون فى اليونان ، يعدّ خطراً يهدد سلامة الولايات المتحدة » .

وهذا بعينه هو ما ساورنا فى أثينا فى ديسمبر ١٩٤٤ ، فقد كنت رئيساً للحكومة البريطانية ، وكنت أنا وزملائى فى الوزارة نعمل متفقين بلا خلاف بيننا . فكنت أنا أشعر أيضاً بأن « قيام حكومة يسيطر عليها الشيوعيون فى اليونان ، يعد خطراً يهدد سلامة بريطانيا » ، ويهدد القضية العامة ، قضية الحرية . ولست أشك أن حكومة العمال الراهنة تشاطرنا هذا الرأى نفسه . وفى ديسمبر ١٩٤٤ أصبحت الحالة فى اليونان حرجة من جراء انقلاب يخشى أن يحدثه الشيوعيون فى الحكومة باستخدام العنف وسفك الدماء على نطاق واسع .

ولما لاذ الألمان بالفرار ، أعيدت إلى أثينا حكومة بينها وبين الحلفاء علاقات رسمية ، وقد وافق الرئيس روزفلت على هذا العمل كل الموافقة . وكان ملك اليونان وأخوه يحبّان أن يعودا إلى بلادهما على رأس هذه الفئة القليلة ، بيد أن السياسة البريطانية كانت قد تعهّدت منذ زمن بعيد بأن يستفتى الشعب اليونانى فى مسألة الحكم الملكى ، فاستجاب الملك لرغبتنا وبقى فى لندن ينتظر رأى الأمة اليونانية . وكنت أرمى بهذا إلى إقناع أهل اليسار بأن السياسة البريطانية فى اليونان تقوم على إرادة الشعب اليونانى التى يعرب عنها وهو حرٌّ مختار لما يريد .

وقد مضى الرئيس باباندريو على رأس حكومة مؤلفة من جميع الأحزاب تضم ستة من الوزراء الشيوعيين ، فلما نزل أثينا قوبل بمظاهرات ترحب به ، فتجددت الآمال وخيل إلينا أن عهد القلاقل قد ذهب إلى غير رجعة .

بيد أنه كانت هناك عصابات شيوعية لم يبذل معظمها إلا جهداً قليلا أو لم يبذل جهداً قط فى مجاهدة الألمان ، بل كانوا يختزنون ما نعطيهم من السلاح حتى يستعملوه فى أغراضهم الخبيثة ، فلم تلبث هذه العصابات أن انحدرت من الجبال زاعمةً أنها هى منقذة اليونان ، وأن الحكم لها لتحكم البلاد بسلطان النظام الجامح، ثم تسربت وتغلغلت فى أثينا التى يسكنها نحو مليون نسمة ، وبدأت تشنّ هجوماً عنيفاً دامياً على مراكز الشرطة ، وعلى غيرها من مؤسسات الحكومة المزعزعة الحائرة التى وصلت إلى البلاد منذ عهد قريب . وقد بذل الوزراء الشيوعيون الستة أقصى جهدهم فى إضعاف القوّة الحربية الخاضعة لسلطان الحكومة ،

وفى الإكثار من العناصر الشيوعية التى تندمج فى هـذه القوة . وفى نفس الوقت حرصوا كل الحرص على أن يطالبوا زملاءهم الوزراء بالاعتدال والمسالمة والتسامح ، فنالوا فى خلال شهر نوفمبر قسطاً وافراً من تساهل هؤلاء الوزراء .

وفى أوائل ديسمبر انقضّ المغيرون الشيوعيون على أثينا ليستولوا عليها، وصاروا يقتلون كل من يعترض سبيلهم حتى أصبحوا على بعد نصف ميل من مقرّ الحكومة . وفى تلك اللحظة نفذ الوزراء الشيوعيون ما كانوا تآمروا عليه منذ زمن طويل ، وما حرصوا على الدقة فى توقيته ، فانسحبوا من الحكومة وطاروا فراراً لينضموا إلى الفئة التى ظنوا أنها هى الشيوعية المظفرة .

وفى ذلك الوقت قمت من جوف الليل وكتبت برقية إلى الجنرال سكوبى الذى دخل أثينا على رأس ٣٠٠٠ جندى ليعاون فى طرد الألمان ، وذبت له إنه منذ الساعة فى حِلٍّ من أن يعدّ نفسه محايداً بين الأحزاب اليونانية المتصارعة ، بل عليه أن يؤازر الرئيس باباندريو ، وأن لا يتردّد فى إطلاق النار على المغيرين الشيوعيين . وقد وصله هذا الأمر فى حينه ، فقسمت الجنود البريطانية فرقاً صغيرة ، وخرجوا يطلقون النار على المهاجمين الشيوعيين الذين ظنوا أن الأمر قد تمّ لهم واستتبّ ، فأخذوا يتراجعون من هول المباغتة، وبذلك أتاحوا للبقية الباقية من الحكومة اليونانية أن تلمّ شعثها وتدبر أمرها .

وفى تلك الأسابيع هب أولئك الذين يعدون من أهل اليسار فنالونى بقوارص الكلام . وقامت صحيفة التيمس وصحيفة المنشستر جارديان ومعهما طائفة كبيرة من الصحف الأمريكية يندّدون « بعدوان الاستعمار البريطانى فى اليونان » . ولم يقتصر الأمر على هـذا ، بل كان موقف وزارة الخارجية الأمريكية أيضاً هو موقف المنتقد الذى لا يرحم ، بل إن الرئيس روزفلت الذى كنت لا أفتأ أطلعه على سرّ سياستنا ، قد لاذ بالصمت فلم يرد على سيل البرقيات التى أرسلتها إليه محتجًّا على هذا الموقف .

وبينا كان القتال دائراً فى أثينا ، دخلت المدينة تدريجاً فرقتان أو ثلاث فرق من الجنود البريطانية ، فظللنا نقاتل أربعين يوماً دفاعاً عن حياة أثينا وإنقاذاً لها من الهلاك ، وأخذنا نطرد الشيوعيين عن بقعة بعد بقعة ، وعن حىّ بعد حىّ ، ومن منزل بعد منزل حتى تقهقروا ثم جلوا عن المدينة بعد أن أصابتهم خسائر فادحة . وقد قتل الشيوعيون فى حين انسحابهم نحو ٢٠٫٠٠٠ نسمة من الرجال والنساء والولدان، لا لشىء

جنوه بل لأنهم يكرهونهم ، أو لأنهم كانوا فى طريق انسحابهم . ولكن كانت عاقبة ذلك كله ان أنقذت أثينا والشعب اليونانى ، ونجوا من أن يصيروا دولة شيوعية جامعة .

وبعد جهد جهيد وعناء شديد أتيح للشعب اليونانى أن يختار بملء حريته نوع الحكومة التى يرتضيها . وعلى أساس هذا العمل الذى تم يومئذ ، تيسر للولايات المتحدة أن تقف اليوم موقفها فى شأن اليونان .

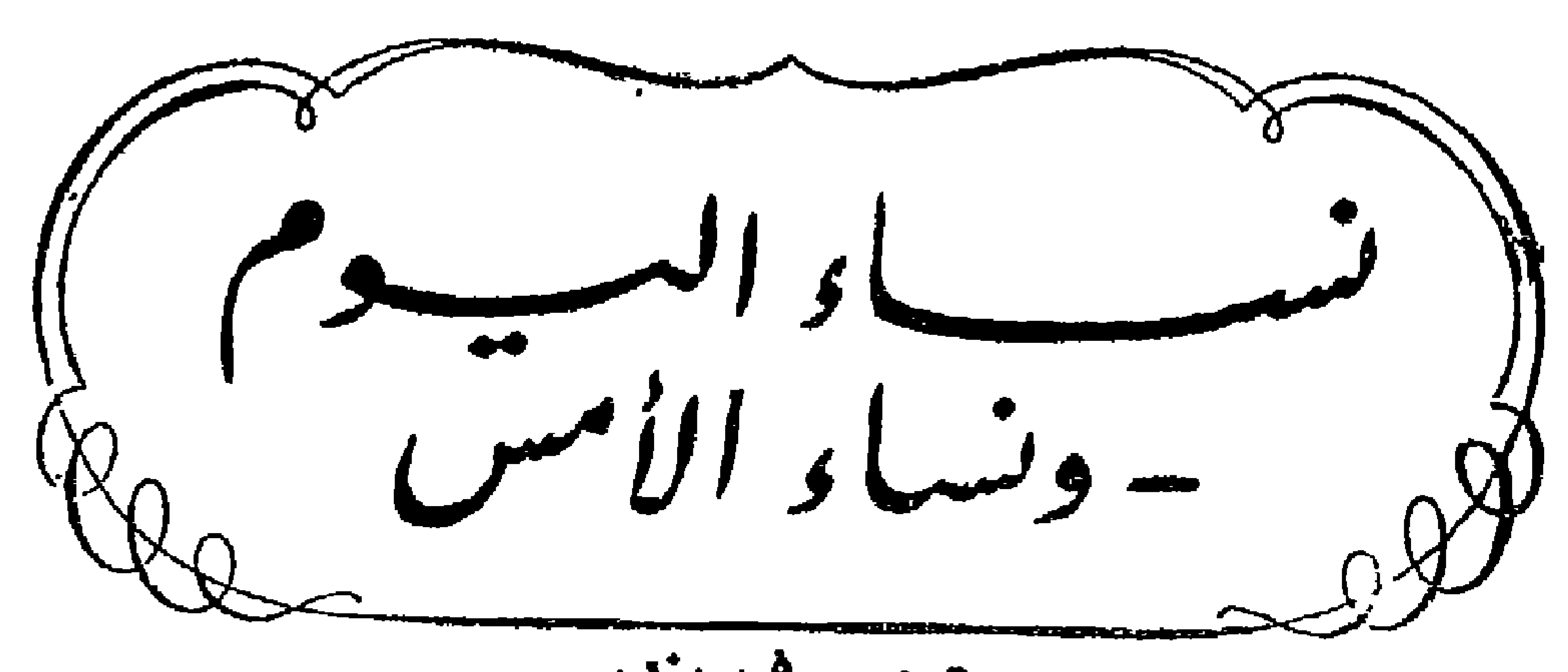
وأنا أعتمد فى هذا الأمر كله على وثيقتين لا مغمز فيهما : الأولى ، تقرير وفد اتحاد العمال البريطانى الذى يرأسه السير والتر سترين ، فقد زار هذا الوفد أثينا فى يناير ١٩٤٥ فرأى عياناً تلك الأخاديد الواسعة يزال عنها ترابها فتنكشف عن صفوف من جثث القتلى الذين ذبحهم الشيوعيون . وقد رفعوا تقريرهم كاملا صادقاً إلى البرلمان، ورضى الشعب البريطانى عن شهادتهم وقبلها . أما الوثيقة الثانية فهى الانتخاب العام الذى تم فى اليونان فى مارس ١٩٤٦ تحت إشراف لجنة من الأمريكيين والفرنسيين والإنجليز ، وقد شهد الرئيس ترومان أنه تعبير حرّ صادق عن الرأى العام اليونانى . أما التشهير بالاستعمار البريطانى فى اليونان فقد كان باطلاً وهراءً محضاً ،فلم نكن نبتغى شيئاً سوى أن نتيح لليونان فرصة كريمة حتى تنتعش ثانية ، وبذلك نؤدّى لها فرضاً واجباً أخذناه على عاتقنا محافظة على ما كان بيننا منذ زمن بعيد من مَوَدّة وتحالف .

وأنا أسجل هذه الملاحظات عن ماض قريب ، لأن الناس صاروا اليوم أسرع نسياناً ، ولأنه ما من صورة إلا ولها حواش تحيط بها وتبينها . والصورة التى ينبغى علينا اليوم أن نتأملها وأن نحاول تقدير ما فيها ، صورة هائلة ، فهى تضم كلّ عواطف الجنس البشرى ، وكل سياسات الدول الظافرة ومخاوفها. وبما تقدير هذه الصورة تقديراً صحيحاً ، يتوقف مستقبل البشر ومستقبل السلم فى هذه الدنيا .



صورة لفظية

كان الحاجز بين الحجرة والحجرة من الرقة بحيث تستطيع أن تسمع مَن فى الحجرة المجاورة وهو يغيِّر رأيه . [جرين وسارة لورير]



جيمس ف. بندر
مدير معهد الأواصر البشرية
ملخصة عن مجلة «ذى نيويورك تيمس»

هل المرأة اليوم اطول وانحف مما كانت منذ ٥٠ سنة ؟

نعم فإن الطول الوسط لفتيات الجامعات فى سنة ١٨٩٢ كان ١٦٨ سنتيمتراً فزاد اليوم إلى نحو ١٧٢ ، ويمكن أن يقال بوجه عام: «إن انتشار التعلم اقترن بازدياد النحول» ، فإن النساء فى جميع الأعمار تنقص أوزانهن اليوم عما كانت بالأمس . وقد قدر متوسط نقص وزن المرأة فى فترة عشر سنوات من هذا القرن، فكان النقص نحو ١٫٤ كيلو جرامات.

هل يختلف قوام المراة اليوم عما كان منذ ٥٠ سنة ؟

نعم فقد كان أجمل خصر فى العقد الأخير فى القرن الماضى هو الذى يكون محيطه ٤٧ سنتيمتراً ونصف سنتيمتر ، وقلما كان يتهيأ هذا الخصر لامرأة إلا باستعمال المشدات. أما المرأة اليوم فقد أصبح منكباها أعرض، وصدرها أكمل نمواً ، وعضلات بطنها وظهرها أقوى وأبرز ، وساقاها أنحف ، وخصرها أقلُّ نحولاً ووهناً ، وثمة كذلك نقص فى الردف ، وإن كان محيط الردف والذراع قد زاد عن ذى قبل .

هل كبرت اقدام النساء عما كانت؟

نعم ، فمنذ عشرين عاماً كان مقياس القدم السوية فى قوالب صنع الأحذية ٤ ب فأصبح فى هذا العام ½٧ ب .

هل اصبح الشيب اسرع الى نسائنا اليوم مما كان منذ ٣٠ عاما ؟

نعم، فإن الشيب المبكر أسرعُ نزولاً بشعر النساء اللواتى يعشن فى بلاد متحضرة .

هل اصبح عمر المراة اليوم اطول من عمرها منذ ٥٠ سنة ؟

نعم فإن متوسط عمر المرأة منذ ولادتها يبلغ الآن ٦٩ سنة ، فهى أطول عمراً من زميلتها منذ ٥٠ سنة بثمانية عشر

ماً . أما الرجل اليوم فعمره أطول من عمر
يله منذ خمسين عاماً بخمسة عشر عاماً .

هل النساء المعاصرات اشد رضى بحظوظهن من نساء الماضى ؟

كلا ، فبالرغم من رقى المرأة الاجتماعى والاقتصادى السريع ، فإن ثمة أقلية كبيرة منهن يندبن حظهن من حيث هن نساء ، وأشد ما يؤرقهن من حيث هن ربات بيوت هو الوحشة والعجز عن الحصول على متع خارج البيت .

هــل يعد نساء اليــوم اقل استمساكا بقواعد الأخلاق ؟

نعم ، ففى استفتاء حديث وجه هذا السؤال إلى كثير منهن : « أتظنين أن النساء أصبحن فى السنوات العشر الأخيرة أشد استمساكا بالفضيلة أو أقل تعلقاً بها ، أو هن كما كن من قبل ؟ » فقال ١ر١١ فى المئة ممن أجبن على السؤال إنهن أشد استمساكاً ، و ٤ر٥١ فى المئة إنهن أقل تعلقاً ، و ٢ر٥ فى المئة قلن إنهن لا يعرفن .

هل المرأة المعاصرة اذكى من اسلافها ؟

نعم ، فمنذ نصف قرن كان كثير من الجامعات يأبى على المرأة أن تدرس دراسة منتظمة فى الجامعة ، ويحكم بأنها عاجزة عن هــذه الدراسة . ثم تبين من بعد أن النساء أقوى على العمل العقلى الرجال مع تكافؤ الزمن ، وأدق فى القيام بهذا العمل .

هل وفق النساء الى عمل ا. من عملهن القديم يوم اتيحت لهــن مقاليد الاشراف على الأعمال ؟

كلا ، فقــد ظهر من بحث م سنة ١٩٢٨ أن المرأة فى رياستها أشد من الرجل اهتماماً بالمسائل الشخصية ، وأ. منه تقبلا للنقد ، يغار بعضهن من بـ وقلما ينسجمن فى العمل مع نساء أ. وليس للعدل عندهن قيمة . هذه الآراء من بحث آخر

هل اصبح ال نوعا افضل من الأ

كلا ، ويقولو ذلك إن الأمهات أخ القرن ، يلقين [illegible] تربيــة أطفالهن على الدا[illegible] ال اليوم مرهفو الأعصاب ، وهم لذلك أقل انسجاماً فى الحياة ومطابقة لمقتضياتها من أقرانهم فى المـاضى .

الغيوم هى الجبال السابحة فى رحاب الفضاء . [روبرت لويس ستيفنسن]

هـذه هى مقالة المختـار التى اوحت
بفكرة الفلم المصرى الممتاز : «المنتقم»

عيون يـرتـد إليهـا البصـر

لويس ماتوكس ميلر

فى هذا الفلم ترى البطلة نور الهدى تقرأ على البطل احمد سـالم هذه الكلمات التى توحى اليه بالرجاء : « منذ بدء التاريخ ، والناس يتطلعون الى ذلك اليوم الذى يستطيع فيه الطب شفاء آفة العمى ، وقد اجريت مئات من التجارب لهذا الغرض وباءت كلها بالفشل حتى أنه منذ عشرة اعوام فقط كانت عملية تطعيم القرنية تعـد من المعجزات . أما اليوم فيكاد يكون فى كل مدينـة كبرى فى الولايات المتحـدة أطبـاء عيون يمارسون هذه الجراحة الشاقة بنجاح ، ويردون الى العمى أبصارهم ، ...قا انّ تطعيم القرنيـة لا يبرىء من كل أنواع العمى ، ولكن أكثر من ...ين من بين مئـة أعمى تنزل بقرنياتهم آفات يمكن شفاؤهم بهـذه ...ـة منها . نعم انها معجزة العلم فى العصر الحـديث . » واليك ...تار :

... إلى النور شخص عاش ...امس ، ففى كل يوم ردّ البصر إلى أعمى. ... ، فالجراحة المعروفة كانت نادرة يوماً ما، تراها اليوم تردّ البصر على ...٥ أعمى كل سنة فى مدينة نيويورك وحدها .

والقرنية هى الغلالة الشفافة التى تكسو حدقة العين وإنسانها كأنها زجاجة الساعة، والتى ينفذ فيها النور . وقد أدرك الجراحون منذ سنين أن من الممكن أن تفتح كوة دقيقة فى القرنية التى مسّها كَدَر من حادث أو مرض ، ثم تركّب على هذه الكوة رقعة صافية مستعارة من قرنية سليمة ، فيرتد إليها البصر . على أن الأطباء قلما يوفقون إلى عين سليمة الأنسجة يقطعون منها هذه الرقعة الصافية ، فإن مثل هذا النسيج يجب أن يؤخـذ من شخص استؤصلت عينه لأذى أصابها ولم يؤثر فى القرنية ، أو من ميت كان قد أباح لهم أن يأخذوا من عينيه ما يرد البصر على العميان. فكان العميان الذين قيدوا أسماءهم فى دفاتر الجراحين ،

يقضون شهوراً مضنية وهم يترقبون يوماً يأتيهم بعين تنقذهم من العمى .

على أن هذا كله قد تغير الآن ، فقد أسست طائفة من مستشفيات نيويورك أول مصرف للعيون فى العالم ، واتفقت هذه المستشفيات أن تتصل بأولياء الموتى ساعة الموت ، أو بمن تدهمهم الحوادث بين الحين والحين ، فيقتضى علاجهم استئصال العين ، فقبلوا أن يرسلوا هذه البضاعة النفيسة إلى مكان بعينه ، حتى تكون قريبة المنال إلى كل جراح تخصص فى ترقيع القرنية .

ومنذ أعلنت هذه الخطة استجاب لها الجمهور، وأقبل عليها لفيف عظيم من الناس ليبذلوا معونتهم ، وتطوع كثيرون فأوصوا أن تودع عيونهم بعد موتهم فى هذا المصرف، ووهب له آباء كثيرون أعين أبنائهم الذين يولدون موتى ، فإن أعين المواليد تغ
أعين الكبار لأن الرقع المسته
الجراحة متناهية فى الصغر

وفى الولايات المتحدة اليوم
تتعاون لبلوغ هذه الغاية فى
وعرضها. وقلما يضطر طبيب اله
ترقيع القرنية ، وكادت تنقر
المرضى المنتظرين ، وأصبح البصر يرد
عشرات ومئات من العمى ، فقد تم تنفيذ أضخم برنامج لرد البصر كان حتى الآن .

وإن قصص ما حدث لأولئك العمى الذ
ردت إليهم أبصارهم، لتتنوع كتنوع ال
البشرية نفسها ، ولكنها كلها رائعة

فهذا شاب عمى منذ ١٧ س
قرنيته ، وقد عاد إلى طبيبه منزه
إنه بعد أن برم بانتظار دوره فى
تطوع فى الجيش، ونجح فى الكشف
دون أن يشتبه أحد فى سلامة عينيه .

وهذا شاب آخر فقد البصر منذ ٢٢
أصاب عينيه وهو رضيع، رشاش م
وتعلم فى مدرسة عميان بطريقة
وعاش عيشة موفقة بعض ا
قرأت أمه عن ترقيع الة
العيون ، فا
العيون

« لقد قرأت الساعة يادكتور أن العيون
لازمة لترقيع القرنية ، فهل يمكن
عمل عينا ولدى فى ردّ البصر
ن الناس ؟ »
لأب الشاب الأوراق المطلوبة ،
رجال الصليب الأحمر بسيارتهم إلى
ـفى ، فأخذت عينا الوليد المتوفى
ضعتا فى سائل معقم فى إناء مختوم ،
تا إلى مصرف العيون . وفى اليوم
قل الصليب الأحمر كل عين منهما
ى ،فردت رقعة من أولاهما البصر
لِ أسرة كبيرة ، وقد عمى فى
لصبا منذ بضعة شهور ،
نابة أعماها
ـسعد .

ولقد ألّف مصرف العيون بين قلبين متحابين ، يوم أصيبت طالبة فاتنة من طالبات التمريض بسَبَل فى العين ، وهو مرض تتكاثف فيه القرنية تكاثفاً يفضى إلى العمى ، فذهبت إلى نيويورك لترى أتصلح جراحة ترقيع القرنية فى مثل حالتها ؟ فكانت صالحة،فلما برئت صارت ممرضة عند الطبيب الذى رد إليها البصر .

ثم وفد على نيويورك طبيب كندى شاب يبتغى ترقيع قرنيته ، وكان مرضه شبيهاً بمرض هذه الممرضة ، ولعل ذلك هو الذى جعلها تعنى بالطبيب الشاب وتمرضه مخلصة متفانية ، أو لعله سبب آخر . فقد تزوجا وهما اليوم فى كندا حيث يحاول الطبيب الشاب أن يقيم من بناء حياته ماقوضته كوارث الأيام .

أمثال هذه القصص سوف تصبح
بعد أن استحال مصرف العيون
ـن مؤسسة محلية إلى مؤسسة
ـ مجلس إدارة هذا المصرف
ء العيون وعظماء القوم . ويجدّ
ناق خدماته للمستشفيات ،
إدارته لاينى يعمل فى تيسير
دراسة لتخريج عدد كبير من الأطباء
لقادرين على ترقيع القرنية . وهذه الجراحة
وإن لم تكن خطرة إلا أنها من الدقة

بمكان . وليس بين أطباء الولايات المتحدة جميعاً أكثر من بضع عشرات من الأطباء لديهم ما يؤهلهم لإجرائها .

وترمى هذه المؤسسة إلى غرض آخر ، هو تشجيع البحث عن خير طريقة لحفظ نسيج القرنيــة أمــداً طويلا ، إذ ليس فى الإمكان اليوم أن تحفظ

العيون الموهوبة أكثر من بضــعة أيام

إن أولئك الأجواد الذين يهبون ء
للمصرف بعـد الوفاة لكى يستعار
جراحات رد البصر ، إنما يهبون
والنور لبيوت لا يدركها الإحصا
إذا مات خلف للناس أشـياء قل
ما ينفع الأحياء كما تنفعهم عيناه .

مرجريت ستراب فتاة فى الثامنة والعشرين من عمرها ، وقد
بالأسطول ، وقد جلست ذات مساء فى دارها تقرأ مجلة ، ثم الت
« كنت أقرأ فى مجلة ريدرز دايجست (المختار سـبتمبر ٩٤٦
ترقيع القرنية ، وهى التى تتيح الانتفاع بعين واحد من النا
من يحتاج إليها . أفلا ترين أنه يجمل بى أن أوصى بع
ويومئذ يستطيع من أقام طول حياته فى الظلام ، أن
وكذلك يتاح لى أن أظل حيـة حتى بعد

فقالت أمها : « أجل ياعزي
على السبيل إلى هبة عينيك ، بـ
ولم يكد ينقضى أسبوعان
بالغ ، فنقلت على عجل إلى المستش

وتذكرت أمها ما كانت ابنت
البصر على إنسان من الناس . وفى
نيويورك سلم الطرد إلى مستشفى العي
منـذ بدأت هذه القصة ، نجد رجلا كان يـ
« آيات الله وعجائب الطبيعة » بعينى مرجريت

مراســل صحفى يعود الى ڤينا التى كانت عاصمة مرحة ضــاحكة لامبراطورية عظيمة ، فاذا هى اليوم مقسـمة ، تتحكم فيها الشرطة .

ڤيـنّـا ـ مدينة الفزع

فردريك سوندرن
مختصرة من مجلة ((ذى نيوليدر))

الصراع دائر بين الولايات
وسيا من أجل السيطرة
ان الجنرال مارك كلارك ،
ية تمثل فرنسا وبريطانيا
ام الذى يدير شئون
مد يوم محاولات
ثي الاحتلال
سيطرة
اب

الروسى ، وأنت ترى أهلها اليوم قوماً قد أظلهم الفزع وروّع قلوبهم .

وقد لقيت موظفاً من السوفيت ، فقال لى فى ساعة ترك فيها الحذر : « كان الجيش الأحمر أينما ذهب أعدى عداة الشيوعية الدولية » ، وأهل ڤينا يرون هذا الرأى ، فالجندىُّ الروسىُّ الجهم المتقلب الأهواء الذى لا يؤمن جانبهُ ، قد غـدا رمزاً للاستبداد كأسوأ ما كان الجستابو فى عهد
لر . فقد حل الرجل الذى يمثل الشرطة السوفيتية (النكفيدا) ، والرجل
إليه بالتنظيم السياسىّ ، محل
ستابو وممثل الحزب النازى . وقد
إحدى الصحف : « وأنا أرى
ب الفريقين وأغراضهما متماثلة » .

قناة نهر الدانوب مدينـة ڤينا
رين ، فلم تكد تنقضى دقائق على عبورنا القناة حتى سألنى سائق السيارة وهو من أهل ڤينا : « أترى فرقاً ما ؟ فنحن الآن

المنطقة الروسية » . كانت الشوارع التى
رأيناها منها لساعتنا غاصة بالناس ، حقاً كان
معظمهم رثّ الثياب نحيلا لقلة الغذاء ،
ولكن الشوارع كانت زاخرة بالنشاط ،
المقاهى عامرة ، وحياة المدينة سائرة على
مألوف عادتها .

ولكن الشوارع فى المنطقة الروسية
كانت ساكنة ، وتكاد تكون مقفرة
من النـاس ، وكان النـاس يسرعون
فى سيرهم ، وما كانوا يتلكأون للتجمع
عند منعطفات الطرق ، كما يحب أهل ڤينا
أن يفعلوا ، وخيل إلينا أن كل إنسان تلح
عليه ريبة فيما يأتى وما يذر .

وقال لى سائق سيارتى كالقلق المتردد :
« ليس فى وسع أحد أن يعرف ما عسى أن
يحدث فى الشارع ، فقد يرى أحد الجنود
الروس دراجتك فتستهويه ، أو معطفك
فيريده ، وإذن فلا مفر لك من أ
ما يريد . وأنت تعلم أنهم قوم يحـ
فلا يترددون فى إطلاق النار
شيئاً نادراً ، بل إنه كثير ولاسـ
فلذلك نمضى سراعاً إلى عملنا فى
فإذا انتهى العمل عدنا إلى بيوت
على شىء ، ونعتصم بها » .

كان الساعاتى الشيخ فى حانوته الصـ
من أشد أنصار الشيوعية قبل الحرب ـــ
وهو رجل ضخم شديد المراس
طويلان وصوت كصوت الر
النازى زمام الحكم فى الـ
طويلا فى المعتقل . فلما دخلت
فيه ثلاثة ضباط من الروس، -
المستريب إلى بزتى الأمريكية
الشيخ بأنه لا يعرفنى . وأخيرا
الضباط ، وإذا بالشيخ يعانقنى -
وهو يقول مرتعش الصوت
يا صديقى القديم . . ما
سامحنى إذ لم أبادرك بالـ
فهؤلاء الروس لا
الأمريكيين »

ثم سار بى
وإذا هـذا
خزا

نت شيوعيًا ، وظللت كذلك
ع على وصول الجيش الأحمر
نيت يومئذ الرجال الذين
صف «المنظمين السياسيين» .
افهم أكثر مما كنت أخاف
ى» ، وقد تهدج صوته وهو يتكلم
« ظننا في أول الأمر أن ركونهم
والنهب والقسوة الشديدة ،
بعية من عواقب الحرب ،
على وتيرته الأولى كل
على أن تقول كلمة خوفاً
ليعتقلوك في الصباح
لجستابو يفعلون ،
ث هذا لطائفة
تحرجون

وقد حرص الرجل كل الحرص على أن يستوثق من انفرادنا ، ثم دس كتلة من القطن في سماعة تلفونه ، ثم همس في أذني : « إن رجال النكفيدا يعمدون إلى جميع حيل الجستابو وأساليبهم . رباه ! كنت أظن أنني شيوعي ، ولكن هؤلاء الناس جفاة لم يهذبهم شيء » .

ثم زرت بعد ذلك صديقاً قديماً ، وهو كهل متحذلق من ضباط البوليس ، وقد أنبأني أنه حدث منذ بضعة أيام أن سار جنديان روسيان بفتاتين لم تدركا العشرين من عمرهما ، ودخلا بهما الحديقة العامة الرحبة في فينا ، فلما ذادت الفتاتان عن شرفهما ، أطلق أحد الجنديين النار على الفتاتين كلتيهما ، فماتت إحداهما ، وجرحت الأخرى جرحاً خطيراً ، وفر الجنديان. ونقلت الفتاة المصابة إلى المستشفى ،
الليلة دخل المستشفى ثلاثة من رجال
ثياب مدنية ، ولم يعبأوا بالقائمين
، ولفوا الفتاة وهي لم تزل
أغطية سريرها وانطلقوا بها
ثم انقطعت أخبارها . ثم تنهد
قال : « ونحن لا نملك حق
هم ، وقد أمرنا بأن ننسى ما حدث »
هز كتفيه كأنه غير حافل وقال :
يخيل إليّ أن الحياة البشرية لا قيمة لها

ولا معنى فى نظر السلطات الروسية . وقد
رأيت جنوداً من الروس يحكم عليهم بالإعدام
لأنهم وجدوا سكارى فى الشارع . ثم رأيت
غيرهم قد اعفى عنهم بعد أن قتلوا أو اغتصبوا
لأنهم راعوا الحذر والحيطة فيما فعلوا » .

وقد همنى أن أستطلع
ما كان مصير العمال فى ظل
الحكم الروسىّ ، فأخبرنى
ميكانيكىّ فى مصنع كبير، كيف
كان المشرف الألمانى يسوق
العمال سوقاً بغير رفق أو رحمة.
فلما دخل جيش المارشال
كونييف مدينة ڤينا كاد العمال
يجنّون فرحاً ، واصطفوا
فى الشوارع لكى يحيّوا
محرّريهم . فلم تكد تنقضى
فترة يومين حتى دعاهم المشرف
الروسىّ إليه، فقال إن المصنع
يشتغل الآن لحساب الاتحاد السو
فلا بدّ من المحافظة على النظام أتمّ محا
قال الميكانيكى : « وقد عسر علينا أ
أن الرجل الذى يخاطبنا
لم يكن مديرنا النازىّ ال

«وحال العمال
فقد فرض علينا
التى تجمع كل

إن نصيبنا من الطعام والأجر
وأنت لا تستطيع أن تفوه بك
نقل أحد المخبرين كلامك إ
الروسى فى المصنع ، ويوم
بطاقة الطعام ، أو تجعل

« وقد أرس
الشهر الماضى مئة م
المصنع الذى أ
روسيا ، ف
« عقوداً
مختارين إ
قيل لهم
توق
أ

حتى الآن نجاحاً كبيراً .

تمر بوتسدام ، وقع الرئيس
ناروه في شرك أحكم الروس
حبائله . فقد اتفقوا على أن
يا على سبيل التعويض ، جميع
التي كانت خاصة بالألمان في منطقة
يي بالنمسا ، ولم تدرك وشنطن
أوان ، أن الألمان في عهد
اشتروا » سبعين في المئة
ية ، وأن الروس عزموا
سبه الألمان في عهد
الألمانية في النمسا
وإذن فروسيا
نابع زيت
بداد

أن يحققوا ما اقترحه عليهم الروس من إنشاء احتكار سوفيتي نمسوى للزيت ، وأيدهم الجنرال كلارك في ذلك ، رد المارشال كونييف من فوره بأن قلل موارد فينا من الغاز والزيت من ٧٠ في المئة إلى ٢٠ في المئة من الحد الأدنى الذى يكفى حاجتها . وقد أنقذ الجنرال كلارك الموقف يومئذ بما قدمه للمدينة من مخازن الوقود التابعة للجيش الأمريكيّ ، ولكن قدرة القيادة الأمريكية على بذل مثل هذا العون محدودة .

وقد قال أحد النمسويين الذين يصنعون الصلب بعد أن بلغ منه اليأس : « ماذا أستطيع أن أصنع ؟ فأنا أعتمد على الفحم الذى يستخرج من حوض الدانوب الأسفل، ومن البيِّن أن هذه المنطقة هى السوق لبضائعى فى المستقبل . وحوض الدانوب الأسفل خاضع لسيطرة الروس من يوغسلافيا اريا ورومانيا . وقد جاءنى جماعة لروس منذ عهد قريب وبينوا لى خليق أن ألقاهُ من المصاعب ض الدانوب ، إن لم يكن للاتحاد تب فى عملى . فإذا رضيت أن نتقل إلى أيديهم ، ضمنوا

السوفيتى تطبق
فقاً للضرورات

السياسية . وقد لقيت رجلا موظفاً فى وزارة الأخبار ، وكان فيما مضى نازياً قحًّا ، فصارحنى برأيه . وكنت قد أصغيت إليه يلقى خطبة بعد عرض فلم روسى لا يُعَدُّ فى رأى الذين ألفوا أفلام الغرب شيئاً يستحق الذكر ،فقال فى خطبته : « وسوف ترون فى هـذا الفلم أن مستقبلنا الثقافى لن يكون مرتبطاً بالغرب الواهن المنحط ، بل بالشرق الزاخر القوة » .

فسألته بعد الخطبة لِمَ فعل ما فعل ؟ فقال : « إن بطاقة الطعام الروسية لها شأن عظيم فى هذه الأيام ، فإذا صرنا من أتباع روسيا ، وهو أمرٌ لا مفرَّ منه ، صار لسيرة الرجل الذى يقدّم الولاء لها ، شأن أعظم من شأن البطاقة » . وهذا بوجه عام هو موقف الذين ينفذون أوامر الكرملين فى ڤينا .

نمسوية عن مقاومة أوامر مو
تكن أحكام معاهدة الصلح »
فمنذ سنة أو نحوها كانت
بمجاعة خطيرة ، وأرادت موس
الحكومة الجديدة الاشتراكية الد
رأسها المستشار فيجل ، فقطع ال
كونييف كل الطعام الصاد
أغنى مقاطعات النمسا بموا
سائر جهات النمسا . فباد
والبريطانيون إلى العمل قبل
وأرسلوا على جناح السرعة
المخزون لجيوشهم ،
مجاعة عامة .

قال : « وا
المعاهدات
والأ

وقبيل رحيلى عن ڤينا جاءنى ر
من كبار موظفى الحكومة النمسوية ، و
زمناً يذرع الغرفة لا يستقر له قرار ، و
رجل مستقيم مؤمن بالديمقراطية ،
عذاب فظيع على أيدى النازي
« إن سيطرة الروس
من القوة مبلغاً تع

ولكن خيل لمحرر الحوادث فى جريدتنا وهو رجل محنك، أن مستر راسين يعرف عن الجريمة أكثر مما بدا من أقواله ، فانتدبنى لكى أتولى استطلاع ما فى نفسه .

كان مستر راسين رجلا طويلا نحيلا فى بداية العقد السابع من عمره، مغضن الوجه حاضر الابتسامة، وجلسنا فى غرفة الاستقبال ببيته الواسع ، ورحت أسأله الأسئلة المألوفة فى مثل هذه الأحوال، وسرعان ما أحسست كأنى أسمع حفيفاً وراء الجدران ، تقطعه بين الحين والحين صيحات مكتومة .

تلفت نحو مصدر هذه الأصوات وقلت متسائلا : « جرذان ؟ »

فقال : « كلا إنه السنجاب » .

قلت : « ولكن كيف تأتى للسنجاب أن يصل إلى جوف الجدران ؟ »

قال : « هذا بيت قديم ، وفيه صدوع كثيرة تتيح للسناجيب أن تنفذ إلى جوف ...بدران . وقد أعطانى صاحب البيت ...ة كبيرة للسنجاب جعل فيها طعماً من ... ، أضعها فى الطابق العلوى فلا تفتأ ...احداً حيناً بعد حين . وقد علمنى ... فى حوض مملوء بالماء فأغرق ... عندما اصطدت أول ...ق إغراقه ، فقد ...م ، وكان مقعياً ... ، فجعلت

ع مسحورة

...ة وأنا أتنقل من ...نذ أكثر عملى ...ت صحفياً ...

يدنى كلما صدت سنجاباً أن أركب الترام في آخر الخط وأطلق سراحه هناك .

« ولكن ينبغى أن ترى ما يفعل هذا الحيوان فى غرف السطوح ، إنه يجر صحفاً كلها فيدخلها فى جحره ، ويفعل مثل ذلك بالملابس ، بل بأى شىء يستطيع أن يجره على البلاط. تعال نصعد لتراه بعينيك».

وتبعته إلى غرف السطوح فقال لى : « إنى آوى إلى هذا المكان أحياناً فأجلس فى هدوء ،وبعد برهة تخرج السناجيب من جحرها هذا فلا تلق بالها إلىّ كأننى قطعة أثاث . أتريد أن تراها ؟ »

فقلت : « نعم ! »

فقال : « اجلس هنا هنيهة ، وستراها وهى تخرج ، وأقم ما أحببت أن تقيم لأنى خارج ، وسأدع باب البيت مفتوحاً لتخرج متى تشاء » .

وما هى إلا لحظة حتى خرج من الجحر سنجاب فوقف برهة يبصبص بذنبه الكثيف، ثم قفز خلف بعض الحقائب ، وظهر ثانية حاملا معه صداراً من الصوف أخضر ، وراح ينوشه ثم يدعه ويقفز ناحية ليعود فينوشه من جديد . وخرج من الجحر سنجاب آخر وجرى نحو الصدار ، وبدا لى كأنه يريد أن يعاون رفيقه، ولكن السنجاب الأول طارده حتى ألزمه الجحر .

واستغرق نقل الصدار إلى الجحر ساعة، واستغرق جذب أحد كميه إلى داخل الجحر ساعة مثلها ، ولكن وسط الصدار استعصى على الدخول ، فالتمس السنجاب بين ثنايا الصدار طريقاً إلى خارج الجحر ، وراح يحشره فى الجحر حشراً بمخلبيه الأماميين ، حتى أدخله ثم اختفى وراءه فى الجحر .

ولما عدت إلى الجريدة ألفيت محرر الحوادث ثائراً يصيح بى فى أى داهية كنت؟ فلما أخبرته أنى كنت استجوب مستر راسين، طلب منى أن أذهب فأقول ذلك لرئيس التحرير . ونظر إلىّ رئيس التحرير نظرة صاعقة ، ثم قال لى إننى مطرود منذ اليوم. وعرفت فيما بعد أن مستر راسين بعد أن تركنى فى السطح عاد إلى أنابيب المجارى التى وجدت فيها جثة زوجته ليبحث عن نظارة وقعت منه هناك ، فضبط وسيق إلى مكتب التحقيق حيث اعترف بأنه قاتل زوجته ، ونشر اعترافه فى الصفحات الأولى فى كل الجرائد التى صدرت ذلك المساء إلا جريدتنا .

وهكذا تركت مهنة الصحافة .

نشأت منذ صغرى مولعاً بالطبيعة ، فأما وقد أصبحت عاطلا فقد رحت أرقب الطيور والحشرات والحيوانات فى المدينة .

إن ثمة عالماً من الحياة يموج بالكائنات بين الحشائش ، وتحت الأوراق الذابلة والصخور ، وعلى لحاء الشجر وتحت هذا اللحاء . وهناك ألوف من الكائنات تختلف أحجامها من جزء من البوصة إلى بوصتين أو ثلاث بوصات أو عشر بوصات، وهى تقضى حياتها حيث لا تقع عليها عين بشر — كائنات دقيقة كأنها فى غرابة شكلها كعجائب المخلوقات التى نراها فى الأحلام . ومع ذلك فكل منها مخصص لأداء عمل بعينه فى الحياة .

وكلما استولى علىّ اليأس وأنا أبحث عن العمل دون جدوى ، ذهبت إلى بستان فقضيت فيه ساعة أو ساعتين أرقب هذه الحشرات، فأحس كأن دنيا البشر قد امحّت من خاطرى، أو كأننى تعاطيت مخدّراً أعطل ذاكرتى ولكنه لم يترك أثراً باقياً بعد زواله.

وفى أصيل يوم من الأيام نظرت فى حفرة فرأيت على ورقة نبات ضئيل بقة خضراء كأنها مثلث دقيق ، لها عينان جاحظتان ورائحة كريهة ، فانبطحت على الأرض أرقبها متعجباً من شكلها الغريب ، ورأيتها تزحف إلى طرف الورقة ثم تنقلب إلى أسفلها حيث كانت دودة لها على ظهرها صفان من نكت صفراء ترعى آمنة مطمئنة . ثم رأيت البقة المنتنة تخرج من رأسها شيئاً طويلا كالخرطوم ذا مفاصل ، ينتهى بمثل الإبرة ، ثم تهاجم الدودة بعنف كأنها فارس يطعن برمحه تنّيناً هائلا .

نفذت إبرة الخرطوم فى جنب الدودة ، وسرعان ماشرعت البقة خرطومها فى الهواء والدودة من فوقه تتلوى ، وظلت البقة كذلك دون حراك ممسكة بهذا التنين المتلوى الذى يبلغ وزنه خمسة أضعاف وزنها.

وخمـــدت حركة الدودة بعد لأى ، واسترخت حيث هى وفقدت الحياة ،فأنزلت البقة خرطومها ، وتخلصت من الدودة على حافة الورقة ، وذهبت إلى سبيلها . فاقتربت من الورقة ، وأمسكت بالدودة فألفيتها قد هزلت وباتت كجراب أجوف ،فإن البقة قد امتصت كل ما فيها من عصير الحياة .

إن مراقبة شتى أنواع النمل ومحاولة كشف أسرارها قد تستغرق أجيالا طوالا. وثمة نوع من النمل يربى قطعاناً من منّ النبات ويعيش عليه . وهناك فصيلة أخرى من النمل لا تعمل شيئاً سوى زرع حدائق ضخمة تحت الأرض من عش الغراب تقتات به ، ويأتى نملٌ من فصيلة أخرى فيلتصق بسقف هذه المسارب،وتظل شهوراً معلقة هناك تطعم على ما تقوتها به الأخريات، إلى أن تصير أشبه بالبراميل الصغيرة فتأكلها الأخريات . ومع ذلك فالنملة ليست إلا نوعاً

واحداً من الحشرات بين بلايين من مثلها تعيش على وجه البسيطة .

خرجت ذات ليلة بعد مغرب الشمس ، وامتلأت خياشيمى بالرائحة القوية الباردة الندية المنبعثة من الأرض والأعشاب ، وسمعت ضجة صرصار على مقربة منى يحجب عنى ضوضاء المدينة ، ثم وجدت نفسى منبطحاً على الأرض ، كأنى كنت فى حقل بعيد فى أرض الريف .

وسمعت فجأة من حولى جلبة أصوات . هذا صوت امرأة تقول : «لم لا يستدعى أحدكم الإسعاف؟» وهذا صوت رجل يقول: « لعله ثمل ، أعينونى فنقلبه على ظهره » .

وانقلبت فجلست فى مثل لمح البرق ، فتبينت حولى جمعاً من الناس، ومضت لحظة وهم سكوت شاخصون إلىّ كأنى جثة ميت عاد إلى الحياة ، ثم انحنى على واحد منهم فى النهاية وسألنى : « أأنت بخير ؟ »

قلت: « نعم أنا بخير» ثم نهضت فالتمست الطريق وأنا أهرول ، وكنت أحسّ بوقع هذه الأعين التى تتبعنى ، وأشعر بوجهى يلتهب من شدة الخجل .

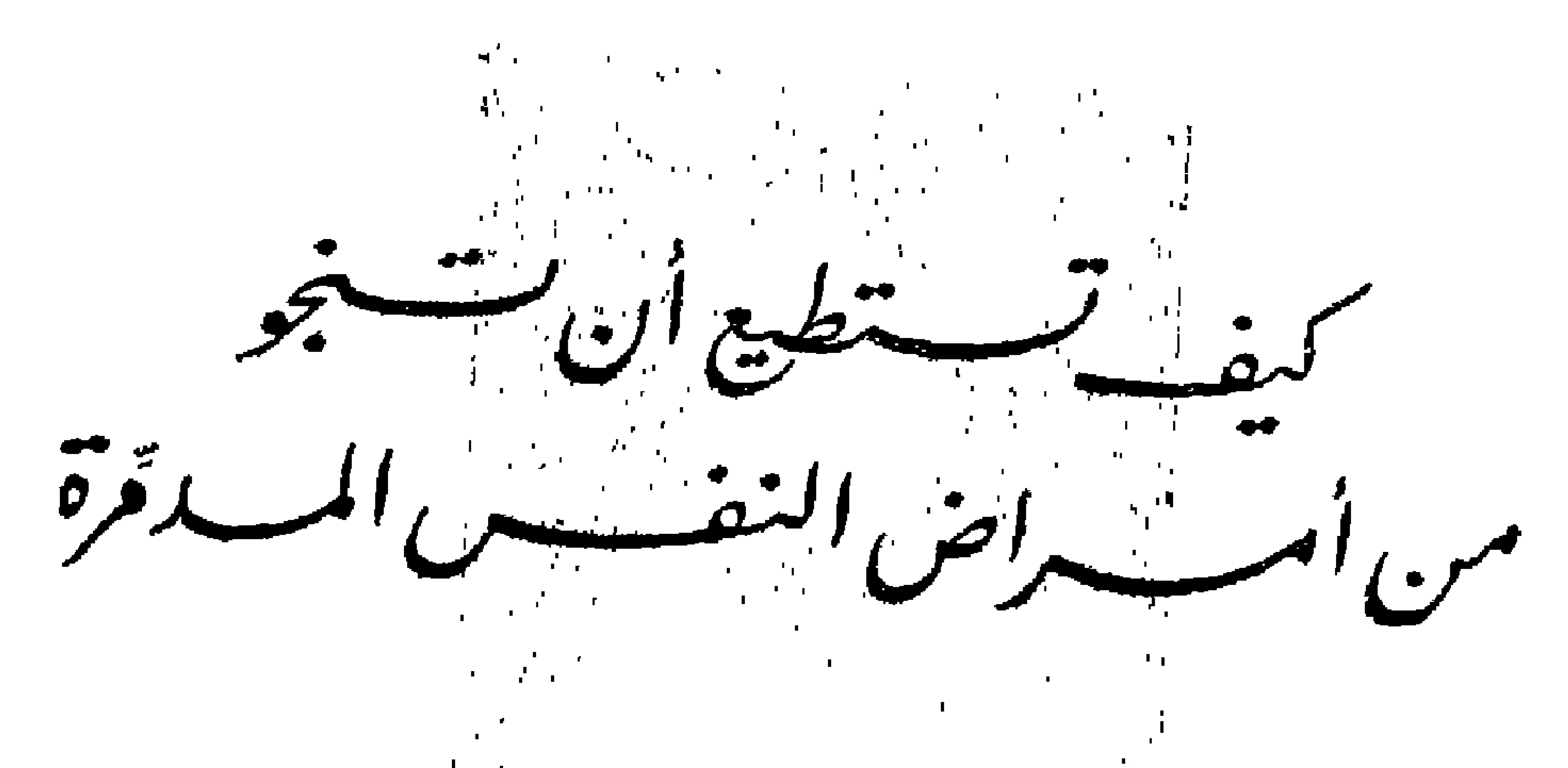
لواذع هوليوود

لقى ممثل مزواج ذات يوم فتاة مرحة حسناء فحيته وقالت : « ألست تذكرنى ؟ فقد طلبتَ منى أن أتزوجك منذ عشر سنوات » .

فتثاءب الممثل وقال : « وهل فعلت ؟ »

نزلت جماعة من السياح مدينة هوليوود وذهبت فى الليل إلى ملهى مشهور ، فلم ينفكّ أفرادها عن التحديق فى الكواكب الذين يحيطون بهم . وقد حرصت إحدى الفتيات على التحديق فى المغنى بنج كروسبى فلم ترفع عينها عنه . وأخيراً التفت إليها وانحنى لها فقالت : « أليس هذا شيئاً غريباً ؟ لقد رأيت عدداً وافراً من الأفلام التى مثل فيها ، حتى ليخيّل إليه أنه يعرفنى » .

خرجت جماعة إلى السهول لتخرج فيها أجزاء من فلم ، فلقيت شيخاً من الهنود الحمر كان يزوّدها بأنباء الجو وما ينتظر أن تكون ، فعجبت لدقة أقواله وصحتها . ثم جاء يوم ، أبى فيه الشيخ أن يتنبأ بحالة الجو فى اليوم المقبل ، فسأله المخرج عن سر ذلك فقال الشيخ « تعطل الراديو » .



كيف تستطيع أن تنجو من أمراض النفس المدمرة

لو لم يكن عملي أن أعظ الناس لكنت خليقاً أن أكون طبيباً نفسياً. وفي العالم اليوم ألوف من هؤلاء الأطباء وعياداتهم غاصة بطلاب العلاج، ولكن الشيء الذي يبعث على الفجيعة هو أن يكون عدد الذين ترهقهم الحياة فتنهار نفوسهم، أكثر كثيراً مما يتسع وقت الأطباء النفسيين لعلاجه. وأنت تتلفت فيمن حولك فتجد مايهولك من عدد الناس الذين تتوسم فيهم الذكاء، فتراهم تؤودهم الحياة بمشكلاتها العاطفية، فيقعون في حبائلها ولات ساعة نجاة.

بيد أننا لن نوفق إلى حل هذه المشكلة بزيادة عدد الأطباء النفسيين. وأكبر مشكلة يعانيها أبناء هذا العصر، ليست أن تجد طبيباً نفسياً يستطيع أن يغوص في أعماق عقول الناس ونفوسهم، على الفاسد والخبيث من أفكارهم وعواطفهم، بل هي أن تجد وسيلة تمنع الفساد والخبث أن يتسللا إلى أعماق النفوس، فيتوقى الناس بذلك ضرورة الالتجاء إلى الطب النفسي.

ولقد قضيت سنين كثيرة أحاول أن أعظ الناس وأرشدهم سواء السبيل، فأجدني اليوم أرى رأياً في هذا الموضوع، لخصه الدكتور هدفيلد كبير الأطباء النفسيين في بريطانيا أحسن تلخيص حين قال: «إنني مقتنع بأن الدين عامل من أجدى العوامل وأقواها في إدراك سكينة النفس والطمأنينة والثقة، التي تشتد إليها حاجة كثيرين من الناس لكي ينعموا بالصحة والقوة. وهذا قول رجل مشتغل بعلوم

العلاج النفسى، ولاشأن له فى فلسفة الدين».

جاءنى ذات ليلة شاب كنت أعرفه ، وكان قد حاول منذ ساعة أن ينتحر بشنق نفسه — فانقطع الحبل . فقضينا ساعتين نتجاذب أطراف الحديث ، فخرج بعدها وهو يقول : «أحس كأنى مخلوق جديد فى عالم جديد » . وقد حدث هذا منذ سنين فلما لقيته آخر مرة قال: « أنا على خير حال» فمنذا الذى يستطيع أن يذكر هذا الشاب دون أن يذكر أيضاً أن هناك شباناً كثراً أشرفوا على الانهيار العاطفى، دون أن يكون لذلك الانهيار ضرورة قاهرة ، فحاولوا أن ينتحروا ولم ينقطع الحبل ؟

حقا إن الذين صار الدين فى حياتهم سرا من أسرارها ، قد كشفوا فى الحياة نهجاً يمكنهم فى كثير من الأحيان ، أن يدرأوا عن أنفسهم ضرورة الالتجاء إلى الطب النفسى .

وأحد الأركان التى يقوم عليها هذا النهج هو : سكينة النفس. فما أكثر الناس الذين لايجدون فى دخيلة نفوسهم ملاذاً يلوذون به من صخب الدنيا وضجيجها ، فتلفهم لايقر لهم قرار. وقد قال الفيلسوف هوايتهد إن الدين هو مايصنعه المرء فى ساعة وحدته ، فإذا صح هذا التعريف ، فهؤلاء قوم لادين لهم، لأنهم لايدرون شيئاً عما يصنعونه ساعة يكون أحدهم فى عزلة وعلى انفراد ، سوى أن يفروا من العزلة إلى تيار الحياة الصاخب، فقوام حياتهم حركة دون تأمل ، وضوضاء بغير سكون ، فلا غرو أن تفضى بهم هذه الحياة التى لا تسكن ولا تستقر، والتى لايجدون ملاذاً منها فى ذوات نفوسهم ، إلى نهج يؤثر فى عواطفهم تأثيراً مدمراً. وشخصية الإنسان لم تخلق لتسير على هذا النهج فى الحياة فالذين يحاولون السير عليه ينتهى بهم المطاف إلى عيادة الطبيب النفسى .

وثمة ركن آخر هو : كرم النفس وصفاء النية . إن عيادات الأطباء النفسيين غاصة بجماعة من الناس دأبوا منذ سنين على أن يستروا وراء بشرهم وإيناسهم ضغائن متأصلة فى نفوسهم وغضباً مكتوماً وحسداً يمزق أحشاءهم . وقد يكون السبب الأصيل لهذه الضغائن خافياً عن الرجل الذى يكظمها فى دخيلته، فالتحليل النفسى كفيل بأن يكشفه. بيد أن الضغينة المكتومة فى نفس صاحبها، قد تنتقل إلى أى شخص يلتقى به فتنصب عليه، ويومئذ يسهل على صاحب الضغينة أن يلقى تبعة إخفاقه على كاهل ذلك الإنسان الذى صار هدفاً لضغينته . وأنت تجد عاقبة ذلك مآسى تقطع نياط القلب ، مآسى أسر تشتت شملها ، ومآسى رجال ركبتهم الخيبة فى أعمالهم .

وكرم النفس دواء نافع . ولا تصدق من يقول لك إن كرم النفس وصفاءها شيء كالمثل الأعلى لا يجدى فى هذه الحياة الدنيا ، بل سوف تجد أن أخذ الدين يجحدون الفضل ويناصبونك العداء ، بكرم النفس وصفاء النية ، هو من الأسرار التى تتيح لك أن تدرك صحة العقل وصحة العاطفة جميعاً . ولست أعرف ما هو رأيك فى قول بولس فى رسالته إلى أهل كورنثوس حين قال : « ... الإيمان والرجاء والمحبة ... ولكن أعظمهن المحبة » . بيد أننى أرى أن قوله علاج نفسى نافع يوقينا عثرات كثيرة .

وركن ثالث من أركان الحياة العاطفية الصحيحة هو : الكرامة وعزة النفس . والرجل العاقل لا ينفك ينقد نفسه ويؤاخذها ، ولكنه إذا أذن لنفسه أن يستبد بها شعور تحقير النفس ، فقد ذهبت ريحه وكان من الخائبين . والرأى الشائع بين الناس هو أن الزهو وعزة النفس هما أعظم لعنة يصاب بها رجل . وكثيرون من الناس الذين يتظاهرون بالزهو والعجب ، إنما يتوسلون بالغطرسة ليستروا بها نفوساً مريضة تحقرهم فى نظر ذواتهم . ومعظم الحالات التى يعالجها الأطباء النفسيون ، يكشفون فى أعماق نفوس أصحابها شعوراً كامناً بالإثم والغضاضة واحتقار النفس .

فإذا أردت تقويم هذه الحالة بالدين، وكان التوجيه الدينى فاسداً تفاقمت الحالة ، ولذلك ترى الأطباء النفسيين يستريبون فى جدوى علاج هذه الحالات برجال الدين ، وبعضهم يشتد فى مقاومة الالتجاء إليهم، لأنهم يجدون أن التوجيه الدينى إذا كان فاسداً يفضى فى بعض الحالات إلى ندامة تستبد بالنفس ، وتلح عليها من أجل زلات وهفوات ، وإلى تخويف الناس مما يهددهم من عقاب ؛ فينتهى بهم الأمر إلى أن تتأصل فى نفوسهم عقد نفسية ليس لها سبب صحيح أو معقول . والتسليم بهذا الاعتراض لا يعنى أنه ينبغى لنا أن نلتمس العلاج فى الابتعاد عن الدين ، بل ينبغى أن نلتمسه فى الدنو من جوهر الدين وحقيقته .

والرجل إذا ظل يقول لنفسه ، إنه مخفق لا يصلح لشىء ، استطاع أن يحل نفسه من التبعات الواقعة على كاهله ، وانتهى إلى اليقين بأن السعى لا يجدى شيئاً . والدين الصحيح يقضى على هذه الأعذار قضاء مبرماً . بل لو سلمنا بأن شعور الرجل بالإثم له ما يسوغه ، وأن آثامه فى الماضى لا تزال تسيطر على عاداته وتلح عليه فى طوايا ذاكرته ، فإنه ولا ريب يجد فى التماس الدين الصحيح بلسما شافياً .

فى مصحة أقيمت لعلاج الذين يدمنون الخمر والمخدرات ، كان لى صديق أدمن الخمر حتى صار لها كالعبد الرقيق ، وكان يومئذ يتماثل للشفاء من آثار سورة من سورات السكر والعربدة ، وقال الأطباء إنه فى حال لا يرجى له شفاء منها . وكان ذلك رأى أهله وصحبه ، بل رأيه فى نفسه . وكان صاحبي إلى ذلك رجلا لا يؤمن بالله ، ويدعو إلى إنكاره ، فلم يجد فى حياته أحداً أعلى منزلة وأسمى كلمة من أطبائه وأصحابه ، فيقول له إن حبل رجائه لم ينقطع . وفى سعيه المحموم إلى الظفر شيء يستمد منه العون النفسى ، دعا الله وهو متردد أن يمد إليه يد المعونة . فهذا الدعاء كان آخر حبل واهٍ يتعلق به ليقيه من الهبوط فى هوة لا قرار لها من احتقار النفس والقنوط . ومنذ ذلك اليوم لم تمتد يده إلى كأس من شراب ، وهو الرجل الذى أنشأ جماعة « إرشاد المدمنين »*

وثمة ركن آخر من أركان الحياة الصحيحة هو : بذل النفس فى رعاية الناس أو أعمال الخير . فالشخصية الإنسانية لم يقصد بها أن تكون منطوية على ذاتها ولا همّ لها سوى مأربها الخاص . وإذن فينبغى لكل امرىء يطلب الحياة الصحيحة أن ينطلق من إسار ذاته ، وأن يجد غرضاً حقيقاً بأن يعكف على إدراكه ، وأن يجاهد جهاداً نافعاً ، أو أن يتيم بحب يستغرقه ، أو أن يستكشف عملا يستأثر بعنايته ويتحدى قدرته ، أو أن يندفع فى مغامرة رائعة ، أو أن ينطلق فى عمل الخير . فالقول المأثور عن عيسى عليه السلام : « من أضاع حياته من أجلى يجدها » هو قاعدة جوهرية من قواعد الحياة الصحيحة .

والمبالغة فى العكوف على الذات مرض . فلذلك ترى أن المصابين باضطراب الأعصاب ليسوا من الناس الذين بلاهم الحرمان ، بل من الناس المستمتعين بنعم الحياة . فهؤلاء يجدون أسباب العيش مهيأة لهم موفورة بين أيديهم ، ولا يجدون شيئاً رائعاً خليقاً بهم أن يعيشوا من أجل إدراكه . وكثيراً ما تراهم يحاولون الفرار من سجن عواطفهم الخبيثة ، بالعربدة أو الفجور وغيرهما ، وهم يظنون أن ذلك هو طريقهم للتعبير عما يعتلج فى نفوسهم . ولكن هذا التعبير عما يعتلج فى النفس لا يسمو إلى غرضه النبيل إلا إذا بذل المرء ذاته غير ناظر إلى مصلحة أو نفع خاص ، فى سبيل أناس أو أعمال يؤمن بها ويحبها ، وهذا

* كنت سكيراً ، المختار مارس ١٩٤٦ ص ٤٨

قول مازالت الديانات تدعو إليه منذ أقدم العصور ، والدكتورجوردن ألبورت أستاذ علم النفس فى جامعة هارفرد يقول : « من المفارقات أن يكون التعبير عن الذات محتاجاً إلى قدرة المرء أن يتفانى فى طلب أغراض ليست لها صلة بالذات فى المقام الأول » .

ومن وراء هــذه الأركان تجد ركناً آخر قد يكون أهمها شأناً هو : الإيمان بالحياة نفسها وأن لها معنى وهدفاً . وإنكار الدين له فى هذا الباب أثر نفسىٌّ مدمر . ولو كان إنكار الدين انصرافاً عن الإيمان بالدين وحسب لكان شـــيئاً يجوز أن نتغاضى عنه ، ولكن الإنكار الذى يحيل الكون إلى مجموعة هائلة من البروتونات والإلكترونات تسير على غير هدى ، ليس لها ربٌّ واحد يحركها ، ولا غرض روحى، ولا مصير تنتهى إليه سوى الفناء الكونى — ليس انصرافاً عن الإيمان بالدين وحسب ، بل هو إنكار أصيل للحياة نفسها ، ومالها من هدف ومعنى سام .

والنتيجة التى ينتهى إليها منطق الشك هى أن تحمل كثيرين من الناس على أن يقولوا : « وما الفائدة على كل حال ؟ » . أما الأثر النفسى فهو أن يلوذ الناس بالاستهتار الذى يدمر الخلق . وقد قال أحد المرضى للدكتور يونج العالم النفسى : « لو كان فى وسعى أن أتحقق أن لحياتى شيئاً من المعنى والغرض لما جئتك بهذا السخف عن اضطراب أعصابى» . والشخصية الإنسانية لا يمكن أن تنمو وتزدهر فى نفوس تعتقد أن الحياة كلها عقيم وباطل . فليس بالأمر العجيب أن عصراً يكثر فيه انصراف الناس عن الدين،هو عصرٌ يكثر فيه أيضاً انصراف النـاس إلى عيادات الأطباء النفســيين ، وأكبر المأساة أنهم كثيراً ما يلتمسون فيها عوناً فلا يجدونه .

والثقة بأن الحياة لها قيمة جوهرية يجب أن يسايره إيمان بأن فوق قوتنا قوة تعيننا على أن نحيى حياة أعظم وأنبل . ومتى كثرت مطالب الحياة ومهامها واقترنت بشـعور القصور والضعف،كان لا مفر للمرء من أن يشرف على الانهيار . وقد قال ماركوس أوريليوس الإمبراطور والفيلسوف الرومانى « ينبغى للمرء أن يدعم بنيانه من الداخل ، فإن لم يفعل تقوض الهيكل حتى يسوَّى بالتراب » . ولو شرحت هــذا القول على ضوء علم النفس الحديث لرأيته يزداد قوة على قوته . فأعباء الحياة فى هذا العصر تجعل الاعتماد على الإيمان والشجاعة واتزان النفس وقدرتها على الاحتمال ، شيئاً لا غنى عنه .

[البقية صفحة ١٣٢]



الانسان ترجمة حياته على لسانه

مختصر كتاب بقلم

جورج ر. ستيوارت

هذا تاريخ فاتن لتطور الانسان ، يروى كما يجب أن تروى قصة جيدة ممتعة : ببساطة وسرعة وحسن خيال . وجورج ستيوارت ينفث الحياة والفكاهة فى قصة يدفنها المؤرخون عادة تحت أكوام من الحقائق المحيرة .

وكثيرا ما ترى هذا المؤلف يبالغ فى اظهار أشياء أهملها غيره من المؤرخين ، أو تراه يهمل ما بالغوا هم فى اظهاره . وقد تجد أن بعض نظرياتك العزيزة عليك قد طارت شعاعا ، ولكنه لا يسعك فى هذه الأيام الحافلة بالشك الأليم فى المستقبل ، الا أن تستمد أملا جديدا من تشبث الانسان ببقاء الحضارة ، واستمرار تقدمه .

والمستر ستيوارت أستاذ فى جامعة كاليفورنيا ، وقد اشتهر بالابتكار فيما يكتب ، وبالدقة فى جمع الحقائق ، وله كتب كثيرة مشهورة .

الإنسان : ترجمة حياته على لسانه



أنا الإنسان، أشعر وقد ارتفعت بى السن بعض الارتفاع ، برغبة فى الترجمة لنفسى . والباعث لى على ذلك هو أنى ضجرت أشد الضجر من شتى التراجم التى كتبت عنى، فإنها أولاً سيئة التقسيم تكاد تكون مقصورة على ثلاثة الآلاف السنة الأخيرة ، وإن كان ما فعلته فى هذه المسافة من الزمن لا يعادل فى خطر الشأن ما فعلته قبل ذلك . ثم إنها ثانياً تحيل ما هو بسيط فى حقيقته فتجعله معقداً مملاً .

وهى تكدس أكواماً من اللغط والتفاصيل عن أمور من مثل قيام الدول وسقوطها ، وقد يكون هـذا ممتعاً ولكنه قليل الجدوى لأنه يفضى فى النهاية إلى التعقيد والسآمة . وأنت إذا قرأت معظم كتب التاريخ لم تهتد إلى حقيقة «الإنسان» لأن ما فيه من ذكر الرجال وتراجمهم يحجب عنك هذه الحقيقة .

ومهمتى أسهل من مهمة المؤرخين لأنى أكتب عن الإنسان ، وليس يعنينى أن أبين أى أجناسى أو قبائلى أو أفرادى فعل هذا أو ذاك ، وإنى لأرجو أن لا أخلط السؤال الجوهرى : «ماذا كان ؟» بالسؤال الذى هو دونه شأناً وهو: «من فعل هذا ؟» فلا بد إذن من البداية ، ثم أنحدر بعد ذلك على الأيام .

وأنا الإنسان ، أستطيع أن أتتبع أصلى إلى حيوان لبون بدائى، وهو حيوان يتسلق الأشجار ، وقد عاش نسله فيها قروناً لا عداد لها ، وقد ترك هذا الزمن الطويل الذى قضيته فى الوثب والترجح بين الأغصان أثراً بيناً فى هيئتى .

انظر إلى كفى ، فإنى عظيم الاعتزاز والزهو بها ، ومع ذلك لم تكن فى الأصل إلا أداة لوقايتى من السقوط من الشجرة .

ثم إن حيوانات الأشجار كان لا يسعها إلا أن تعنى بالصعود والنزول كعنايتها بالسير إلى أمام وخلف . وكانت كلما تسلقت تعتدل فى وقفتها ، ولهذا تعلمت بسهولة أن تقف وتقعد فى اعتدال ، وفى وسعك أن ترى أن هذا يصدق على القردة والدببة والسنجاب . وهكذا يرجع اعتدال قامتى إلى تسلق الشجر .

وانظر الآن إلى الحواس . ويبدو أن اللمس أقدمها عهداً ، وقد أوتيته الخلائق التي لا عيون لها ولا آذان ، وما زال اللمس هو الحاسة الأساسية عندي ، وكان أسلافي يعتمدون أيضاً إلى حد كبير على الشم ، وهو وثيق الصلة بالذوق ، وله فضل كبير في الاهتداء إلى الطعام . ولكن يبدو أن سؤالا نشأ على الأيام عن قيمة الشم والنظر والسمع ، وهنا أيضاً كانت حياة أسلافي في الأشجار هي التي زودتهم بالجواب . فقد كان الشم قليل الجدوى على مسافة من الأرض إلا إذا كان الحيوان صغيراً جداً ، والرائحة إذا بقيت على امتداد غصن من الأغصان ، فإنها لا تعبر المسافة من شجرة إلى شجرة ، أما الصوت فإنه يسمع على الشجرة كما يسمع على الأرض . على أن النظر خير وأجدى لأنه هو الحاسة التي تعين على الوثب بإحكام من فرع إلى فرع . ومن هنا كان ترتيب الحواس عندي أن الشم أقلها قيمة ، والسمع أوسطها ، والنظر أعظمها — وهذا ما تصلح به الحياة في الأشجار .

ومن الاعتماد على البصر جاء اعتياد الحياة في النهار ، وقد صارت حياة أسلافي متوقفة على النور إلى حد يبعث على الرثاء ، وقد تبعتهم في هذا أنا الإنسان .

والرمي والتسديد — أي إصابة الشيء لا مجرد الإعراب عن الغضب — من صفاتي الخاصة ، وإنها لجزيلة النفع ، فإنه لا يكاد يكون هناك مخلوق آخر يقدر على ذلك ، ويظهر أن للرمي علاقة بالأشجار لسبب بسيط ، هو أن أي شيء ينفصل عنها يسقط ، وتستطيع أن تلاحظ أن كثيراً من حيوانات الأشجار — حتى السنجاب — تسقط قطعاً من اللحاء أو غيره على الحيوانات التي تحت الشجر ، وسقوطها يربك الحيوان الذي على الأرض بل يفزعه ، ويبعث على سرور الذي في الشجرة . ولا شك أن الإسقاط أو القذف الجزاف مختلف جداً عن الرمي بالمعنى الصحيح ، ولكنه البداية على ما يظهر .

ولم يكن أسلافي — وإن كانوا أتم ما يكونون تهيؤاً للعيش بين الأغصان — يستطيعون أن يعيشوا بينها طول الوقت ، فقد كان عليهم أن يهبطوا إلى بركة أو جدول طلباً للماء ، ومتى صاروا على الأرض فإنهم كانوا ولا شك يتجولون قليلا ليستمتعوا بذلك ، وكانوا يجدون في الوقت نفسه بعض أنواع من الطعام .

وهذا يفضي بي إلى نقطة حاسمة في تاريخي : الهبوط من الشجر إلى الأرض . وهناك نظريات معقدة لشرح هذا التحول ،

ولكنه ككثير غيره فى قصة حياتى ، من أبسط المسائل ، فإنه بعد كل ما يقال فيه ، ليس إلا ضرباً من الهجرة . وأدعى الأمور إلى الهجرة الزحام ، والمفروض أن أسلافى كانوا مما يسمى « الحيوانات الموفقة » أى أنهم مهيأون تهيئة حسنة لأسلوب حياتهم ، وكانوا لا ينفكون ينتشرون فى أى منطقة من مناطق الغابات يسكنونها . وعلى الأيام ، بعدد لا يحصى من آلاف السنين ، بلغوا طرف الغابة حيث يختلط الشجر بنبات الأرض والحشائش ، وفى مثل هذه الرقعة كان أسلافى يقضون على الأرض وقتاً يزداد طولا على الزمن ، ثم يكرون راجعين إلى الشجر ليلا .

وأخيراً كان مالا بد أن يكون ، فقد أبعد بعضهم فى تجواله ، أو أطال التلبث فى منتجع طيب يؤثره ، أو تأخر لأن شوكة دخلت فى قدمه . ويدخل الليل ، فتضطرُّ هذه الجماعة — وهى الأولى من جنسها — أن تقضى الليل على الأرض ، فترعد وتنتحب من الرعب ، وهى لا تدرك ما حدث ، فتجرى على عادتها ، فتصعد إلى ظهر صخرة ، أو تزحف داخلة فى لفائف من الشجيرات وإن كانت أصغر من أن تسمح بالتعلق بها ، وترتعد وتنتحب مرة أخرى حين يحلو لك الليل ، ولعل طائفة من ذئاب الليل وقعت عليها ، أو لعل الحظ قد ساعفها فسلمت .

ومن المحقق أن ما وقع مرة ، قد تكرر باطراد تبعاً لازدياد الفهم للأرض ، واضطرارهم إلى الإبعاد فى التجوال . وقد تعلموا كثيراً بحكم التجربة التى أكرهوا عليها ، مهما بلغ من بطئهم فى ذلك ، أن البر يعجز عن تسلق بعض النجود الصخرية كعجزه عن تسلق الشجر ، أو أن شجيرة شائكة قصيرة تحير الأسد وتعييه . والمهم أننا نعلم على وجه التحقيق أن الأمر انتهى بهجر الشجر حتى عند النوم .

وهذا الهبوط من الشجر
وإن كان قد حدث تدريجاً
على مسافة من الزمن تبلغ
عدة قرون ، كان بمثابة
أزمة بالغة . فقد كان السؤال الذى ارتهنت به بقية القصة كلها هو : هل تعود هذه المخلوقات إلى المشى على أربع ، أو تواصل ما اعتادته أيام سكنى الشجر من المشى على رجلين ؟

وقد عاد القرد البابون الذى هبط أيضاً إلى الأرض بعد زمن طويل من الحياة فى الشجر ، إلى المشى على أربع ، وبهذا سار فى طريق الحيوانات التى تعيش على الأرض ،

وصار أشبه مايكون بالكلب،فله فك المحارب وأسنانه،والعقل الضيق الذى يكون مع هذه. ثم إنه لما كان يستخدم قادمتيه فى المشى فإنه لا يستطيع أن يتخذ منهما يدين .

على أن أسلافى صاروا على الأيام أكثر تعويلا فى المشى على الرجلين ، وبهذا تركوا يدىّ حرتين أستعملهما كما أشاء ، غير أنى وإن كنت مزهواً بيدى ، أرى أن قدمى هى فى الحقيقة أكبر ما يميزنى . فإنى بعد أن تطورت قدمى التى قصرتها على المشى والعدو دون غيرها تقريباً ، نجوت من أن أصير كالغورلىّ التى تصاد وتحفظ فى قفص ، فإنها حيوان لا يداه صالحتان ولا رجلاه ، والأربع كلها بين بين .

ولما هبط أسلافى من الشجر أصبحوا لا يحتاجون أن يتعلقوا بالأغصان، ومع ذلك لم يستخدموا أيديهم فى الوقوف أو المشى ، فصارت أيديهم لا عمل لها ، وفى وسعهم أن ينتفعوا بها دائماً فى أشياء كثيرة ، بعضها سيء ولكن كثيراً منها عظيم النفع ، وبعضها ينطوى على جرأة فى التجريب ، والواقع أن هذه الأيدى العاطلة غيرت كل شيء تدريجاً وصنعت الحضارة .

وعلاقة اليد بالقدم ممتعة ، فالقدم أشبه بشخص يضحى بنفسه ، ويخضعها لمصلحة العمل ولا يظفر بتشريف وتمجيد ، وإن قدمى لشيء منقطع النظير فى الطبيعة ، أما يدى فإنها تفوق بعض الشيء يد القرد . والمرء حين يفكر فى اليد وأنها تساعده على استعمال الآلات ، ينسى أنه لولا المشى على القدمين لما استطاع أن ينقل آلة من مكان إلى مكان إلا إذا حملها بفمه .

ولا بد أن قدمى تطورت ببطء فى الفترة الطويلة التى تلت الهبوط من الشجر والعيش على الأرض ، وقد يظن الناس أن هذه الفترة كانت حافلة بالمصاعب ، وأن هذا المخلوق الذى هجر الشجر خليق أن يلفى نفسه عاجزاً بعض الشيء فى بيئة غير مألوفة . والواقع أن الأمر قد يكون على نقيض ذلك فإن الكفايات التى تكون عادية فى أسلوب قديم من أساليب الحياة ، قد تكسب صاحبها مزايا كالمعجزات فى حياة جديدة . مثال ذلك أن الحياة على الأرض تلائم حاسة الشم ، وقد كان أسلافى لا نظير لهم تقريباً فى إنماء حاسة النظر، وبهذا صارت لهم مزية سلاح سرى على الحيوانات الأخرى التى تعيش على الأرض .

ثم إن حيوانات الأرض المفترسة تعيث ليلا فى الأغلب،ولما كان أسلافى قد تكيفوا على مقتضى الحياة فى الشجر ، فإنهم كانوا يسعون فى النهار،ولذلك قلما كانوا يتعرضون لبير . يضاف إلى ذلك أن معظم حيوانات

الأرض لا قدرة لها على التسلق ، فما دام أى واحد من أسلافى على مقربة من شجرة يثب إليها، فقد كان فى وسعه أن يطمئن بل أن يجترىء ويتوقح ، ولا شك أنه كثيراً ما كان يعابث جاموسة إلى آخر لحظة ، ثم يثب إلى غصن ويستمتع بما يراه على الوحش المهاجم من دلائل الخيبة .

وكان هؤلاء الذين هجروا الشجر ، يعيشو منذ البـــداية جماعات جماعات ، وكانت الجماعة وهى على الأرض — كما كانت إذ هى على الشجر — ترتاد وتأكل فى حيثما كانت تجد طعاماً ، وكان هناك فى الأرض المحشوشة المكشوفة فضلا عن بيض الطير ، والثمار ، والجوز ، والبراعم ، طعام جديد جيد هو بذور النبات الناضجة . ولا شك أن هذا الذى هبط إلى الأرض حديثاً والذى كان بطىء الخطو ضعيف الفك ، لم ينقلب فجأة صائداً عظيما، فكان يدع الأرانب تمضى دون أن يخطر له أن يتعقبها ، أما الغزلان والثيران البرية فكانت فى نظره كأنها مخلوقات فى عالم آخر .

وكانت الجمـــاعة تتحرك على مهل ، وتنتجع وهى سائرة ، وأحسب أن أجرأ الذكور وأنشطها كانت تبعد فى تجوالها ، حول أطراف النُّجْعة ، وفى الوسط تصيب الأمهات والصغار طعامها ، ولما كان كل واحد يمشى محنى الظهر ، فقد كان من السهل أن يركب الصغير ظهر أمه ، ويلف ذراعيه وأصابعه الصغيرة على شعر رأسها الطويل .

وإذا آذن الحال بالخطر ، ذهبت الأمهات والصغار أولا ، وتولى الآباء حماية الجماعة المتراجعة، وهم يطلقون صيحات التحدى. ومع أن الجماعة فى جملتها كانت تستطيع الدفاع عن نفسها إلا أن الحيوان المفترس الرابض على أحد الجناحين ، كان يستطيع أن يبطش بالهرم الضعيف ، أو الحدث الأحمق، وبكل من يتخلف مصادفة أو لمرض ، ولكن الجماعة فى جملتها كانت تزداد نشاطاً لأن الضعفاء منها كانوا أكثر تعرضاً للفتك بهم .

وهكذا استطاعت الجماعة، على نحو ما، أن تبقى . ولم تكن المشكلة الكبرى الناشئة عن ترك الشجر والنزول إلى الأرض ، مشكلة الدفاع أو الطعام ، وإنما كانت العود أو عدم العود إلى المشى على أربع . ولو أنها كانت قد عادت إلى ذلك لكانت الأربع قد صارت أربع أقدام شبيهة بالأكف ، بل لفقد خير العقول كل وسيلة للإعراب عن نفسه .

وقد امتد عهد الحياة على الشجر إلى عدة آلاف من القرون ، وقد قدروا المدة التى تطلبها التكيف على مقتضى الحياة على الأرض وتطور القدم وغير ذلك بستة ملايين من

السنين ، وهذه مسافة من الزمن أطول جداً من التي انقضت بعد ذلك ، لأننا في نهايتها نصل إلى تاريخ حديث بعض الشيء — حوالى مليون سنة قبل الميلاد .

وقد كنت إلى الآن أشير إلى « أسلافى » لأنى أشعر أنى أختلف اختلافاً جوهريًّا عن ذلك المسخ الشبيه بالقرد الذى هبط من الشجر . وسأكف من الآن فصاعداً عن كل ذكر للأسلاف ، وأعد نفسى ، أنا الإنسان ، قد ولدت لأنى حزت الأشياء الخمسة الجوهرية : الأدوات ، والكلام ، والنار ، والطبخ ، والثياب .

وقد كان استعمالى للأدوات أسبق ، وأظنه كان سهلا جداً ، فقد اعتدت وأنا أعيش على الشجر أن أقبض على الغصن ، فلما هبطت إلى الأرض ومشيت على رجلين ، كنت ولا شك أشعر أنه يكون أبعث على راحتى أن يكون ثم شىء أمسكه بيدى الفارغتين ، وكان من الطبيعى جداً فى البداية . وقد انقضت الحاجة إلى إمساك غصن حقيقى ، أن التقط عوداً ميتاً واقعاً على الأرض ، (حتى فى أيامنا هذه يحب الناس أن يمشوا وفى أيديهم العصىّ) .

ولما صار العود فى يدى ، أصبح لى آلة تصلح لإسقاط الثمار والجوز ، وتحولت عادة حمل العود إلى شىء نافع ، ثم صرت إذا أفزعنى هجوم مباغت ، أضرب بالعود دون أن أتخلى عنه — فصار هراوة .

والأرجح أن الآباء من البداية كانوا أصلح لاتخاذ الأدوات وأقدر على ذلك من الأمهات اللواتى كانت أيديهن مشغولة بتعهد صغارهن ، أما الآباء فأيديهم فارغة ، فمن السهل عليهم أن يحملوا العصى والحجارة ، وأن يزدادوا حذقاً فى استعمالها . وقد ظل الحال كذلك إلى الآن ، فإن الأم بالمعنى الصحيح فى أيامنا هذه خليقة أن تخلط فى التفريق بين المِنْحت والبزال .

أما عن صنع الآلات فأظن أنه ليس ثم فرق كبير بين استعمالها وصنعها ، فإن مجرد التقاط عود هو من بعض الوجوه صنع لآلة وقطع عود ميت من شجرة أدخل فى باب الصناعة . على أنى حتى من بداية هبوطى إلى الأرض كان عندى من الآلات أكثر مما أعرف ماذا أصنع به .

وكانت الأغصان — أصدقائى القدماء — أسرعها إلى ، ولكنى على الأرض لم ألبث حتى ألفت العظام أيضاً ، وكثيراً ما كنت فى تجوالى أذود النسور عن نهش رمة أيل أو ثور . وكانت أمامى مجموعة كاملة من الآلات — عظام الفخذ وهى صالحة لاتخاذها هراوات للضرب ، والقرون أو روقها كمثقاب ، وألواح الكتف للجرف والحك ، ولم يكن

يقعد بى غير قلة تجربتى ، فإنه ما كان يسعنى أن أستعمل مجرفاً ولا شىء عندى أجرفه ولا فكرة لى عن الجرف .

وبعد مدة (أعنى بضعة ملايين من السنين أو نحو ذلك) أحسبنى بدأت أتعلم شيئاً عن الحجارة وأن أحملها معى كأنما هى عصى، فإن لها منافع خاصة مستمدة من الغلظ والثقل والصلابة . وهى تصلح للقذف، ولكل أنواع الدق وخاصة لكسر الجوز. ولعلى أيضاً تعلمت أن الجذور المريئة يمكن الحصول عليها بحفر الأرض، ومن الأحجار ماهو صالح للحفر .

وكان يحدث أحياناً وأنا أحفر أو أدق أن يضرب الحجر حجراً آخر فينكسر وإذا بى بعد أن كان الذى فى يدى حجراً مستديراً واحداً قد صار شيئاً جـديداً مختلفاً حاد السن يمكن أن يجرح اليد ـــ شيئاً يدعو إلى العجب ، ويصلح للعب والانتفاع به .

وهكذا كثرت الأدوات المهيأة فى عالم حافل بالأعواد والحجارة والعظام ـــ متى نما العقل الذى يستطيع أن يستعملها .

وفى هذا النماء العقلى كان استعمالى اللغة أعون شىء لى . وما من أحد يدرى على وجه التحقيق كيف نشأت اللغة ، وما يزال أصلها من الموضـوعات الممتعة التى تتعادل فيها قيم النظريات، والنظرية التى أرانى أميل إلى الأخذ بها هى أنى كنت أكثر أنيناً وزجراً وعواء ونخيراً من كثير من الحيوانات، وكانت دواعى الكبح لهذا كله ضئيلة ، ولم أكن محتاجا أن أقضى الساعات الطويلة فى الاجترار فى صمت، أو أن أجوب الغابات متسللا مخففاً الوطء ، أو أن أقضم خلسة فى سكون مخافة الانقضاض علىّ، وكان معظم أصواتى يعبر على نحو ما ، عما أشعر به فى اللحظة التى أنا فيها ، وكانت كل نبحة أو صرخة أو غمغمة ، عبارة عن جملة غامضة فى الحقيقة .

وهذه كانت بداية اللغـة الحقيقية التى صارت حادثة كأعظم ما مر من الحوادث ، وكانت فوائدها البديهية اجتماعية تيسر العمل واللعب معاً ، ولـكن لعل مزيتها العظمى أنها آلة أقدر من العصى والحجر على إفادة السيطرة على العالم . ذلك أن اللغـة ليست مجرد أداة لنقل الخواطر ، بل هى أيضاً أداة للتفكير نفسه .

أما عن النار، فإن كثيراً من الحطب المتفحم قد وجد فى كهوف إنسان بكين، وهو عريق فى القـدم والبدائية ، حتى إن العلماء لا يعدونه إنساناً بل إنساناً قرداً .فاستعمالى للنار إذن سابق فى التاريخ للعهد الذى صرت فيه إنساناً حقيقياً.

ولا بد أنى كنت وأنا فى الشجر أرى الحرائق يضرمها البرق، ولا بد أن جماعاتى قد لاذت بالفرار فزعا من الوقدة، أو أحاطت بها النيران . على أن حرائق البرق قلما كانت تتسع ، وأكثرها كان يتقد قليلا ثم يهمد ولم يكن الحريق الصغير من شأنه أن يرعب ولا سيما فى النهار حين يكسف نور الشمس وهج اللهب ، وأنا مخلوق شديد الفضول والتطلع، ولم أكن فى النهار هيابة ، ويخيل إلى أن بعض جماعاتى دنت شيئاً فشيئاً من حريق صغير ، والذكور فى الطليعة ، وكل واحد فى قلبه القلق والخوف ولكنه لا يحب أن يهرب قبل أن يهرب الآخرون ، ولم تنتشر النار ولم تلسعهم ، فلما كان الحريق التالى ، ازدادوا جرأة على الاقتراب .

وما كان من الممكن فى البداية أن تكون للنار فائدة ما . فهى لم تكن أكثر من شىء نادر يشاهد . وأحسبها بعد ذلك صارت لعبة، حين أقبل بعض أهل الجرأة ، وتناول عوداً مضطرما وراح يلوح به ، ومع الأيام صارت خصائص النار معروفة ، فهى تأتى على الشعر وتحرق الجلد ، و « تتغذى » بالأوراق والأغصان الجافة ، والمطر والماء « يقتلانها » ، وكانت تبدو كأنها تموت تحت الرماد ، ولكن الريح تعيد إليها الحياة وكذلك النفخ بالفم ، وبفضل هذه المعارف تيسر بعض القدرة على السيطرة على النار .

ولعل أول « انتفاع » لى بها كان حين تعلمت أن الحيوانات المفترسة التى تعيث ليلا تخشاها ، فبينما كان اللهب يرتفع مستعراً حيال الأشجار ، كان البر يدور متذمراً ولكنه يحرص على الابتعاد ، ولهذا صرت إذا نزل الظلام وما يغرى به من اليأس ، أو مالت النار إلى الخمود ، أنتفع بما تعلمته وأنا ألعب ، وغذيت النار وزودتها بما يؤرثها إلى مطلع الفجر .

ولا بد أنى فى البرد لاحظت أن النار تشع حرارة لذيذة ودفئاً كالشمس ، ولكن الأقرب إلى الاحتمال أن صلتى الوثيقة بالنار لا ترجع إلى هذه الأسباب، بل إلى اهتدائى قبل ذلك إلى الطبخ . ولعل التعبير بلفظ « الطبخ » آنق من أن يطلق على ما لم يكن أكثر من رمى قطع اللحم فى النار ، ولكنه ليس ثم لفظ آخر ، وقد كنت ، وأنا على الشجر ، نباتياً على الأكثر ، ويستفاد من حالة أسنانى أدهاراً طويلة بعد هبوطى إلى الأرض أنى ظللت كما كنت تقريباً وأنا على الشجر ، من حيث الطعام ، وفى كل هذه القرون كنت إذا مررت بثور سقط من فوق صخرة فمات ولم يزل دمه حاراً ، أدعه ،

فإنى بهذه الأسنان التى لا تختلف كثيراً عن أسنانى الحالية ، وبالفك الذى لى ، لم يكن يسعنى بسهولة أن أغرز أنيابى فى الجلد السميك ، ثم أهوى على ألياف العضلات تحته .

غير أن الأدوات والنار غيرت كل هذا ، فقد استطعت بحد الحجر المكسور أن أمزق الجلد وأقطع اللحم ، وبالنار أن ألين اللحم الشديد بحيث تستطيع مضـــغه أسنانى الضعيفة وفكى ، وهكذا صرت على الأيام آكل لحوم — وكانت نتائج ذلك أهم مما قد تظن .

فإنه لما كان اللحم المطبوخ مركّزاً وأسهل هضما ، فقد قلّ ما احتاج إليه من الوقت للأكل ، وللانطراح بعد ذلك فى فتور فاتسع الوقت للتفكير واللعب ، على أنى لم أكن أستطيع إلى ذلك الحين أن أنقل النار بسهولة ، فكان هذا باعثاً قويًّا على الاستقرار فى مكان . وأهم من ذلك كله أن حب أكل اللحم جعلت منى صائداً ، وهكذا أعان الطبخ — كغيره من الأمور الخمسة الجوهرية — على تسييرى على الدرب إلى المستقبل .

وقد كثر الجدل (ولا أحد يدرى على وجه التحقيق) حول الثياب ، وهل كانت فى الأصل للزينة ، أو لما يسمى بالأغراض المجدية مثل الوقاية من البرد . وأنا أرى أنها نشأت عن فكرة عمليـة هى التوقى من الأذى .

ولما شرعت أجرى على رجلين ، تعرّضت للخدش والحك بكل شجيرة وغصن تلك الأجزاء الرقيقة من جسمى التى ترى فى الحيوانات الأخرى مزوّدة بعناية تحت البدن ، فكنت لهذا مضطراً أن أحاذر فى الأرض الوعرة الكثيرة الكلأ ، وحتى مع الحذر لا بد أنى كابدت آلاماً بل أذى خطيراً ، وما كدت أتعلم أن أسلخ جلد الحيوان وأن أربط أطرافه وألفه علىّ بإحكام ، حتى كأن كل شىء يدعونى إلى العمل على وقاية نفسى ، وأنا أرى أن ما اتخذته للتوقى صار يعد فيما بعد زينة أيضاً ، ثم أدى ذلك إلى نشوء فكرة الحياء .

وإلى هنا ، بعد أن اهتديت إلى الأشياء الخمسة الأساسية ، أكون قد بلغت بقصتى ما يسمى العصر الحجرى القـديم ، وأنا أشك فى أن الحجر كان استعماله فى ذلك الزمن أكثر من استعمال الخشب أو العظم ، والفرق هو أن الخشب والعظام تبلى بسرعة أما الحجر فقد يبقى على حاله زمناً طويلا ، ومن هنا نشأت بطبيعة الحال الفكرة القائلة

إن قبائل ذلك الزمن استعملت الحجر ولم تكد تستعمل شيئاً غيره .

وذلك أيضاً كان الزمن الذى ظهر فيه الإنسان ساكن الكهوف ، غير أن كثيراً من الأوهام توجد أيضاً فى صدره ، فإنه فى معظم أرجاء العالم تقل الحاجة إلى العيش فى الكهوف ، والأرجح أن الجماعات كانت تؤثر الفضاء وتضرب فى الأرض هنا وههنا ، وتتعلم أن تنقل نارها معها فى تجوالها ، ولكن المضارب لا تترك أثراً بالقياس إلى الكهوف، التى لعلها اتخذت للسكنى فى الشتاء عدة أجيال . ومن هنا تعد فكرة العصر الحجرى،وفكرة سكنى الكهوف،راجعتين إلى إرباء العناية بالدليل الميسور على العناية بالدليل غير الميسور .

كانت أقدم الآلات الحجرية أدوات القطع ولا خير فى محاولة الفصل فى هل كانت فأساً أو مطرقة أو غير ذلك . فما كانت إلا قطعة مستديرة تقريباً من الحجر بريت بحيث يكون لها حد خشن أو حدان من الجانبين ، ويسهل حملها باليد ، فكانت لهذا سلاحاً ماضياً عند التشابك فى القتال ، ومن الممكن استعمالها أيضاً للدق والحفر والحك ، وإسقاط الثمار عن الأشجار ، وإذا قذفت من مسافة قريبة ، على وشق واثب ، فإنها كافية لثقلها أن تجعله يتهافت .

وعلى مدار القرون حلت محل هذه الأداة الفؤوس اليدوية والمناحت والمجارف وما إليها ، وقد حدث التغيير ببطء شديد حتى لقد استغرق أدهاراً لا سنة أو قرناً . وأحسب أن كثيراً من التغيير قد حدث دون أن يشعر به أو يدركه أحد . ولنتأمل مثلا الهاون وقد كان أداة يتخذها الأولون ، ولا يزال متخذاً إلى الآن فى المعامل والصيدليات ، فإنى لما بدأت أكسر الجوز ، كانت الطريقة الطبيعية لذلك أن أضع الجوزة على صخرة مستوية السطح وأدقها بحجر ، وما من صخرة تكون ملساء كل اللاسة ، ولهذا كان الجوز يتدحرج إلى ما هناك من تجويف فى الصخر ، وعلى كر السنين صار الدق يعمق التجويف حتى صار أشبه بكأس صالحة للاحتفاظ بالشىء المدقوق فى مكان واحد . وهكذا ظهر الهاون بطبيعة الحال ودون أن يفكر أحد فى أمره .

ومن الوسائل الأخرى لإحداث التغيير مايسمى فى العادة «الاختراع» وسأمثل لذلك بما لعله أول اختراع عظيم ، أعنى ما ربما كان أول شىء يخرج إلى حيّز الوجود بفضل عمل إنشائى مفاجىء ينبثق من عقل موهوب . والواقع أنه وإن كان قد ظهر فى أوليات العصر الحجرى ، إلا أنى أعده عملا بارعاً يستحق المقارنة بالقاطرة البخارية والطائرة،

لأنه أول مثال لفكرة أساسية عن الصناعة، ولا يمكن أن يكون قد حدث مصادفة ، ولست أستطيع أن أتصور أنه جاء تدريجاً شيئاً فشيئاً على القرون. وأبسط مايفسر به هذا الاستكشاف أن يُردَّ الفضل فيه إلى لحظة من الإلهام تمر بعقل فرد موهوب .

ولنا أن نعترض أن قبيلة هذا الفرد كانت تتخذ رماحا من الخشب الذي يقوى على احتمال صهر النار ، وتستعمل أطراف الحجارة الحادة كالسكين أو المجراف ، فومضت في ذهن هذا الفرد فكرة، وتخيل الأداتين مجتمعتين على صورة جديدة تحت الشمس — الحجر بثقله وحدة سنه ، موصولا بالخشبة الطويلة الخفيفة القوية .

ولم تكن الفكرة في ذاتها كافية ، فقد كان عليه بعد ذلك أن يهتدى إلى طريقة تثبيت الحجر في الخشبة . وهذا أيضاً لم يحدث تدريجاً على مر القرون، فإن الفكرة بمجردها لا تنحدر من جيل إلى جيل ، ولهذا فإن بنا حاجة إلى أن نفترض أن صاحب الفكرة اهتدى إلى الوسيلة العملية أو أنه بمعونة اللغة ، أفضى بالفكرة إلى من هو أكثر كداً وأحذق يداً فربط سن الحجر إلى الرمح بسير من الجلد، والأرجح أنه في النهاية انتحل الفضل في الفكرة أيضاً .

وإذا رد المرء بصره عن العصر الحديث إلى هذه الأداة التي تبدو له بسيطة جداً ، فقد يميل إلى الاستخفاف بها ، غير أنها انطوت على جماع ما تقوم عليه أعقد آلة حديثة ، تصنع بضم مئات وآلاف من الأجزاء بعضها إلى بعض .

وأراني أنا الإنسان أتحدث عن الطبخ وبعض الأسلحة كأنما قيمتها الوحيدة أنها تؤتيني السيطرة على العالم المحيط بي ، غير أنها في النهاية قلبت أسلوب حياتي في الجماعة، فكان من جراء ذلك أن حدث تغير عظيم أثر في كل شيء آخر وقع بعد ذلك . وكان الذي حدث هو هذا : لما صنعت الرمح وتعلمت الطعن به ورميه، صار عندي سلاح جيد بديع ، ومن ذلك الحين أخذت قبائل كثيرة تزداد تحولا عن الرعي إلى الصيد . وما زال جانب كبير من حياتي يجري على مقتضى أساليب التفكير التي نشأت عن عادات الصائد وأساليبه .

من ذلك على سبيل المثال أن الصيد أوجد تفاوتا شديداً بين أفراد الجماعة، لأنه يتطلب قوة عضلية حرة. وكانت الأمهات قد انحازت إلى الجماعة الراعية ، ولم يستطعنَ ومعهن أطفالهن أن يسايرن الصيادين ، ومن هنا أرى أن الآباء كانوا هم الذين يصيدون من بداية الأمر ، وبهذا وجدت لأول

مرة ثغرة واسعة بين الصياد ، ومن يتولى أمر النار .

ثم إنه بينما كان الصيادون بعيــدين ، كانت الأمهات ومعهن الأطفال يتجولن ويجمعن الجوز والجذور وبذور النبات فى مواسمها ، بل أستطيع أن أتخيل عهداً طويلا كان الصائدون فى خلاله منهومين باللحم المشوى يحشون به بطونهم ، ولكن الأمهات اللواتى كن أكثر تعلقاً بالعادات المتبعة كن أشد إقبالا على الأطعمة الأخرى (وحتى إلى الآن أرى إناثى يكتفين فى الغداء بالسلطة ، ويقلن لذكورى كلوا خضركم المطبوخة) .

ولما كانت المصادفة تولد التغيير ، فإن أسلوب حياتى الجديد جاء بعادات جديدة ، فقد زالت الحاجة إلى الاقتصار على أكل الثمار والبذور فى حيث توجــد ، وصار الصائد يحمل الظبى القتيل ، أو يترنح تحت فخذ مقتطع من حيــوان ضخم ، وكانت الأمهات أيضاً يرجعن بأطفالهن من تجوابهن إلى حيث النــار الموقدة والأمن والروح . وهكذا صارت النــار التى توقد للجماعة وتتخذ للطبخ ، نقطة مركزية . وإنى لأكشف عند مداخل الكهوف القديمة عن آثار المواقد ، ولعلى حتى فى تلك الأيام كنت قد بدأت أربط بين «الموقد والبيت» .

وثم أمر آخر عظيم الخطر . ذلك أنى كنت قد صرت قبل الميلاد بنحو مئة ألف سنة ، شبيهاً من حيث البدن بما أنا عليه اليوم ، ومخى فى مثل حجم المخ الحديث ، ومن ذلك الحين إلى الآن صار ما يطرأ على البدن من التغير قليل الشأن فى هــذا التاريخ . وسأدع ذلك وأروى ما حدث من التغيير فى أساليب العيش ، وهو تغير يمكن أن يحدث فى زمن وجيز . أما تطور البدن فقد استغرق زمناً مديداً جداً . مثال ذلك أنى لو كنت اضطررت أن أكون صائد وحوش ونما لى مثل الأسنان الطويلة التى للذئب أو الببر ، لاستغرق هــذا التطور مليون سنة ، ولكنى استطعت أن أخترع الرمح وأبلغ به درجــة الكمال ، وأتعلم استعماله — كل ذلك فى بضعة أجيال .

وأقول باختصار إن أعظم فرق بينى وبين الحيوانات هو أنها تكيفت على ما يقتضيه العالم المحيط بها ، أما أنا فقد استطعت ، إلى حد ما بطبيعة الحال ، أن أغير العالم حتى يصبح صالحاً لى . من ذلك أنه إذا اشتد البرد كان كل نوع من الحيوان يموت أو يرحل إلى مكان أدفأ ، أو تنبت على بدنه فروة كثة ، أما أنا فأوقدت النار ، وارتديت الثياب ، وبذلك خلقت عالماً (على مقربة من النار أو داخل الثياب) أعيش فيه مرحاً ولا شعر لى .

والناس ينظرون عادة إلى هؤلاء الأوائل المستوحشين نظرة الرثاء والعطف ، ولكنى لست واثقاً أن حياتهم كانت تدعو إلى الرثاء ، فقد استمتعوا بكل مناعم العيش الأساسية ، ولعلهم كانوا أتم استمتاعاً بها وأقل همًّا ممن جاءوا بعدهم . ولما كانوا لا يعرفون الحياة الرغيدة ، فإنهم لم يشتاقوا إليها، وكان الفرد يستطيع إلى حد ما أن يصنع ما يشاء ، وكانت القبيلة يستغرقها ما يثيره فى النفس الطراد اليومى ، لا « العمل ».

وقد كان ولا يزال لمثل هذه الحياة فى الواقع فتنتها العظيمة لى ، فبعد ذلك بزمان طويل ، وفى خلال القرون التى انتشر فيها العمران فى أمريكا الشمالية ، كان آلاف يهجرون الحضارة ويشاطرون قبائل الهنود حياة الصيد والقنص ، ولكن لم أجد ما يثبت أن هنوداً انصرفوا عن حياتهم وذهبوا من تلقاء أنفسهم ليعيشوا فى المدن .

وفى هذه الفترة الأخيرة من العصر الحجرى القديم ، تعلمت كيف أوقد النار بطرق شتى ، وكنت أيضاً أصنع آلات وأدوات أجود وأصلح ، واهتديت إلى استعمال الإبر، والأرجح أنى استطعت بذلك أن أتخذ من الثياب ما هو أوفق ، ومن المحقق أنى صنعت الخرز واتخذت الحلى ، وشرعت أنعم بالحياة من وجوه أخرى أيضاً ، فاستعملت قناةً من القصب وأبواقاً من العظم لعزف بعض أنواع من الموسيقى البسيطة، واتخذت بعض الطقوس والرقص، غير أن أهم ما فعلته فى ذلك الوقت كان شيئاً آخر أقوى تحريكا للنفس .

فقد اخترعت القوس، ولا بد أنه كان اختراعاً حقيقياً ، ومن العسير أن يتبين المرء أية سلسلة من التطورات أدت إلى ظهور هذا الاختراع شيئاً فشيئاً ، فما كانت هناك مواد كثيرة سهلة المتناول توحى بفكرة القوس، ولا بد أن رجال القبائل تعلموا صنع السيور وعقد العقد ليتسنى لهم أن يشدوا رأس الحربة أو السنان إلى القناة ، غير أن وتر القوس يحتاج إلى سير أطول وأقوى جداً، ولم تكن السِّيَةُ اللينة الانعطاف من الأشياء المألوفة ، ثم إن السنان أو النصل يجب أن يكون متيناً صلباً لا لدناً .

وهكذا يكون أسهل تعليل لهذا الاختراع — كما هو الحال فى اختراع الحربة نفسها — هو أن نفترض إلهام العقل المبدع . وقد كان تأثير مخترع القوس فى تغيير مجرى التاريخ كتأثير أى مخترع كبير غيره من قبله أو بعده.

ذلك أن القوس أولا سلاح جيد يستعمل للحيوان المتوسط الحجم ، فليس من السهل أن يقتل السهم فيلا أو جاموساً ،

ولكنه كان أمضى سلاح استعملته لرمى أى حيوان من الغنم إلى الغزلان ، والحيوانات التى من هذا الحجم أصلح ما تكون للطعام ، فإن من الصعب أن تطعم قبيلة برمتها أرانب وسناجيب . ثم إن معظم لحم الحيوان الضخم قد يفسد قبل أن يؤكل ، أما الغنم والغزلان والأبقار فإنها موفورة لصغرها ، وهى من الجسامة بحيث تزود الطاعمين بمقدار حسن من اللحم .

وتوفر الطعام مؤداه ازدياد عدد الأطفال الذين يكبرون ، وهذا معناه اكتظاظ الأرض بالسكان ، فاضطر رجال القبائل أن يحملوا القسى ويخرجوا للصيد فى أرض أخرى ، فوجدوا أن السهم يفتك بالصائد الرامح من قبيلة أخرى كفتكه بغزال ، وقد ظل كل نظام عسكرى فى خلال عشرات من آلاف السنين يقوم إما على القوس وإما على التروس والدروع للتوقى من السهام .

وقد عرفت الذئب من أقدم الأزمنة ، فيوم كنت لا أزال أنتجع كانت جماعاته تتربص أحياناً على جانبى جماعاتى ، فتصيب متخلفاً أو طفلا كما يحدث فى الهند إلى يومنا هذا . وبعد أن أصبحت صائداً صارت جماعاتى وجماعات الذئاب تعيش فيما يشبه الحياد المسلح ، وكان كل من الفريقين أمهر وأخطر من أن يحاول الفريق الآخر صيده .

ولا أدرى أين كانت الخطوة التالية ، ولكن أحسبها كانت فى الجنوب فى أرض دافئة ، لأن الذئب فى غابات الشمال كان ضخم العظام طويل الأنياب ، فكان إذا صادفته بين أشجار البلوط يهجم على عنق . أما فى الأدغال الحارة والصحراوات الجرداء فهو أصغر جرماً ، فكان إذا رآنى يلوذ بالفرار وذيله بين رجليه كما ينبغى أن يفعل حيوان أمام رامح .

ولما اخترعت القوس صار اللحم عندى أوفر مما كان فى أى وقت مضى ، ولعلى أسرفت فى الصيد حتى تركت الذئب يتضور ، وبدأت فى الليالى أرى عينيه تومضان ، إذ يدنو من النار ، وأسمعه يقضم بنهم ما رميته من العظام التى عليها بعض اللحم ، ولما كان جائعاً ، فقد بدأ يظهر قبل دخول الليل ليلقط ما عسى أن يجد ، وكنت أدع له رأس الشاة وأحشاءها ، وكان يبقى على مسافة منى لا يعدوها ، فقد عرف مدى رميتى للحجر وهل سأرميه أو لا أرميه بحجر .

ثم كان يتفق أن أجد جرواً فى غابة — مخلوقاً صغيراً مطمئناً يكسوه الشعر ويمشى على بطنه السمين ، ويتطلع إليك بعينين

واسعتين — فكنت أخفض الفأس المرفوعة وأحمله إلى الحلة ، فيلعب زمناً مع الصغار ، حتى إذا نبتت وبرزت أنيابه ، صار بريق عينه أحدّ، وذهب يتسلل وينضم إلى الذئاب الشهب التى تطوف بالنار . ولكن مثل هذا الذئب كان لا يعود قط ذئباً صريحاً ، فقد كان أكثر اقتراباً من النار ، وكان يتذكر الأطفال الذين لاعبوه ولاطفوه .

وعلى مر القرون صارت هذه الحيوانات الشهباء التى تغشى النار فى الغسق ، تجزينى أضعاف أضعاف ما كنت أرمى به إليهم من التوافه ، فقد كان عواؤها فجأة فى فحمة الليل ينبئنى أن النمر قد دنا ، وكانت تتبع جماعة الصيد لتأكل ما يتخلف من الصيد، وكانت وهى تتبعنى ، إذا رأت دُبَّةً تتعرض لى ، تهجم عليها من خلفها ، فتدير وجهها إليها ، فيتاح لى أن أرميها بسهم . وأخيراً انضمت إلى الطراد وشاركت فيه، ولما كانت مفطورة على الصيد، فقد تعلمت متى تربض فى سكون، ومتى تتعقب أثر الرائحة ، ومتى تثب وهى تعوى على الظبى الجريح .

وإنه لجانب عجيب من تاريخى لا يكاد يتصوره المرء لولا أنه وقع فعلا . وهكذا عشنا معاً بتبـــادل الأخذ والعطاء ، وإن كان الأرجح أن هــذا يرجع إلى زيادة التقـارب البطىء بين جمـاعتى وجماعات الذئاب ، أكثر مما يرجع إلى الترويض .

وهكذا على كر القرون صـار الحيوان الطفيلى حارساً، وزميلا فى الصيد، وصديقاً، وازداد دنوًّا من النار (ولا يزال إلى الآن يرقد قريباً من النار ، وينشر أذنه باهتمام إذا سمع صوتاً غريباً — ثم يحدث نفسه أن هــذا صوت الصبى جارنا إذ يعود إلى البيت — وينام ليحلم بأحلام قديمة إذ يطارد النمر ، ويستيقظ لينظر مرتاباً إلى هــذا الواغل الجديد : قطة البيت) .

وأخيراً عسى أن أكون قد اعتقدت أنى أسعد مما كنت قبلُ — فى يدى القوس، وعلى آثارى الكلب فى الغابات والمخارم ، وأن لى أن أعيش مرحاً إلى الأبد . ولكن هذا لم يكن مقدوراً .

إن أول انقلاب عظيم فى حياتى (بعد أن أصبحت إنساناً حقاً) كان حين أربى تعويلى على الصيد ، على تعويلى على الانتجاع. والآن بدأ انقلاب عظيم ثان، فقد اهتديت إلى إنتاج الطعام ، وبهذا استطعت تدريجاً أن أعتمد فى زادى على الزراعة وتربية الماشية.

وقد كان اهتدائى إلى إنتاج الطعام من خطر الشأن بحيث لم يعدله شىء آخر مما فعلته بعد ذلك ، فقد هيأ ذلك أساساً لكل حضارة ، على أن هذا التوفيق العظيم — كما

يحدث أحياناً — لايكاد يبدو صعباً كغيره مماهودونه، فإن زرع الحنطة يمكن أن يجيء على مراحل سهلة كثمرة للانتجاع، وكذلك ترويض الغنم ثمرة الصيد .

وحتى حين كانت جماعاتى لاتزال تتجول طلباً للنجعة ، تعلمت كثيراً مما هو جوهرى لها حين شرعت تزرع ، إذلابد أنها لاحظت أن نجوم النبات الخضر تذوى فى الحر ، وتخضر وتربو بعد المطر . وكانت جماعاتى فى الأرض الجافة صيفاً تلاحظ أن النبات يخرج بعد أول مطرة فى الخريف .

وكذلك فطنت على الأيام إلى حقيقة النمو البسيطة ، من البذور فإن أى واحد يقلع عوداً من الشوفان أو الشعير كثيراً ما كان يرى مايبقى من البذرة — الجذر يخرج منها فى اتجاه ، والعود فى اتجاه آخر . بل إن بعض النبات مثل الفول ، كان يبدى هذا علانية ، فيخرج أنصاف حبات على أعواده فوق الأرض . وأحسب أن فهم حقيقة البذور كان سهلا .

وتعلمت جماعاتى فى عهد النجعة أمراً آخر جوهريا، فقد كان من متاعبها الكبيرة فى حياتها الأولى فى ذلك العهد أن الأمر يكون إما سعة عظيمة وإما شدة وضنكا ، لأنه متى نضجت بذور الحشائش صار هنالك من الطعام فوق مايمكن أكله حتى ولواجتمع الناس والغزلان وغيرها من الحيوان. ولكن الرؤوس بعد قليل تنفتح ، ويسقط الحب وينتثر على الأرض حيث لايستطيع أن ينتفع به غير الطير والجرذان . ومثل هذا كان يحدث للأقوات الأخرى. فكان المنتجعون الأولون يكظون بطونهم فى الصيف والخريف ، ويسمنون ، ليكونوا أقوى على احتمال قلة المحصول فى الشتاء ، والربيع ، ولكنهم مالبثوا أن اقتدوا بكثير من الحيوانات فتعلموا أن يدخروا مايزيد على الحاجة ، لافى بطونهم بل بخزن الجوز وبذور الحشائش فى الكهوف .

وظل المنتجعون زمناً طويلا يجمعون طعامهم وينافسهم غيرهم ، فالطير كانت تأكل التوت ، والحيوان يرعى الحشائش الناهضة المستوية ، والخنازير تقبل على أصول الجوز ولكن الناس، ولاسيما بعد أن تعلموا الخزن والادخار ، بدأوا يعدون هؤلاء المزاحمين واغلين متطفلين . ثم نشأ أسلوب جديد فى الكلام .

« فليعهد إلى صبى أن يذود الطير عن شجرنا ! » .

« يجب أن نقيم الليلة حيث ترد النار الثيران عن حقلنا » .

ومتى بدأ قوم يفكرون على هذا النحو ويقولون « أشجارنا » و « حقلنا » فقد

خطوا الخطوة الأولى فى سبيل الزراعة .

وهكذا يكون الأرجح أنى أوليت النباتات رعايتى وحميتها من طلابها ، واحتفظت بها لنفسى ، ثم تعلمت أن أحميها من النباتات الأخرى ، كأن أنزع الشجيرات التى تخنق شجرة التين الغضة . ثم حدث ماهو أصعب قليلا حين أدرك العقلاء أن الأشـــجار والحشائش تحتاج إلى الوقاية من الناس أيضاً ، فإنه إذا قصف أحـــدهم الأغصان ليقطف الثمر كانت النتيجة أن يقل الثمر فى العام التالى ، وكان معنى هذا مد الفكر مسافة عام ، ولكن البصر كان قد صار فى مقدورهم فمنعوا الأحداث من إيقاد نار بجانب جذع نخلة ، وبينوا حماقة الرقص فى أرض معشوشبة مرجوة الخير .

وقد ساعدت هذه الأعمال على المحافظة على النمو الطبيعى ، ويسرت حصول القبيلة على قدر حسن من القوت ، ولم يكن من الصعب الانتقال من هذه الحالة إلى أنواع معينة فى الفلاحة البدائية . على أن قوام الزراعة هو غرس البذرة ، ولا بد أن بعضهم فى يوم ما ، غرس بذرة آملا أن يجنى فيما بعد محصولا .

وليس فى وسعى أن أعرف أى شخص كان هذا ، ولا أى نوع من البذور غرس ، ولكن التخمين ممكن . فأولا لا يمكن أن تكون هذه البذرة بذرة شجرة ، فإن نمو الشجر يستغرق زمناً طويلا . وأغلب الظن أنها لم تكن بذرة قمح أو شعير لأن زراعة هذه الحبوب تثير مشاكل خاصة ، وفضلا عن ذلك فإنها لم تكن بذرة طعام أساسى . ومن المحتمل جداً أن البذرة الأولى كانت بذرة شىء نادر لذيذ الطعم يغرى الناس باشتهائه .

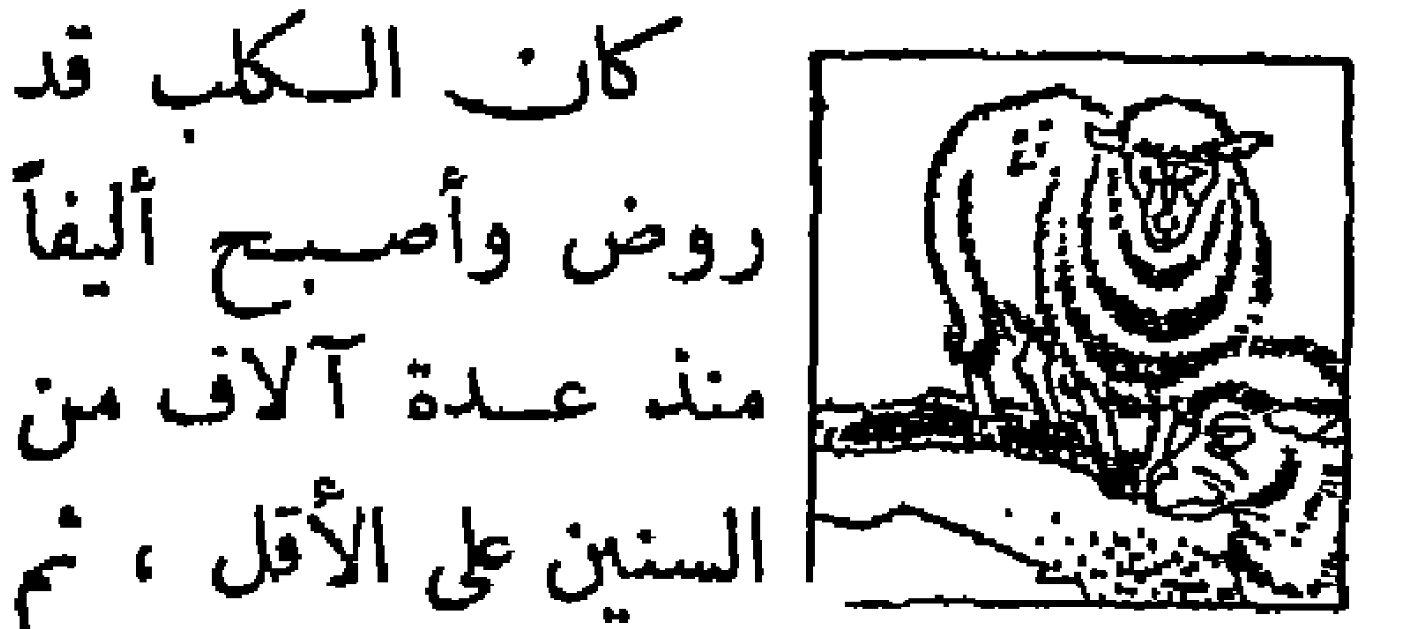
وإذا اعتبرنا الاحتمالات جميعاً ، فإن الأرجح أن تكون بذرة نوع من البطيخ فإن هذا هو الذى قد يرغب بعضهم فى الاستزادة منه . ومن السهل أن يجد البذور الكبيرة ويقتنيها ، ثم إنه إذا جرب بعضهم غرسها فإن أوراقها التى تخرج يسهل تمييزها وهـــذا يسهل اقتلاع النباتات الأخرى ، وهو ما تعلمه المنتجون . ومتى بدأت البذور تخرج رؤوسها فإن العود ينمو بسرعة ويظلل كثيراً من النبات غيره ، وبعد زمن وجيز يطول العود ويمتد ، وبعد قليل ينوّر ، ومتى بدأ النـــور يذوى فإن أى إنسان يستطيع أن يرى الثمار الصغيرة ، فيتحلب فمه عليها . وهى تكبر بسرعة ، وإذا كانت البذور قد غرست قريباً من الحلة ، فإن الكلاب تذود عنها الغزلان والماعز حتى تنضج الثمار ، فالمحصول التى تجىء به بذرة واحدة قد يكون جديراً بما يبذل فى سبيله ، لأنه يؤتى طرفة لذيذة لا سبيل إليها بغير ذلك ،

في حين أن محصول مئة حبة من القمح أو الشعير لا يجيء بقدر من الطعام له قيمة .

وهكذا يكون من المحتمل أن الحديقة سبقت حقل القمح ، وأخلق أن يكون الغرض من الغرس إنتاج هذه الأطايب والحصول بفضل ذلك عفواً على الفيتامينات) وذلك قبل التعويل على الزراعة للحصول على الكفاية للعيش ، وكان مصدرها في ذلك الوقت الصيد عند معظم القبائل . وقد جاء في التوراة أن العبرانيين المتضورين ذكروا قدور اللحم والخبز والسمك في مصر ولكنهم كانوا أشد اشتهاء للخيار والبطيخ والكراث والبصل والثوم . ومن هذا القبيل أيضاً أن الله في البداية غرس حديقة في شرقي جنة عدن ، فهو لم يزرع حقل شعير .

على أنه بعد زمن غير مديد صارت هناك حقول شعير ، وحقول قمح أيضاً ، ولكن القمح لم يكد يعوض متاعب الغرس حبة حبة ، أو حتى تلاً تلاً ، ولم يكن من السهل تمييز أعواده من أعواد الحشائش الأخرى ، ولهذا لا يسهل اقتلاع الأعشاب الضارة — الخارجة معه .

غير أن هذا قد لا يكون عسيراً في بلاد جافة ، ولهذا يمكن أن يقال إن زرع القمح لعله بدأ في بلاد قليلة المطر مثل سورية ، لأنه في البلاد الجافة تقل الحشائش البرية ، ففي الوسع زرع القمح في أرض تكاد تكون عارية من قبل ، ثم يصبح علينا أن نجلب الماء إلى البذور بطريقة من طرق الري — إما بحمل الماء في قرعة ، وإما بتحويل ماء ينبوع أو جدول لينحدر على الحقل . ومتى بدأت الأعواد تطول بسرعة ، فإنه لا يكون هناك إلا القليل من الأعشاب التي تنمو بجانبها ، فيكون لنا حقل قمح . وتبعاً لسير الأمور ، صار نهجي ، أنا الإنسان ، رهناً بزرع نوعين مما يسمى الحبوب ، ومستقبلي (وليس هذا تخميناً فإنه جلي في تاريخي) في أيدي هؤلاء الذين تعلموا في السنين الأولى كيف يزرعون القمح والشعير .



كان الكلب قد روض وأصبح أليفاً منذ عدة آلاف من السنين على الأقل ، ثم تلته الغنم والماعز والخنازير والأبقار ، وكانت كلها تطلب وتصاد من أجل لحمها عدة قرون قبل أن تصبح أليفة .

فلما كانت الغنم قد تغيرت عن أصلها أكثر مما تغير سواها من هذه الحيوانات ، فإن هذا يدعو إلى الظن بأنها أول ما سيطرت عليه ، وإذا أردت أن تكوِّن فكرة عما

عساه حدث ، فتصور حالة قبيلة معينة حوالى عام ١٠٠٠٠ قبل الميلاد .

ولنفرض أن هـذه القبيلة كانت نازلة فى سلسلة من الجبال المنخفضة يحيط بها سهل صحراوى . وعلى جوانب الجبال كان رجال القبيلة يجمعون البذور والثمار ، ويصيدون السمّان والأرانب ، ولـكن موردهم الرئيسى للطعام كان الغنم البرى .

غير أن رجال القبيلة تعلموا على الأيام استعمال القسى والسهام وازدادوا حذقا فيه ، فكثر ما يظفرون به من الغنم فى العام ، وازداد تبعاً لذلك تعداد القبيلة ، مع ازدياد عدد الأطفال السمان الأصحاء الذين يلعبون حول نار الجماعة ، وبعـد بضع سنين قليلة أصبح الصبية صيادين ، وراحوا يقتلون عـدداً آخر من الغنم ، وما هى إلا فترة وجيزة حتى صار ما يقتل من الغنم أكثر مما يولد من نتاجها حتى فى سنوات الخصب .

ثم انتقلت الحال بالقبيلة من الرغد إلى الضيق ، فكان الصائدون يعودون جياعاً وأيديهم فارغة ، وراحت الأمهات يبحثن عن التوت ويحفرن الأرض طلباً للجذور التى كن يزدرينها أيام الخصب واللحم السمين ، ولعل هـذه الحالة كانت تتكرر كثيراً وفى أماكن عديدة ، وعلى الأيام صار الصائدون ينظرون إلى أبعد من ذبابة السهم ، وأصبح شيوخ القبيلة الذين عانوا فترة من ندرة الصيد يعبسون ويسخطون إذ يرون الفتيان يقتلون الغنم لا لسبب سوى الاستمتاع بإظهار براعتهم . وكان هناك شىء آخر أيضاً ، فقد بدأوا يشعرون أن الذئاب والنمورة باغية ـ كما أن بعض النـاس ، فى نفس الوقت تقريباً بدأوا يشعرون أن الثيران والغزلان متطفلة على « مراعينا » ، وهكذا شرع الرماة يطاردون الذئاب والنمورة أيضاً .

ومتى بدأت القبيلة فى جماتها تنظر إلى إلى الغنم على أنها « غنمها » فإن فى وسعها أن تشرع فى اتخاذ وسيلة للمحافظة عليها ، وتلك خطوة طويلة فى سبيل تأليفها وترويضها . ثم شرعت تتكلم بعبارات جديدة :

« ابقوا على النعجة مع الحمل ! » .

« إن نمراً قد افترس بعض غنمنا ــ فلنتعقبه ولنقتله ! »

« هل المراعى أخصب على الجانب الغربى ؟ فلنذهب بغنمنا إلى تلك الناحية حين نخرج للصيد اليوم . »

وهـكذا كفّ رجال القبيلة عن صيد الغنم ، وصاروا رعاة . و قد تم ذلك خطوة خطوة ، وببطء شديد حتى ليتعذر أن نعرف متى حدث ذلك .

لقد أحدثتُ انقلاباً بترويض الحيوانات

الصالحة للطعام وبتعلمى زراعة القمح. وترجع قيمة النصر المزدوج إلى أنى أنا الإنسان أصبحت أعمل مع الأرض والشمس والمطر لإنتاج الطعام ، ولم أعد مقتصراً على الضرب فى الأرض ، هنا وههنا لأجمع أو أقتل ما أنتجت الأرض والشمس والمطر، ولا على منافسة الذئب والأسد على اللحم ، والماشية والطير على الحبوب ، والعيش من يوم إلى يوم على غير اطمئنان أو ثقة فى الأغلب . ومع أن هذا الذى حدث كله يروى فى بضعة أسطر ، إلا أن القدرة على إنتاج الطعام غيرت أساليب حياتى ، وأساليب تفكيرى أيضاً ، كما غيرها الصيد مرة قبل ذلك بزمان طويل .

لقد كانت حياتى من قبل مدارها مخيم الصائدين الذين يرتادون الغابات بالقسى والكلاب، فالآن صار مدار حياتى حلة صغيرة من القرويين يزرعون القمح ويتخذون قطعان الغنم والماشية . وقد كانت كل قرية صغيرة عبارة عن عاصمة أو حاضرة لأنه لم يكن ثم ما يكسفها ويحجبها ، وكان القرويون يزدرون قبائل الصيادين والمنتجعين الفقراء الجياع فى الأغلب ، الذين لا يزالون يرتادون السهوب أو الغابات .

وحوالى هذا الوقت تعلمت شحذ الحجارة بدلا من الاكتفاء باتخاذ حجر ذى حد أو سن . ومن هنا أطلق على العصر كله اسم العصر الحجرى الجديد ، وبهذا الحجر المشحوذ صارت لى لأول مرة فأس يمكن الاعتماد عليها عند الضرب بها دون أن أخشى أن يتحطم رأسها حين أضرب . وكانت هذه الفأس الصالحة عظيمة النفع لى فى هذه المرحلة لاقتلاع الأعشاب والشجيرات والأشجار، وتوسيع حقول القمح الجديدة . ولا بد أن الزراع الأولين كثيراً ما احتاجوا إلى الفأس كحاجتهم إلى المنجل .

وحدثت سلسلة عظيمة أخرى من الاكتشافات ذات صلة بأعمال الحمل والخزن فاهتديت إلى عدة وسائل لذلك فضلا عن استخدام ما يعد أوعية طبيعية مثل القرع .

فأولا يمكن أن تجمع أطراف الجلد فيصبح أشبه بالعَيْبة أو الغرارة، وقد ربطت الأطراف فيما بعد فصارت غرارة حقيقية ، وقد تبين أن هذه أداة بديعة ، وأنها تحمل حتى الماء . وكان لهذه الغرارة عيوبها. ومنها أنها لا تستطيع أن تظل مفتوحة الفم للملء ولكن على الرغم مما اكتسبته من الحذق فيما بعد لم أستطع أن اعتاض منها سواها . ومع أنى أصنع بعض الأكياس من الجلد اليوم، إلا أنى لا أزال أستعمل ملايين من الأكياس البسيطة جداً لنقل كل شىء وحفظه — من الماء إلى الفحم والذهب .



وبينما كنت أعمل على تحسين الغرارة كنت — وأنا أعبث على الأرجح — أنسج الحصير من أعواد الأسل. والحصير يمكن أن تجمع أطرافه كالجلد، فلما تعلمت نسج الحصير على هذه الصورة، صارت لى سلة، والسلة شبيهة بالغرارة — وعاء بديع لحفظ الأشياء لخفتها ومتانتها وسهولة تناولها، وما زلت إلى اليوم أستعمل ملايين من السلال لا تختلف كثيراً عن السلال البدائية، بل هى تصنع من نفس المواد.

غير أن السلة لا تصلح لحفظ الماء، ولا بد أنى طليتها بالطين للتغلب على هذه الصعوبة، فلما احترقت سلة من هذه السلال — مصادفة — فى النار، وجدت أن الطين أحمرّ وصلب، وكنت فى ذلك الوقت قد اكتسبت قدراً كافياً من الذكاء، وتنبهت إلى علاقة السبب بالمسبب، فتعلقت بالفكرة الجديدة وبدأت أصنع القدور. وكنت فى البداية أقلد الأشكال الطبيعية بل أشكال السلة أيضاً، غير أنى بعد قليل تعلمت أن أصوغ القدور على أشكال كثيرة لا يأخذها حصر، وأن أزينها بالرسوم والصور بالألوان.

وقد كان لهذه الأدوات المتخذة لحمل الأشياء وخزنها قيمة عظيمة جداً، لأن ظهور المدن كان متوقفاً عليها، فما يستطيع عدد كبير من الناس أن يعيش فى مكان واحد إلا إذا كان القمح الذى يزرع فى مكان آخر فى موسمه، يمكن أن ينقل إليهم ويخزن عندهم ليستعمل فى الفصول التى لا يزرع فيها قمح.

وثم توفيق آخر جليل فى تلك العصور التى هى أعظم العصور الإنشائية — هو نسج الثياب. فقد ظل الصائدون عدة قرون لا يرتدون إلا جلود الحيوان، وكانوا يخيطونها بالإبرة والخيط ليجعلوا منها كساء (أو كانت الزوجات والأمهات يفعلن ذلك). والجلود شىء حسن فى الجو البارد، ولكنى كنت فى بعض الأحيان أنشد الوقاية من الشمس، ثم إنى كنت قد عرفت فكرة الحياء قبل ذلك بزمن مديد، ولهذا كنت فى البلاد الحارة أريد أن أستر بدنى دون أن أختنق تحت كساء من الجلد، ومن هنا كان أول ثوب عُرف فى البلاد الحارة.

ومن السهل أن يستوحى المرء نسج الثياب من نسج الحصير والسلة، والواقع أن أول ما صنع من الثياب، كان مضفوراً، ولعل وبر النعاج كان أول ما استعمل لأنه يمكن أن يتخذ منه نسج رقيق خفيف، ثم استطاع بعض الماهرين (هذا على الأرجح كان بعد زمان طويل من تعلم الزراعة)

أن يزرعوا الكتان ويهيئوهُ وينسجوهُ ، ثم تلا ذلك على ما يظهر استعمال الصوف .

وهكذا استطعت أنا الإنسان أن أوجد صناعة النسج المعقدة المملة بجميع تفاصيلها من جز ، وتمشيط ، وندف ، وغزل ، ونسج ، وتبييض ، وصبغ ، وغير ذلك مما لا يعرفه إلا أهل هذه الصناعة .

وقبل أن يمضى زمن طويل أفضت صناعة الثياب إلى اتخاذ النول ، وهو أعقد أداة اتخذتها إلى ذلك الحين .

وإذا كان ثم شىء تعلمته عن الحياة — وأنا أكر الطرف راجعاً — فذاك أن التغير يولد التغير على ما يظهر ، ولست أرى هذا بجلاء كما أراه فى نفس هذا العصر الدهش ، وهو عصر لا يمكن أن يكون بالغ الطول حتى إذا طبقنا عليه المقاييس التاريخية ، وألفان من السنين مسافة من الزمن كافية له . ومع أنى قد أضفت إلى إنتاج الطعام الحجارة المشحوذة والأوعية والنسج ، إلا أنى لم أكد أبدأ فى سرد كل ما كان من وجوه التغير .

ومن الغرائب التى لاحظتها أيضاً أن أى جديد قد تتفرع عليه أشياء أخرى ، فما كان أحد فى البداية يخطر له أن زرع المحصولات سيقترن اقتراناً طبيعياً باتخاذ الحيوانات . ذلك أن السماد أعان النبات على النماء ، ووفرة الغلة الناتجة يسرت لى إطعام الحيوان وجعلته يعتمد علىّ .

وتأمل نتيجة أخرى لم تكن متوقعة هى ما أدى إليه التبن ، فقد كان القمح يزرع من أجل الحب ، ولكن القرويين ألفوا عندهم مقادير كبيرة من التبن ظهر أن لها فائدة من وجوه شتى . فهى علف لبعض الحيوان ، وهى تجعل النار تتسعر بسرعة ، ويمكن أن يتخذ منها الحصير وغطاء الرأس ، وهى فراش حسن للرجل والحيوان .

وكذلك كان حال الحيوان أيضاً . فقد كان ترويضه فى البداية من أجل الطعام ، وبعض أشياء أخرى مما يستعمله الصائدون — الجلد والعظام والقرون والأوبار ، ولكن بعض رجال القبائل من أقدم العصور حلبوا النعاج والمعز والأبقار ، وبعد أن روضوا الحيوانات الأخرى حلبوا الأتان والمهر والناقة ، بل كل كبيرة من ذوات الأثداء تستحق هذا العناء . ثم خرج من اللبن كل المنتجات الثمينة التى لم تكن منتظرة مثل الروب والزبدة والجبن ثم الخمائر والطلاء والغراء واللدائن .

وكان تطور الغنم أعجب ما حدث ، فإن شعر الغنم الأصلى المستوحش كان شبيهاً بشعر المعز ، ولا يزال الغنم المستوحش كذلك إلى الآن ، ولكن فروة بعض الغنم بدأ شعرها

يطول، بعد أن صار هذا الحيوان فى كنف، (بفضل التنوع الطبيعى على الأرجح) ، وكانت هذه الأغنام خليقة فى حياة الاستيحاش أن تجد معوقاً لحركاتها من طول أوبارها، فتتعرض للإبادة ، وقد كان من جراء هذا الطول فى أوبارها أن صارت أقل نشاطاً وأضعف ثقة بنفسها فجعلت تلازم الراعى . وفى هذه الأحوال الجديدة صارت فرصة البقاء لها أكبر ، وسرعان ما وجد الراعى أن جلود هذه الغنم تصلح لاتخاذ أردية دافئة.

وهكذا عاونت الطبيعة بإنقاذ أطول الحيوانات وبراً للنتاج . وبهذا حصلت على الصوف فضلا عن اللحم ، وبهذا أيضاً — فى مستهل التاريخ — صارت الغنم بأصوافها الثخينة مفتقرة إلى كل الافتقار لحمايتها ، ورمزاً للعجز .

صارت الحياة — فيما بين ٦٠٠٠ و٥٠٠٠ ق . م . — تزداد تعقداً بسرعة ، وأحسب أن فكرة « العمل » ظهرت فى ذلك الوقت ، فإن الناس لم يعودوا يحيون حياة الصائد المغامر، واقتضت الفلاحة أن تكون هناك فى أوقات منتظمة نوبات عمل شاق ليس بالممتع فى كل حال ، وهذا هو العمل .

وهذه الفترة التى شهدت نشوء معنى العمل ، يحتمل أن تكون قد شهدت أيضاً نشوء معنى الفراغ ، فقد كان القروى يقوم بمهمات قد تكون ثقيلة بغيضة إليه، ولكن الوقت الذى كان يقضيه فى الحصول على طعامه الأساسى أقل . ومتى وجد الناس الطعام الكافى والوقت للقعود والحديث والتفكير ، فإن أفكاراً جديدة تدور فى رؤوسهم ، فتتخذ صور اختراعات جديدة وأساليب مستحدثة فى الحياة .

ولست أزعم أن هذا كان عصر سلام ذهبى ، ولكنى حين أحفر منقباً عن إحدى هذه القرى الأولى لا أجد أسواراً أو موانع للدفاع، أما الأسلحة التى أجدها فهى أدوات للصيد لا أدوات للحرب . وكانت جماعة الصيادين تعيش على الأطراف ملتزمة قانون الحربة والقوس ، ولكن هذه كان قليلا عديدها ، وقد تغير من حين إلى حين ولكن القائمين لم يكونوا غزاة إلى ذلك الحين .

ومع أن حياة القرية كانت أشد تعقيداً من حياة الصيد والانتجاع ، إلا أنها لم تكن تتطلب ذلك التعاون الدقيق السريع الذى يتطلبه الطراد ، فإن الفلاح يستطيع أن يعمل وحده ولنفسه ما شاء من الوقت ، ولهذا يكون القرويون أكثر ديمقراطية ونزوعاً إلى الفردية من الصيادين . ثم إنهم لم يكونوا إلى ذلك الحين قد تميزوا بالاختصاص فى ضروب عملهم إلى الحد الذى يؤدى إلى

القضاء على المساواة، فقد كان كلٌّ منهم فلاحاً، ولكنه كان يستطيع أيضاً أن يعمل - وكثيراً ما عمل - كل ما استوجب الأمر عمله، فكان يصيد الحيوان والسمك، وينجر الخشب، ويصنع القسيّ والنبال على سبيل الهواية.

ولما كثر إنتاج الطعام كثر عدد الناس، فراحوا يتوسعون ويزرعون قرى أخرى، ولم تكن متباعدة منعزلة، وكان الأفراد يروحون ويجيئون بينها ويتبادلون الأشياء والأفكار، فتحتك العقول وتشحذ.

ولعله كان يحدث بعد الحصاد أن يحمل اثنان من الفتيان جلد ماعز بعد معالجته على طريقة قريتهما، ويجتازا الجبل ويخترقا الغابة، ومعهما قوساهما، فقد كان من المحتمل دائماً أن يلتقيا ببعض أهل الجبال الجوّابين أو يصادفا دباً، حتى إذا بلغا القرية الأخرى أفضيا بما عندهما من أنباء، واستمعا إلى أنباء القوم. ويدور الحديث، ويأكل الطارئان ما يقدم إليهما من طعام، ويختلسان النظرات إلى الفتيات، ويسمعان أن نوع القمح الجديد الذى جيء ببذوره من الجنوب فى العام الماضى قد خيب الأمل، ويصغيان إلى ما عند القوم من تعليل لذلك، ويدليان بما يعنّ لهما من رأى. ويرى أحدهما زوجة تستعمل نولا قديم الطراز، فيبين للقوم كيف يمكن تحسينه قليلا، ويضحكان إذ يسمعان قصة جديدة (ليس فيها شيء من الاحتشام) ويقصان مثلها على سبيل المساجلة، ويقال لهما إن بدو الصحراء فى الشمال الشرقى - على مسافة بعيدة جداً - قد قاموا بغارة. ثم يهدون جلد الماعز إلى القروى الذى ضيفهما، فيقابل لطفهما بمثله ويهدى إليهما صدفة مصقولة جاءت من قرية فى الغرب. ثم يعودان إلى قريتهما - وقد أدّيا مهمة السفير والتاجر وحامل الأخبار.

وأحسب أن الحياة كانت قريبة شبيهة بهذه الصورة فى فترة القرون العشرة العجيبة ما بين سنة ٦٠٠٠ وسنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد.

وظهرت القرى على الأيام فى أودية الأنهار، وصارت أكثر عدداً منها فى أى مكان آخر لخصوبة التربة. ولا يمضى إلا زمن وجيز حتى تصبح العشرات منها متقاربة أو متجاورة. وبين هذه القرى - لا بين القرى المنعزلة فى التلال والجبال - يجرى الخيط الكبير الذى ينتظم حوادث قصتى هذه.

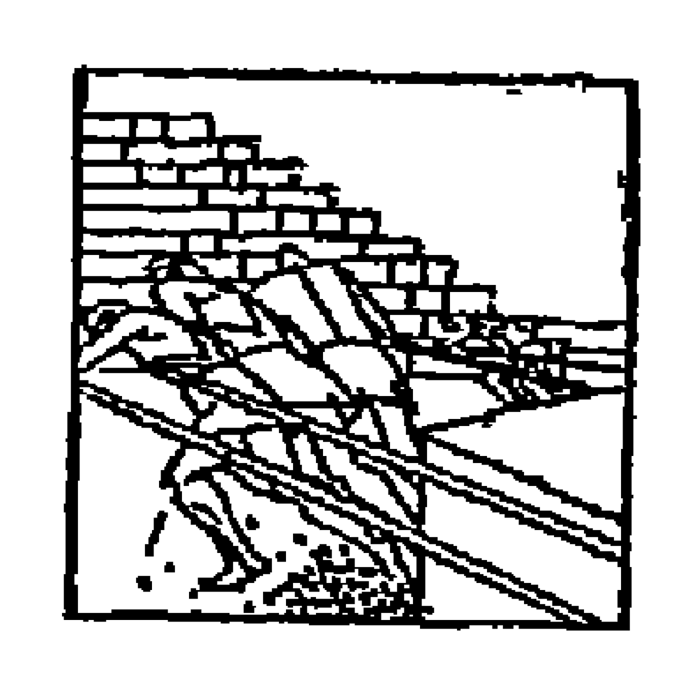
وأخذت الحياة تزداد تحولا من البساطة إلى التركيب، فقد صارت هناك محصولات جديدة وطرق جديدة لزرعها ينبغى أن يتعلمها الناس، وتعقد أمر الزراعة حتى صار حسب أى واحد أن يكون فلاحاً،

ولا متسع من الوقت عنده لبناء بيته وصنع أدواته .

وكذلك كان الأمر فيما يتعلق بالحرف الأخرى ، فبعد أن اخترعت عجلة الفخار ، انتقل عمل الفخار إلى أيدى صناع مخصوصين. وكانت صناعة المعادن من أول الأمر خارجة عن نطاق الفلاح العادى ، وظهر الحداد فى العالم وكان جديداً كل الجدة ، واضطر الفلاح أن ينتج مزيداً من الطعام للمقايضة على الآلات والقدور . ولما كان الفلاح قد اقتصد بهذا وقتاً طويلا ، فإنه قد صار أرغد حالا ، ولا شك أن الحداد وصانع الفخار كانا يؤثران صناعتيهما على العمل فى الحقول ، فكانا هما أيضاً أرغد حالا .

وفى الوقت الذى نزع فيه الأفراد إلى التخصص ، نزعت القرى أيضاً ولا شك إلى مثل ذلك ، وكانت الحبوب هى أساس الحياة ، فإذا كانت رقعة من الأرض صالحة للحبوب على وجه الخصوص ، فإن الناس كانوا يستقرون فيها ، غير أن الخصائص التى تجعل الأرض أصلح ما تكون لزراعة الحبوب ، هى بعينها التى تجعلها غير قادرة على تزويد القرية بحاجاتها الأخرى . ذلك أن الحجارة لازمة لأدوات الزراعة ، ولا حجارة فى الطين الخصيب . والحطب الذى يوجد هناك غير نفيس ، أو لا شجر هناك . وزراعة الحبوب لا تلتئم مع اتخاذ المراعى ، وقد ينظر المرء ويحدق حتى تخرج عيناه فلا يجد ركاز النحاس فى أرض بين نهرين .

وهكذا أخذت بعض القرى تنمو وتكبر وتتعقد فيها الحياة لأن أسر الفخارين وصناع الأدوات والتجار عاشوا فيها ، وأما وقد أخذت هذه القرى تصبح إلى حد ما مركزاً للصناعة والتجارة ، فإنه يحسن أن نبدأ باستعمال لفظ جديد ، فنسميها مدناً .



ولك أن تعد زمن الفصل التالى حوالى سنة ٤٠٠٠ ق . م . وهو عصر تدهور القرية ونشوء المدينة . وقد ظهر الرق فى كل المناطق التى نشأت فيها المدن ، وكانت الرغبة فى الاستكثار من الرقيق هى أكبر ما أغرى بالحرب ، وصارت تجارة الرقيق حرفة وصناعة أدت إلى تجويد فن الغزو ، ولعله كان أحدث عهداً من الرق ، لأن الغزو لم يكن فى الحقيقة إلا ضرباً من الاسترقاق بالجملة

ولما توطدت أركان المدن حقاً ابتداء من سنة ٢٥٠٠ ق . م . تقريباً حدث تطور ملحوظ فى مجال الترف والرفاهية ، وهذا يبدو على الخصوص فى الفنون . وقد

حفظ الزمن كثيراً من هذا الإنتاج الجديد : مبانٍ ومقابر ، وتماثيل ، ونقوش، وفخار ، وخزف ، وقطع بديعة من المعادن المصوغة، وزجاج ، وتوابيت ، وغيرها من أشغال الخشب والعاج ، وطلاء الجدران، بل بعض الآثار الأدبية أيضاً ، وكانت هذه الفنون كلها مقصورة على الأقلين .

وما من قطر واحد كان يستطيع أن يخرج كل المواد النادرة المنشودة ، ومن هنا اتسع نطاق التجارة ، فخرجت القوافل والسفن إلى البلاد الأخرى أو إلى القبائل المتخلفة التي قد يكون عندها ما تقايض عليه من ذهب وفراء أو أفاويه أو أعشاب سحرية . وهكذا أخذت صناعة السفن وفن الملاحة في الرقي بعد سنة ٢٥٠٠ ق . م .

وحوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . بلغت الدنيا حالة لم يطرأ عليها تغيير جوهري خلال ثلاثة آلاف سنة وأكثر بعد ذلك .

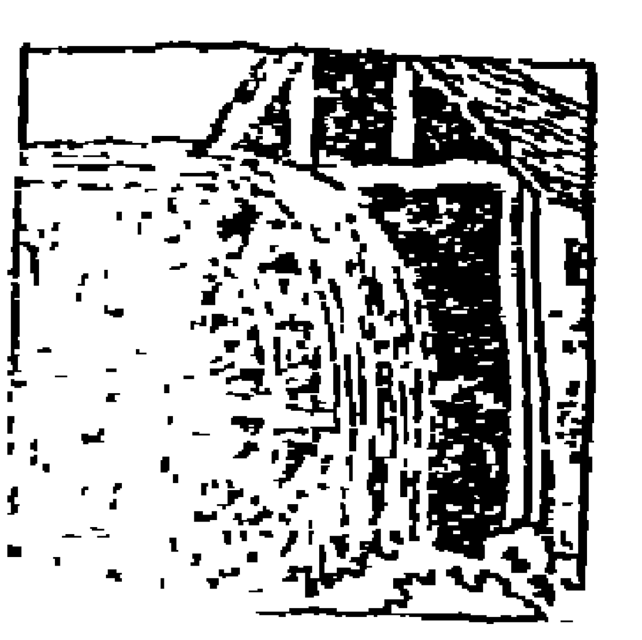
وباختراع الكتابة تخرج قصتي « إلى نور التاريخ » ويبدو أن الكتابة — ككثير مما عرف الإنسان ، جاءت على مراحل بطيئة، فبدأت بالصور، ثم تلا ذلك التصوير المبسط المصطلح عليه الذي يشبه الرسم بالعود ، وأخيراً صارت هذه الصورة المبسطة تعبر عن الكلمة بدلا من أن تعبر عن الشيء .

ثم جاء اختراع الحروف الأبجدية فيما بعد ، وليس من الميسور إلى الآن ردها إلى ما قبل ١٥٠٠ ق . م

وقد سهلت حروف الهجاء كل شيء ، بحيث أصبح في وسع كل إنسان — من الوجهة النظرية — أن يقرأ ويكتب ، غير أن الواقع هو أن القراءة والكتابة ظلتا على مدار القرون مقصورتين على الكتبة وعلى قلة ضئيلة ، وبقي الأرقاء والفلاحون وكثيرون من أهل الطبقة العليا أيضاً ، ولا سيما النساء ، أميين كالنسانيس .

أما ما حدث في الآلاف الأخيرة من السنين فمدوّن ومعروف . وإني إذ أكتب هذا في منتصف القرن العشرين بعد الميلاد، أرى في تاريخي عصرين عظيمين من عصور الإنشاء والخلق : أولهما بدأ بتعلم الزراعة وترويض حيوانات الطعام ، وقد امتد هذا العصر بضعة آلاف من السنين وظهرت فيه القرى، واستمر إلى أن أبطأت حضارة المدن . وثاني هذين العصرين العظيمين بدأ حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م . ولا يزال مستمراً على ما يظهر . وقد كان هذا العصر وما زال هو عصر الاستكشافات من جغرافية وفنية صناعية ، وما انفكت تحدث فيه تطورات عميقة في نظام الجماعة.

وقد وُصفت أنا الإنسان بأنى أهيم بالأدوات ، واتخذ الكتّاب هذا الوصف سخرية منى ،



فكأنهم يريدوننى أن أكون أشدّ هياماً بالشعر منى بالمحاريث . بيد أنى أجد شيئاً يقال فى الدفاع عن الأدوات ، فقد أفادتنى القوة والسلطان على العالم الذى يحيط بى ، وقد لاحظت على الدهور ، أن العصور التى تزخر بالمخترعات الجديدة، تبتكر فيها أيضاً أساليب جديدة للحياة والاجتماع .

ومنذ ألف سنةٍ أو أقل دخلت عهداً من حياتى ، جمعت فيه بين الأدوات الجديدة والانتفاع بالأدوات القديمة على وجه جديد . وقد ألف الكتاب أن يعدّوا البارود والطباعة أعظم المخترعات فى أوائل العصر الحديث ، بيد أنى أرى أن الانتفاع بقوة الماء ، كان أخطر شأناً وأسبق عهداً .

ولعلّ طواحين الهواء اخترعت فى العصور القديمة ، ولكن الانتفاع بها على نطاق كبير تأخر عن الانتفاع بطواحين الماء . وقد ازداد الانتفاع بقوة الماء والهواء ازدياداً بطيئاً ، ومهما يكن من أمر فإن وجود طواحين الحبوب كان فى حد نفسه ذا قيمة لا تقدر فى الدلالة على وجوه الانتفاع بالقوة فى المستقبل ، وكانت كلّ طاحونةٍ أو عجلة يديرها الماء الجارى حجة ناهضة على الرق والعبودية . فالعبد الرقيق قد يغنيك عن دفع أجر له ، ولكنك مع ذلك مضطر أن توفر له الطعام ، وإذن فالاستعانة بالماء على الطحن كان أقل نفقة من الاحتفاظ بالرقيق وإن وفيت للطحان أجراً عن عمله .

وفى أوائل العصر الحديث اكتشف البحارة نفع البوصلة وطريقة استعمالها بيد أن حذقهم فن الملاحة ضد اتجاه الريح كان أخطراً شأناً . وعلى الرغم من براعة الفينيقيين واليونانيين ، كانت شعوب العالم القديم ألصق باليابسة ، فإذا سلكت البحار ظلت محاذية للسواحل . أما الشعوب التى عزمت على عبور المحيط الأطلسى فقد كان حتما عليها أن تتقن الملاحة ، أو أن تقبع فى بلادها . وقد حذقت الملاحة ، ثم تدرجت صعداً فى بناء السفن، وأمعنت فى سلك البحار .

فكان ذلك عصراً حافلا بآيات الريادة والاستكشاف ، والأسماء الثلاثة البارزة التى يصح أن تتخذ رمزاً دالا على ذلك العصر ، هى أسماء كولمبوس ، ومجلان ، وكوبرنيكس . وقد عاش الثلاثة فى عصر واحد وتمت مكتشفاتهم فى قرن واحد .

وقد رحل كولمبوس إلى بلد أذهل الناس خبره ، فلم يسعهم إلا أن يطلقوا عليه وصف « العالم الجديد » ، فكأنه فتح

أمام عيون الناس طريقاً إلى اللانهاية . ثم جاءت رحلة مجلان حول الأرض ، فكأنها قالت إن للانسان حدوداً ، وأن هذه الحدود قائمة على كرة ليست بالكبيرة ، وأن سفينة صغيرة تستطيع أن تدور حولها فى زمن ليس بالزمن المديد. أما كوبرنيكس فقد كان أبعد الثلاثة رحلة ، مع أنه ظل قابعاً فى داره ، وقد أدرك فى أثناء رحلته أن هذه الكرة الصغيرة ليست مركز الكون، بل هى واحدة من كرات كثيرة ، ولعلها من أصغر الكرات حجماً .

كولمبوس ، مجلان ، كوبرنيكوس — فماذا ترانى صنعت بمكتشفاتهم فى الفترة القصيرة التى مرت عليها ؟ أما أمريكا التى كشفها كولمبوس فقد جعلتها جزءا من عالمى أنا الإنسان ، وأنت تنظر إليها اليوم فلا تعدها حلما بعيداً ، أو أملاً أو عالما جديداً ، فما هى سوى قارتين تقطنهما شعوب كثيرة بينها حدود وحواجز .

أما مجلان فأرانى لم أكد أفعل شيئاً بما كشف ، وأفرادى لم يكادوا يبدأون بالنظر إلى أمم الأرض على أنها أمة واحدة وعالم واحد ، ومع ذلك فإن اسم مجلان خليق أن يصير الرمز الذى يطلق على العصر الذى وقفت الساعة على أعتابه .

وأما كوبرنيكس ، فأرانى لا أزال أداعب الآراء التى طلع علينا بها كأنها وهم من الأوهام ، ولا تزال القدرة على الرحلة إلى كوكب سيار آخر ، بعيدة عنى ، كما كانت الرحلة حول الأرض بعيدة عن ذهن الناس فى عهد الرومان .

وحوالى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد ظهر الملوك ، والنبلاء ، والأحرار ، والعبيد ، والأرقاء، ولكن الملوك كانوا أبعد مايكونون عن السلطة المطلقة ، وكان الأرقاء قليلا عديدهم، ولم يكن ثمة فاصل حاسم بين النبلاء والأحرار، ولا بين الأحرار والعبيد، واحتفظ الفرد بقدر من الإدراك لقيمته وحريته ، وبتقاليد التمرد على سلطة الملوك المتزايدة .

وصاحب هذا الكفاح نمو الحكم التمثيلى وأساليبه ، وكان هذا أهم تطور اجتماعى فى ألف سنة ، فقد كان من الممكن فى قبيلة أو قرية أن تتقرر الأمور ذات الصفة العامة بأن يدعى الآباء إلى اجتماع ، ولكن إذا انتشرت القبيلة فى رقعة واسعة ، أو كبرت القرية فأصبحت مدينة تتبعها قرى ، فإنه لم تكن هناك طريقة عملية فى ذلك العالم القديم، يتسنى بها للبعيدين أن يتركوا أعمالهم ليشهدوا اجتماعا .

غير أن الأوربيين ابتكروا طريقة اختيار ممثل لكل منطقة ، ثم يجتمع هؤلاء الممثلون

فى مجلس أو برلمان ، وقد يسرت هذه التجربة إيجاد أداة يستطيع بها الأفراد أن يعملوا معاً فى بلاد كبيرة دون أن يخضعوا لحكم ملك أو مدينة كبيرة . فمهّد ذلك لقيام الديمقراطيات الكبيرة .

وإنى لأجد فى الوقت الحاضر أن ائتلاف المدن والديمقراطية أقوى مما كان فى أى عهد مضى ، وأن كل الدلائل تشير إلى استمرار النشاط والحيوية . ويبدو أن الديمقراطية تتيح للفرد فرصة فيها حرية لم يتم مثالها له فى ظل المدنية القائمة على نظام الملكية والاسترقاق .

أما من حيث المستقبل فإن أول سؤال هو : « أترانى سأبقى زمناً آخر ؟ » أظن ذلك .

ولاشك أن هناك احتمال نظرى بأن يحدث اصطدام فلكى يمحونى ، أو قد أطلق أنا قوة ذرية تقضى على . ويقول البعض إنى قد أبيد نفسى بالحرب ، والواقع أن الحرب قد تعصف بسكان مدينة أو إقليم ،ولكنك لن تجد حرباً معروفة وإن اقترنت بالوباء والمجاعة، قد محت كل الشعب الذى خاضها . فأنا لا أرى احتمال القضاء على وجودى عن طريق الحرب .

ولنتصور شر حرب تدخل فى الإمكان إلى الآن — عالم منقسم إلى معسكرين متعاديين ،متكافئين وكل منهما يحطم الآخر بالقنابل الذرية ، وحتى إذا حدث هذا فإن إبادة الإنسان تقتضى أن توجه القنابل إلى جميع الأكواخ الصغيرة ، وجميع الغابات العظيمة، وكل قرية للإسكيمو على حافة الجمد القطبى،وأعتقد أن جمع الأفراد القادرين على صنع القنابل الذرية وإطلاقها سيقضى عليهم أولا،وأن الدمار العام سينقطع حينئذ بطبيعة الحال تاركا كل حلة بعيدة بغير أذى .

وثم سؤال أكثر دوراناً على الألسنة ، وهو : هل ستبقى الحضارة ؟

أظن ذلك . ومع أنه سهل علىّ أن أتصور القضاء على الإنسان ، إلا أنه يبدو لى أن الحضارة شجرة معرقة الجذور متينة ، فعلى الرغم من كثرة اللغط بقيام الدول وسقوطها فإن الحضارة لم يقض عليها فيما مضى ، وإذا كنا نعنى « بالحضارة » ما يشبه الإمبراطورية الأشورية أو الرومانية ، فإن هذه قد بادت ، ولكن إذا عنينا بالحضارة جملة أشياء من مثل الزراعة وصناعة المعادن والتقاليد الاجتماعية — فإن المدينة لم تنقرض قط ، ولم تخسر الدنيا على ما يظهر أى شىء مهم منها . وهكذا تظل قصتى مسايرة للحضارة ومستمرة على الرغم من أشد الحروب تدميراً،

كانت عندئذ أبسط نظاماً وأقرب
أصولها الأولى .

أما من حيث التطور الاجتماعى فى
تقبل ، فإنه لم يظهر إلى الآن سوى
مين اجتماعيين سايرا الحضارة . أحدهما
م الملكية والعبودية القديم ، والثانى هو
م الديمقراطية الحديثة . والتاريخ إلى
ب النظام الأول ، ولكن لست من
منين بأن التاريخ يعيد نفسه (وأقصى
يقال أنه يعيد نفسه على نحو ما يتكرر
وت المصوغ فى اللحن الموسيقى — مع
نتقل من نغمة إلى نغمة) . وأعتقد أن المسألة
تحل إلى الآن من الناحيتين ، وقد يستمر
صراع زمناً ، أما أيهما تكون له الغلبة
د مئة عام أو خمسمئة ، فلا أدرى ، فقد قام
الماضى نظام الملكية والعبودية واستمر
سبب واحد ، ذلك أنه لما أربى عدد الناس
لى موارد الطعام صارت المشكلة واحدة
ئماً وهى : هل يهوى الجميع إلى حضيض
لوجود ، أو يهوى معظمهم ، ويحيى
لأقلون حياة أرغد ؟ وكان الأمر الثانى
و الجواب فى كل حال .

على أن عند الديمقراطية حلا ثالثاً —
ن يعيش الجميع عيشة طيبة . وعلى الديمقراطية
كى تبقى وتخرج هذا الحل إلى حيز العمل ،
ن تصبح أحزم تدبيراً وأن لا تظل مستعدة
للتأثر بكل ذى لسان ذرب يضع قدمه على
عتبة الباب . ولما كانت الديمقراطية قد
ارتضت أن تحمل المسئولية المشتركة عن
رغد الجميع ، فإن عليها أن تصمم وتحزم
أمرها على أن تحل مسألة كفالة المساواة فى
الفرص لجميع الناس .

وسواء أقام نظام الملكية والعبودية ،
أم قام نظام آخر من الديمقراطية ، فإنى
أستطيع أن أتنبأ وأنا واثق من صدق
فراستى ، بأن العالم كله فى مدى قرن أو
قرنين سيتحد فى ظل حكومة واحدة .
ويبدو لى أن العالم تضاءل من جراء تقدم
الآلات الحديثة ، فصار التوحيد لا مفر منه .



وها أنا ذا قد بلغت
ختام قصتى إلى يومى
الحاضر . وإذا سألتنى :
« هل كان تاريخى
حسناً أو سيئاً ؟ » ، فكل ما يسعنى أن
أجيب به هو أنه سواء أكان تاريخى حسناً
أم سيئاً ، فإن قصته ممتعة ، وكأنى بالأرض
والمخلوقات الأخرى لم تتغير إلا قليلا على قدر
ما أذكر . وحسبى أنى على الأقل قد فعلت
ما فعلت وابتكرت ما ابتكرت !

ولهذا أقول إنها ليست قصة ممتعة فحسب ،
بل إنها أجود قصة وأمتعها فى العالم !

[تتمة من صفحة ١٠٠]

فاليقين بأن هناك قوة فوق قوتنا نستمدُّ منها القدرة على عمل ما ينبغى أن نعمل ، وعلى احتمال ما ينبغى أن نحتمل ، هو سرُّ أولئك الرجال الذى اكتملت رجولتهم فصاروا أهل قوة وثبات وشجاعة فلا ينثون أمام الصعاب . وقد قال الفيلسوف وليم جيمس إن ذات الإنسان الواعية متصلة بحقيقة روحية أوسع من ذاته ، وهى تؤثر فى الكون الذى يحيط به ، وفى وسعه أن يظل على صلة مجدية بها . والجهل بهذه المعانى يفضى بكثيرين إلى الانهيار .

ومحصل كل هذا واضح ، فأنت لن تجد شيئاً أجدى على الناس فى تجنب الحاجة إلى أطباء النفس كتجديد اليقين الدينى . وأقصد بالدين هنا جوهر الدين — أن ينشىء المرء فى دخيلة نفسه ملاذاً تخيم عليه السكينة فيلوذ به ، وأن يصرف من نفسه شياطين البغضاء والضغينة بكرم النفس وصفاء النية ، وأن يحرر نفسه من العكوف على ذاتها حتى تندفع فى عمل نبيل شعاره « أن يبذل خير ما فى النفس لخير الناس » ، وأن يحل محل الاستهتار الذى يضنى النفس إيماناً مظفراً بأن للحياة معنى أبديا وقصداً ، وأن يستمد من معين النفس قدرة على احتمال أعباء الحياة .

وستظل عيادات الأطباء النفسيين مزدحمة بالقصاد . ففى طوايا نفوس الناس اضطرابات عاطفية أعمق من أن يجدى العقل الواعى والإرادة فى علاجها ، وهى كالأمراض والآفات الموروثة ، لاتقع تبعتها على المصاب بها . غير أن تجديد اليقين الدينى خليق بأن ينقذ كثيرين من الأمراض النفسية التى يتعرضون لها ويصابون بها . وقد تذكرت وأنا أرى وفود الناس التى يطرد ازدحامها بأبواب العيادات النفسية ، قصة رجل سأل أحد الحكماء : « ترى ماذا تصنع لو وقعت فى مثل هذا المأزق ؟ » فكان ردُّ الحكيم : « كنت أتوقى الوقوع فيه ، ياصاحبي » .

على بركانه

فى أثناء رحلة الرئيس ترومان إلى المكسيك ، ذهب لمشاهدة بركان باريكوتين ، فحدّق إليه وأطال التحديق ، فسأله رئيس جمهورية المكسيك مارأيه فيه فقال : « إنه لبركان هائل ، ولكنه لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً إذ قيس بالبركان الذى أجلس عليه فى وشنطن ! »   [مجلة « ليبرتى »]

هذا هو الدليل القائم..

"... على أن الشركات الكبيرة لا تقصر اهتمامها دائماً على إنتاج المنتجات الضخمة..

لو سئلت عرضاً عن الطب البيطرى والمطاط لما خطر لك أن هناك صلة بين طبيب بيطرى شاب كان يخترق قرية إرلندية منذ ستين سنة وهو راكب عربة من عربات الفلاحين، وبين كرة الجولف التى يلعبون بها اليوم — أكان يخطر لك ذلك؟ وهذه الصلة نفسها ما كانت لتخطر لنا، لولا أننا اطلعنا منذ عهد قريب على مناحى نشاط ذلك الجبار الصناعى الذى ضم شتى كرة الأرض تحت لوائه — هيئة «دنلوب» للمطاط.

كنا نعلم طبعاً، أن هذه الشركة العظيمة تصنع أشياء أخرى كثيرة عدا إطاراتها المشهورة. وكنا نعلم أنها تصنع أنواعاً متعددة من معدات الرياضة. وقد رأينا اسمها محفوراً مثلا على مضارب التنس الممتازة، وكرات الجولف. ولكن الذى أدهشنا وكشف جهلنا هو مدى الاهتمام العظيم والدقة والإحكام التى وقفتها هذه الشركة الزاخرة النشاط، على صناعة معدات الرياضة وأدواتها، فى أيامها الماضية — ثم فى عهدها الحاضر أيضاً.

فكيف يتسنى لنا أن نعلم اليوم، أن فى شمال انجلترا الصناعى، قسماً عظيماً فى مصانع الحكومة الكبيرة للطائرات قد تحول على أيدى «دنلوب» إلى صنع كرات الجولف وكرات التنس دون غيرها، وعلى نطاق بلغ من السعة مبلغاً لا تصدقه حتى تراه بعينيك؟

ويلوح لنا أنك لن تجد ضرباً من ضروب الرياضة لا يصنع لها دنلوب أدوات ومعدات من الطبقة الأولى. فإذا امتطيت جناحين وحلقت بهما، ثم هبطت أرضاً تدور فيها مباراة رياضية فى أى بلد من بلاد العالم، فإنك تجد «دنلوب» هناك ممثلا فى مضارب للتنس (راكيت) وكرات للتنس وأحذية للتنس، وكرات الجولف، ومضارب لرياضة البادمنتن، ومضارب لرياضة سكواتش راكيت. وكرات لها (ومن بواعث الأسف عند رجال الشركة على ما علمنا أنهم عاجزون من أن يصنعوا شيئاً لرياضة مصارعة الثيران — وهذا عجز مفهوم).

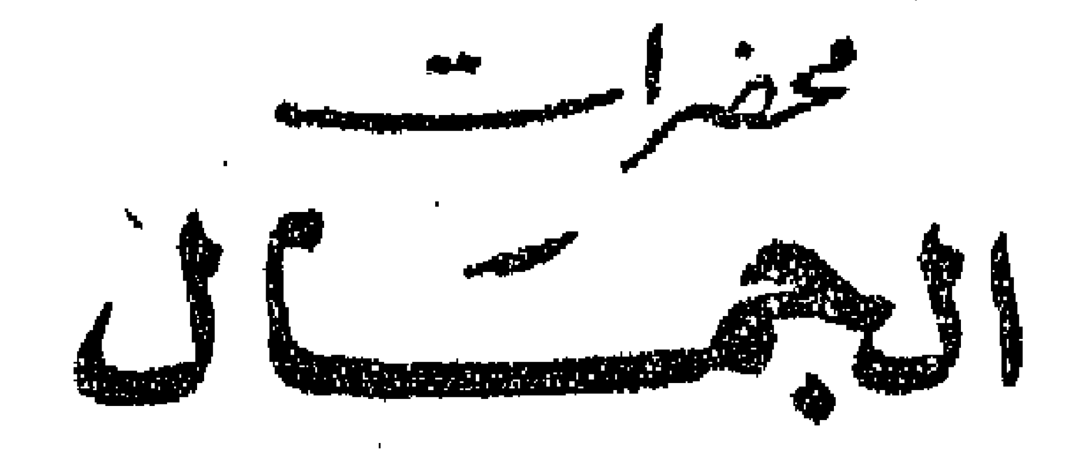
وفى طليعة الأشياء التى يفخر «دنلوب» بصنعها لأهل الرياضة تجد كرات الجولف التى يضمنون — دون تعهد كتابى — أنها تجعل السمكة لاعبة ممتازة من لاعبى الجولف..!

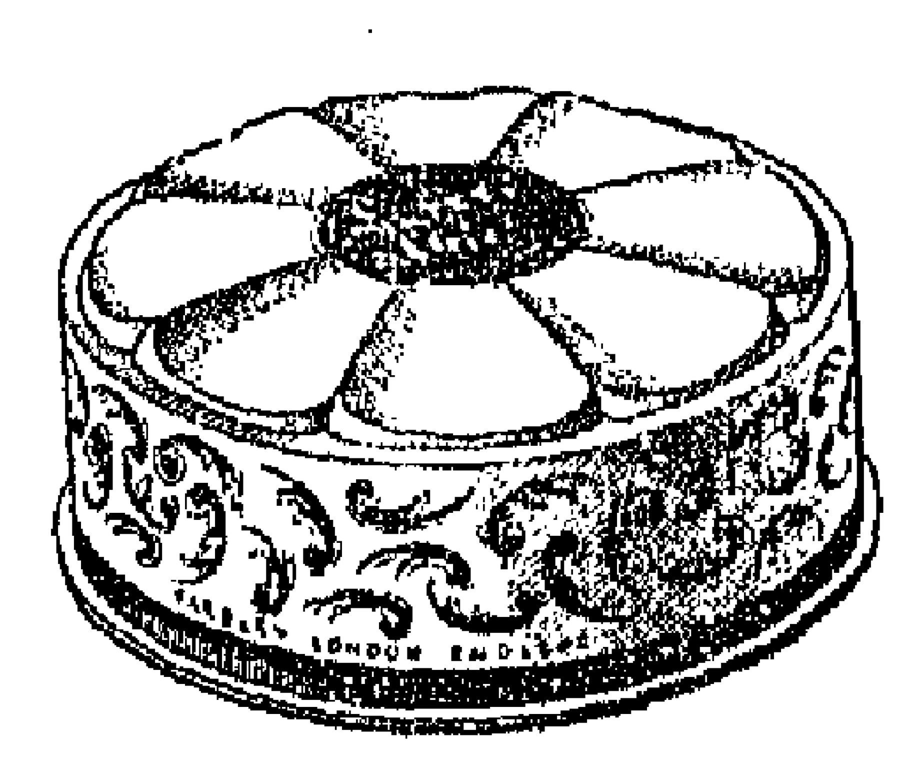
ولما كنا فى خلال حياتنا الصحفية لم تتح لنا الفرصة للعب الجولف فقد حاولنا أن نحقق هذا الزعم بين لاعبى الجولف من أصحابنا المطبوعين على الرقة واللطف. وعلى أنهم أقروا أن قدرة اللاعب لها شىء قليل من الأثر فى إحكام قذف الكرة — فقد وجدناهم يؤيدون بوجه عام زعم الشركة وقد قالوا إن كرات الجولف «٦٥» تحتمل من الضرب أكثر كثيراً من غيرها قبل أن يشوه شكلها. وهذا فى رأينا هو الدليل القائم على أن معدات الرياضة التى يضعها «دنلوب» هى أكثر من فرع ثانوى متفرغ على صناعة الإطارات المشهورة، بل يلوح لنا، على الضد من ذلك، أنه إذا كان فى وسعك أن تمارس رياضة ما ممارسة موفقة دون أن تستعين بإحدى معدات الرياضة التى يصنعها «دنلوب» فأنت إذن لاعب ممتاز حقاً

نقيّة

كل مادة من مواد التجميل التى يحضّرها « ياردلى » ، قد بلغت من الكمال أسمى درجة تستطيع البراعة الإنسانية أن تدركها ، وكل منها يزيد من أثر الأخرى ونفعها ، فإذا استعنت بها ، واتبعت نظاماً بسيطاً فى العيش ، وجدت أنه إذا كان الجمال هبة من هبات الله ، فإن الرونق صفة تستطيعين أن تكتسبيها اكتساباً .



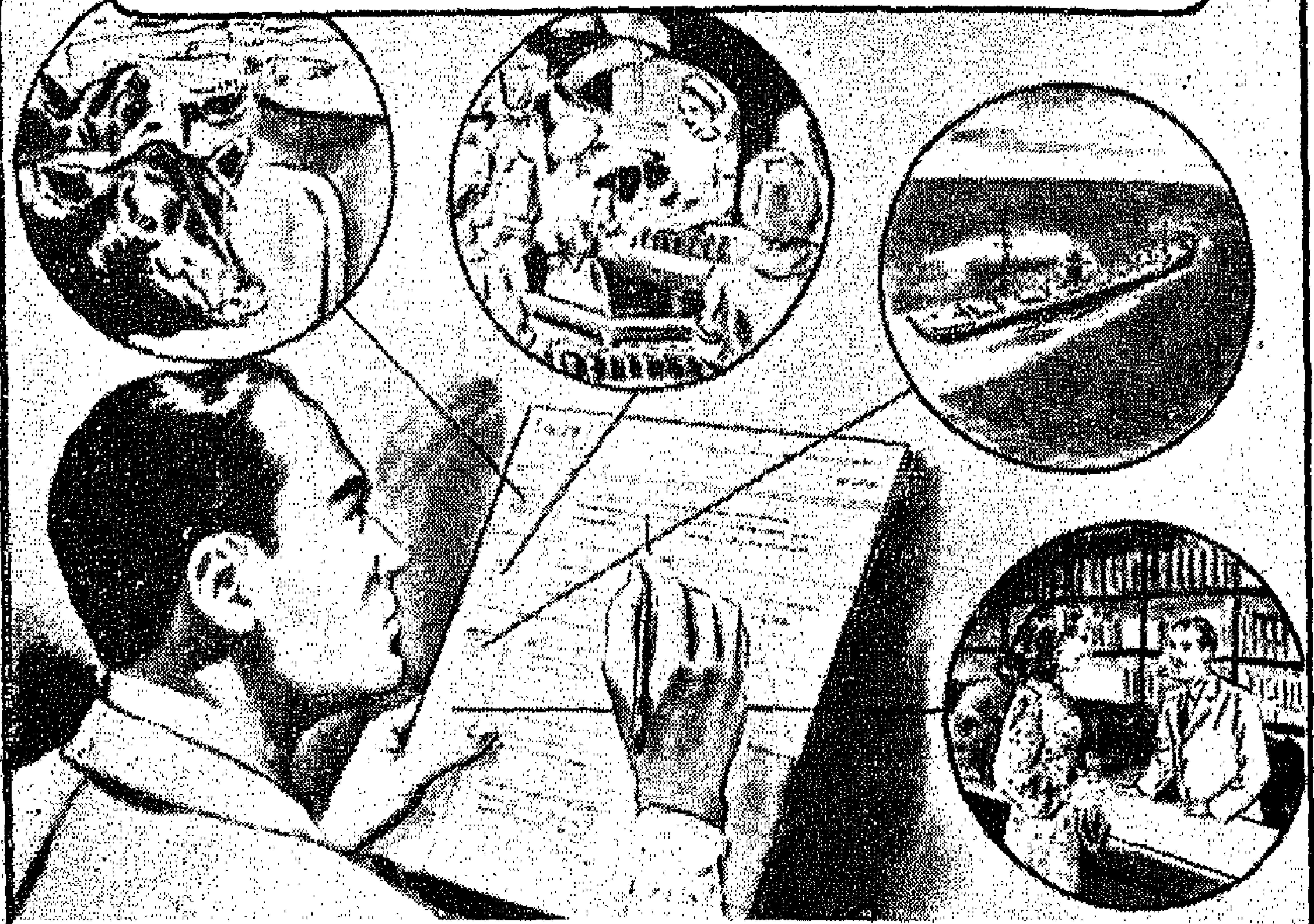




تجد هذا العطر
وكذلك جميع منتجات
"ياردلى" معروضة
فى جميع المحلات الكبرى
فى كل مكان

33 Old Bond Street London

.. حتى يفوق الكمال الذى تدركه غداً
الكمال الذى أدركته اليوم



تقتفى كل أثر

إن مصنوعات «سويفت» توزّع فى أعظم أسواق العالم، بعد أن تشحن ألوفاً من الأميال عبر البحار. ولكن « سويفت » يظلّ متتبعاً لها أينما ذهبت.

فكل خطأٍ يكتشف ، أيّاً كان مكانه ، نرى « سويفت » قادراً على أن يقتفى أثره ، بوساطة نظام دقيق وضعه فى مكاتبه ، حتى يعرف معرفة دقيقة المكان الذى كان أصل الخطأ.

وهيئة « سويفت » العظيمة الضخمة ، تعمل بدقة كدقة الساعة ، وهى مهيّأة لمواجهة كل حالة وكل احتمال ، حتى تضمن أن تكون مصنوعاتها ساعة تصل إلى يد المستهلك ، جديرة بتلك الشهرة والجودة ، اللتين تمثلهما بطاقة « سويفت ».

COMPAÑIA **Swift** INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

شركة "سويفت" الدّولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواى توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

تسدُّ حاجةً عالميّة

إن وراء T W A ٤٤٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل من الرحلات
الدولية — قطعتها بنجاح باهر حطمت الأرقام القياسية واختصرت إلى النصف
المسافات حول الأرض — وبذلك تقيم
T W A الدليل الواضح على عظمة الفكرة التي كانت
أول من هيأها ونشرها على العالم . وهذه الفكرة هي : خط جوى
، حول العالم يسد
. حاجات النقل
لمختلف شعوب الأرض.

رحلات مباشرة
مصرح بها بين :
الولايات المتحدة . نيوفوندلاند
ايرلنده . فرنسا . سويسرا
ايطاليا . اليونان . مصر
فلسطين . شرق الاردن . العراق
الحجاز . اليمن . عمان
الهند . سيلان . البرتغال
اسپانيا . الجزائر . تونس . ليبيا

TWA — الخطوط الجوية العالمية —
الخطوط المتصلة بها ... " نورث وست ارلاينز "



TRANS WORLD AIRLINE



تعمل فى كل مكان
وفى كل زمان
مقدار كبير من مكعبات الثلج
تبريد يحفظ الطعام
"سرڤيل" تعمل ...
بالكيروسين أو بالغاز الطبيعى
أو الغاز الصناعى أو الغاز المعبأ
قد يخيل إليك أنها معجزة ، ولكنها حقيقة واقعة لا شك فيها .
إن ثلاجة « سرڤيل » التى تدور بالغاز ، تصلح للاستعمال
فى كل مكان — فى المدن ، والمزارع ، وفى البيوت والمتاجر .
وذلك لأن نظام التبريد فيها يعمل بلهب صغير من الغاز وعمر
ثلاجة « سرڤيل » أطول ، أيضاً . وليس فيها آلات تتعطل ...
وليس فيها جزء واحد متحرك يمكن أن يصاب بخلل .
حتى فى أشد الأقاليم حرارة ، ترى ثلاجة « سرڤيل » ببردها
الثابت قادرة أن تحفظ الثمار والخضر الطازجة ، غضة مشهية
أياما كثيرة . وجوفها الرحب يسهل عليك أن تحفظ فيها مواد
الطعام التى تستغرق مقدار كبير من قطع الثلج المكعبة ...
فى أى وقت تريدها . وثلاجة « سرڤيل » مصممة تصميماً جميلا
رشيقاً ، وسطحها الأبيض المصقول يدوم سنوات كثيرة .
وليس ثمة عجب فى أن يشيع استعمال ثلاجة « سرڤيل » الغازية
فى كل العالم ، وأن ينتفع بها أكثر من مليونى بيت ومتجر .
الثلاجة التى تختلف عما سواها
Servel سرڤيل
Servel, Inc., International Division, 20 Pine St., N.Y. 5, N. Y., U.S.A.



دولت أبيض • بشارة واكيم • محمود المليجي • لولا صدقي
محمد كامل • محمود السباع • حسين كامل • ثريا فخري • زكي ابراهيم
والمطرب عبد العزيز محمود

إخراج صلاح أبو سيف تصوير أحمد خورشيد

إنتاج : شركة الشرق الأدنى للفنون (عبود وشركاه)
توزيع : شركة الفيلم المصري (منصور وشركاه)


هذا شىء يزيد ابتسامتك
جمالا
وفتنة
إن تلألؤ الأسنان البيضاء ، حين تنفرج الشفتان ويفتر الثغر ، لهو مشهد من أجمل المشاهد . ومهما تكن أسنانك خابية اللمعان اليوم ، فإن معجون «كولجيت» للأسنان يزيل عن الأسنان ما يدبغها أو يغير لونها ، ويكشف البياض الذى حبتها به الطبيعة . فالبياض الباسم فى أسنانك موجود — الآن — وينتظر أن يكشف عن حسنه .
COLGATE
معجون أسنان كولجيت
يضمن لك
ابتسامة بيضاء
COLGATE
RIBBON DENTAL CREAM
COLGATE



مواد التشحيم والوقود
التى تضمن لك الاقتصاد فى العمل
إن اسم «كلتكس» المشهور فى أرجاء العالم يمثل الجودة العالية فى منتجات البترول التى تخرج وسائل بارعة فى السيطرة على الإنتاج والتكرير . وهذا هو ضمانك فى الظفر بالاقتصاد فى الأداء ، والقدرة الكاملة فى العمل ، فهذان شيئان تستطيع أن تقيسهما بزيادة ما تنتجه آلاتك ، وزيادة الأميال التى تقطعها سيارتك ، وبنقص النفقات . خصّ «كلتكس» فيما تطلبه لآلات القوى المحركة أو آلات الصناعة أو أى أية حاجة من حاجات النقل .
Société California Texas des Pétroles, S. A. E.
9, Sh. Fouad Ier, Cairo, Egypt.
كلتكس
جزء من مصنع التكرير
بالخليج الفارسى بالبحرين


Coca-Cola
TRADE MARK
حقوق النشر ١٩٤٧ محفوظة ، لشركة كوكا كولا ، فرع التصدير
كوكا كولا
Coca-Cola


ووسائل عيشها وأساليبها الاجتماعية والثقافية ، فيتعرف الناس بعضهم على
بعض فى هذه الصفحات الجذابة الممتعة بحسن العرض ومتين الأداء .

وإنا لنرجو أن تقوم المختار فى طبعاتها الأجنبيـة بتعريف الملايين
من قرائها على الأمانى العربية والأهداف السامية التى تستهدفها الشعوب
العربية اليوم ، وأن تحمل إليهم الصور الصحيحة عن المثل العليا التى أضافها
العرب إلى تراث المدنية العالمية فى كل زمان ومكان .

سعود

يتشرف المختار أن يكون بين الأعلام العرب الذين شاركوا فى إعداد المقالات التى
نشرت على الغلاف . وكان غرضها العام توجيه القراء إلى الحياة الزاخرة النافعة الحافلة
بالشجاعة والتفاؤل والخير . وذكر ما للمختار من نصيب فى التمهيد لهـذه الحياة
حضرات : الأستاذ محمود أبو الفتح (سبتمبر ١٩٤٣) ، والدكتور حافظ عفيفى باشا
(أكتوبر ١٩٤٣ وسبتمبر ١٩٤٦) ، الدكتور على توفيق شوشه باشا (ديسمبر ١٩٤٣) ،
محمد على علوبة باشا (يناير ١٩٤٤) ، الدكتور محمد حسين هيكل باشا (مارس ١٩٤٤)
الأستاذ عباس محمود العقاد (مايو ١٩٤٤) ، أميل زيدان بك (يوليو ١٩٤٤) .
فخامة رئيس الجمهورية السورية وفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، الدكتور حسنى سبح
، الأستاذ أحمد سامح الخالدى (سبتمبر ١٩٤٤) ، الأستاذ ميخائيل نعيمة (أكتوبر ١٩٤٤)
المغفور له سعد الله الجابرى ، فارس بك الخورى (ابريل ١٩٤٥) . الدكتور حسن
صادق باشا (يونيو ١٩٤٥) ، حرم ابراهيم الدسوقى فوده ، السيد حبيب أبو شهلا .
الأستاذ أنيس المقدسى (يوليو ١٩٤٦) ، صاحب الجلالة الملك عبد الله بن الحسين .
عبد الرحمن عزام باشا (سبتمبر ١٩٤٦) ، الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى
(أكتوبر ١٩٤٦) ، الدكتور فيليب حتى ، السيد صائب سلام (نوفمبر ١٩٤٦) ،
السيد حميد فرنجية . الأستاذ أحمد عيسى (ديسمبر ١٩٤٦) ، السيدة نجلاء صعب ،
الدكتور إبراهيم عاكف الألوسى ، السيد محمد جلال محمد ، السيد صبحى المحمصانى ،
(يناير ١٩٤٧) ، الأستاذ سليم بك حسن (مارس ١٩٤٧) ، صاحب السمو الملكى
الأمير سعود بن عبد العزيز (سبتمبر ١٩٤٧) .

وقد نشر العطف الملكى السامى
فى صدر مختار فبراير سنة ١٩٤٤



في عقول الرجال ...

بقلم حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز

عندما كنت أتجول في أروقة هيئة الأمم المتحدة في ضاحية ليك سكسس من مدينة نيويورك خلال زيارتي للولايات المتحدة الأمريكية منذ أشهر، تذكرت المقدمة البليغة التي استهلت بها شعوب هذه المؤسسة العالمية العظيمة دستورها للتربية والعلوم والثقافة، فقد (صرحت حكومات الدول المشتركة في هذا الدستور بالنيابة عن شعوبها بأنه ما دامت الحروب تبدأ في عقول الرجال

فإنه ينبغي أن توطد دعائم الدفاع عن السلام في عقول الرجال

أيضاً، وإن جهل الواحد طرق الآخرين وحياتهم كان سبباً عاماً خلال تاريخ الجنس البشري لذلك الشك وانعدام الثقة بين شعوب العالم اللذين بهما كثيراً ما انقلبت اختلافاتهم إلى حرب. وإنه من أجل ذلك قد اتفقت هذه الدول وعزمت على أن تنمي وتزيد وسائل الاتصال بين شعوبها وأن تستخدم هذه الوسائل في أغراض التفاهم المتبادل كما يعرف الواحد حياة الآخر معرفة أصح وأكمل).

وتعود بي الذاكرة الآن مرة أخرى وأنا أطالع العدد الأخير من مجلة المختار في قصري بمدينة الرياض إلى هذه المقدمة البليغة الحكيمة، فأشعر أن هذه المجلة العالمية الذائعة الصيت تقوم بقسط وافر في أداء تلك المهمة النبيلة، بعرضها على ملايين البشر صوراً مختلفة ومتعددة من حياة شعوب الأرض ومدنيتها

[التتمة في الصفحة السابقة]